

التقاط الجُمان

من

محاضرات في علوم القرآن

(١)

عشرون محاضرة

د. محمد بن رزق بن طرهوني

١٤٢٦ هـ

هذا الكتاب عبارة عن المحاضرات التي سجلها الدكتور محمد طرهوني لطلاب جامعة المدينة العالمية بكلية القرآن الكريم والتي كانت بمعدل ثلاثين محاضرة لكل فصل وأتم في ذلك فصلين كاملين وذلك عام ١٤٢٦هـ

ثم قسمتها الجامعة إلى ثلاثة مستويات كل مستوى خمس وعشرون محاضرة

المستوى الأول

❋❋❋❋

المحاضرة الأولى

تعريف علوم القرآن

***

مدخل :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد

فالقرآن الكريم كتاب ختم الله به الكتب وأنزله على نبي ختم به الأنبياء بدين عام خالد ختم به الأديان

فهو رسالة الخالق لإصلاح الخلق وهدية السماء لهداية الأرض أنهى إليه منزله كل تشريع وأودعه كل نهضة وناط به كل سعادة

وهو حجة الرسول ﷺ وآيته الكبرى يقوم في فم الدنيا شاهدا برسالته ناطقا بنبوته دليلا على صدقه وأمانته

وهو ملاذ الدين الأعلى يستند الإسلام إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه ومعارفه

وهو عماد لغة العرب الأسمى تدين له اللغة في بقائها وسلامتها وتستمد علومها منه على تنوعها وكثرتها وتفوق سائر اللغات العالمية به في أساليبها ومادتها

وهو أولا وآخرا القوة المحولة التي غيرت صورة العالم ونقلت حدود الممالك وحولت مجرى التاريخ وأنقذت الإنسانية العاثرة فكأنما خلق الوجود خلقا جديدا

لذلك كله كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول ﷺ وصحابته ومن سلف الأمة وخلفها جميعا إلى يوم الناس هذا

وقد اتخذت هذه العناية أشكالا مختلفة فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه وثالثة إلى كتابته ورسمه ورابعة إلى تفسيره وشرحه إلى غير ذلك

ولقد أفرد العلماء كل ناحية من هذه النواحي بالبحث والتأليف ووضعوا من أجلها العلوم ودونوا الكتب وتباروا في هذا الميدان الواسع أشواطا بعيدة حتى زخرت المكتبة الإسلامية بتراث مجيد من آثار سلفنا الصالح وعلمائنا الأعلام

وكانت هذه الثروة ولا تزال مفخرة نتحدى بها أمم الأرض ونفحم بها أهل الملل والنحل في كل عصر ومصر

وهكذا أصبح بين أيدينا الآن مصنفات متنوعة وموسوعات قيمة فيما نسميه علم القراءات وعلم التجويد وعلم النسخ العثماني وعلم التفسير وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم غريب القرآن وعلم إعجاز القرآن وعلم إعراب القرآن وما شاكل ذلك من العلوم الدينية والعربية مما يعتبر بحق أروع مظهر عرفه التاريخ لحراسة كتاب هو سيد الكتب وبات هذا المظهر معجزة جديدة مصدقة لقوله سبحانه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ الحجر: ٩

ولقد أنجبت تلك العلوم الآنفة وليدا جديدا هو مزيج منها جميعا وسليل لها جميعا فيه مقاصدها وأغراضها وخصائصها وأسرارها والولد سر أبيه وقد أسموه علوم القرآن وهو موضوع دراستنا في هذا المحاضرات إن شاء الله تعالى

هذا المدخل هو ماقدم به الزرقاني رحمه الله كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن مع تصرف يسير آثرت التقديم به لما حواه من كلمات جامعة تغني عن غيرها إلا أنه لا يمنع ذلك من أن نسوق طرفا من كلام الإمام السيوطي أيضا في مقدمته لكتابه الإتقان في علوم القرآن حيث إنه مرجعنا الأساس في دراستنا المباركة لهذا العلم الشريف :

قال رحمه الله : وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ، ودائرة شمسها ومطلعها ، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء ، وأبان فيه كل هدي وغي ، فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد ؛ فالفقيه يستنبط منه الأحكام ، ويستخرج حكم الحلال والحرام ، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام . وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار ، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار ، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها . هذا ؛ مع فصاحة لفظ ، وبلاغة أسلوب ، تبهر العقول وتسلب القلوب ، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب .

(الكتاب الأصل : الإتقان في علوم القرآن ١/١٨ ، المراجع : مناهل العرفان ١/٨-٩)

أولا : معنى كلمة علوم لغة واصطلاحا

قبل أن نشرع في الحديث عن هذا العلم يحسن بنا أن نفهم المراد باسمه الذي سمي به وذلك يقتضي أن نتحدث أولا عن طرفيه وعن الإضافة بينهما ثم عن المراد بهذا المركب بعد نقله وتسمية هذا الفن المدون به ، فنبدأ بكلمة علوم فنقول :

العلوم جمع علم والعلم في اللغة مصدر يرادف الفهم والمعرفة وهو نقيض الجهل يقال : علم علما فهو عالم . ويرادف الجزم أيضا في رأي .

وقيل : العلم هو إدراك الشيء على ما هو به . وقيل : زوال الخفاء من المعلوم . وقيل : هو مستغن عن التعريف . وقيل : العلم صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات . وقيل : العلم وصول النفس إلى معنى الشيء . وقيل : عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول . وقيل غير ذلك .

ثم تداولت هذا اللفظ اصطلاحات مختلفة

فالحكماء يريدون به صورة الشيء الحاصلة في العقل .

والمتكلمون يعرفون العلم بأنه صفة يتجلى بها الأمر لمن قامت به .

والماديون يزعمون أن العلم ليس إلا خصوص اليقينيات التي تستند إلى الحس وحده

وينقسم العلم إلى قسمين قديم وحادث :

فالعلم القديم هو القائم بذاته تعالى ولا يشبه بالعلوم المحدثة للعباد .

والعلم المحدث ينقسم إلى ثلاثة أقسام : بدهي وضروري واستدلالي :

فالبدهي ما لا يحتاج إلى تقديم مقدمة كالعلم بوجود نفسه

والضروري ما لا يحتاج فيه إلى تقديم مقدمة كالعلم بثبوت الصانع

والاستدلالي هو الذي لا يحصل بدون نظر وفكر

ويطلق العلم في لسان الشرع العام على معرفة الله تعالى وآياته وأفعاله في عباده وخلقه

قال الإمام الغزالي في الإحياء : قد كان العلم يطلق على العلم بالله تعالى وآياته وبأفعاله في عباده وخلقه فتصرفوا فيه بالتخصيص حتى اشتهر في المناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها ولكن ما ورد في فضل العلم والعلماء أكثره في المعنى الأول ا.هـ

وقيل إن المراد بالعلم المفترض على كل مسلم أن بتعلمه هو علم المعاملة الشامل لما يصلح الظاهر من عبادات وعادات إسلامية ولما يصلح الباطن من عقائد الإسلام وأخلاقه .

وروى الأزهري عن سعد بن زيد عن ابن أبي عبد الرحمن المقرئ في قوله تعالى ﴿ وإنه لذو علم لما علمناه ﴾ قال : لذو عمل بما علمناه . فقلت يا أبا عبد الرحمن ممن سمعت هذا ؟ قال : من ابن عيينة . قلت : حسبي .

وروي عن ابن مسعود أنه قال ليس العلم بكثرة الحديث ولكن العلم بالخشية .

قال الأزهري : ويؤيد ما قاله قول الله عز وجل ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ فاطر: ٢٨ وقال بعضهم : العالم الذي يعمل بما يعلم . قال : وهذا يؤيد قول ابن عيينة .

وقال المناوي في التعاريف : العلم الشرعي ثلاثة التفسير والحديث والفقه .

قلت : ويؤيده ماروواه أبو داود وابن ماحه والحاكم في مستدركه والبيهقي في سننه بإسناد فيه ضعف عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة .

قال المناوي : العلم أي العلم الذي هو أصل علوم الدين أو العلم النافع في الدين فالتعريف للعهد ثلاثة أي ثلاثة أقسام وما سوى ذلك فهو فضل أي زائد لا ضرورة إلى معرفته ...

قال : ويفقه من هذا أن المراد بقوله وما سوى ذلك هو فضل أن الفضل واحد الفضول الذي لا دخل له في أصل علوم الدين وما استعاذ منه بقوله أعوذ بالله من علم لا ينفع .

..قال الذهبي في المهذب وتبعه الزركشي : فيه عبد الرحمن بن أنعم ضعيف . وقال في المنار : فيه أيضا عبد الرحمن بن رافع التنوخي لم تثبت عدالته بل أحاديثه مناكير . ا.هـ

قلت : وينازع في ضعف هذين العلمين وهما من قضاة مصر وفقهائها الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فالحديث على قوله ثابت . والله تعالى أعلم .

ومن كلام الشافعي كما في الأماني الشيخونية للسيد المرتضى :

كل العلوم سوى القرآن مشغلة

إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا

وما سواه فوسواس الشياطين

ولاشك أن العلم في اصطلاح الشارع إنما هو العلم الشرعي قال تعالى : ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾. العنكبوت ٤٩ وقال : ﴿...ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ . الروم ٦-٧

والذي يعنينا هنا هو العلم في اصطلاح علماء التدوين لأننا بصدد الكلام في علوم القرآن كفن مدون وهو في عرفهم يطلق على المعلومات المنضبطة بجهة واحدة . وقيل غير ذلك وما ذكرناه أولاها بالقبول .

(**المراجع** : مناهل العرفان في علوم القرآن ٩/١-١١ ، لسان العرب ٤١٧/١٢، التعريفات - الجرجاني ١٩٩/١-٢٠٠ ، التعاريف - المناوي ٥٢٤/١ ، سنن أبي داود ١١٩/٣ ، ابن ماجه ٢١/١ ، المستدرك ٣٦٩/٤ ، البيهقي ٢٠٨/٦ ، فيض القدير ٣٨٦/٤-٣٨٧ ، الحطة في ذكر الصحاح الستة ٤٦/١)

ثانيا : معنى القرآن لغة واصطلاحا

أما لفظ القرآن فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى ﴿إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ القيامة ١٧ - ١٨ ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله .

ذلك ما اختاره غير واحد وهو الأرجح استنادا إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق .

ويدل عليه أيضا مارواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : خفف على داود عليه السلام القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ولا يأكل إلا من عمل يده .

ثم رواه في موضع آخر بلفظ : خفف على داود القراءة فكان يأمر بدابته لتسرج فكان يقرأ قبل أن يفرغ يعني القرآن .

فأطلق في الحديث القرآن على الزبور من باب المعنى اللغوي وهو نص في المسألة .

وقيل : هو وصف من القرء بمعنى الجمع ، قال ابن منظور : معنى القرآن معنى الجمع وسمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها وقوله تعالى : ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ القيامة :١٧ أي جمعه وقراءته ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ القيامة:١٨ أي قراءته ... و قرأت الشيء قرآنا :

جمعته وضممت بعضه إلى بعض ومنه قولهم : ما قرأت هذه الناقة سلى قط وما قرأت جنينا قط أي: لم يضم رحمها على ولد ... ومعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا .

وقيل : مشتق من قرنت الشيء بالشيء .

وقيل : مرتجل أي موضوع من أول الأمر علما على الكلام المعجز المنزل غير مهموز ولا مجرد من أل . وروي عن الشافعي أنه قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين وكان يقول : القران اسم وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل ويهمز قرأت ولا يهمز قران .

وهذه الأقوال لا يخلو توجيه بعضها من كلفة ولا من بعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة .

وعلى الرأي المختار فلفظ قرآن مهموز وإذا حذف همزه كما في قراءة ابن كثير من السبعة فإنما ذلك للتخفيف من باب حذف الهمزة ونقل حركتها للساكن قبلها كما هي قراءة نافع من رواية ورش في مواضع عدة وكما يقرأ حمزة أيضا عند الوقف عل كلمة قرآن وما شابهها .

ويؤيد ذلك أيضا أن من أسماء القرآن الفرقان وأصله مصدر كذلك ثم سمي به النظم الكريم تسمية للمفعول أو الفاعل بالمصدر باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل أو مفروق بعضه عن بعض في النزول أو في السور والآيات .

قال تعالى ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾. الفرقان ١

ثم إن هذين الاسمين هما أشهر أسماء النظم الكريم بل جعلهما بعض المفسرين مرجع جميع أسمائه .

وأما القرآن في الاصطلاح فهو كلام الله المعجز المنزل على الرسول ﷺ المتعبد بتلاوته المنقول عنه نقلا متواترا والمكتوب في المصاحف.

ومنهم من اقتصر على وصفي النقل في المصاحف والتواتر لأنهما يكفيان في تحصيل الغرض وهو بيان القرآن وتمييزه عن جميع ما عداه ولكن هذا الوصف أكمل لإخراج المحترزات منه .

فبقولهم : المنزل على النبي ﷺ ؛ خرج ما لم ينزل أصلا مثل كلامنا ومثل الحديث النبوي وما نزل على غير النبي ﷺ كالتوراة والإنجيل .

وخرجت الأحاديث القدسية إذا تواترت بقولهم المتعبد بتلاوته .

وخرج بالمنقول تواترا منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة .
وخرج بالمكتوب في المصاحف منسوخ التلاوة ولو تواتر .
وأما قولهم كلام الله المعجز فهما صفتان له دل عليهما قوله تعالى :﴿ فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ . التوبة :٦ وقوله تعالى : ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾. الإسراء :٨٨

وقد خاض المتكلمون وأهل التصوف في اصطلاحات أخرى لاعتبارات أملتها عليهم عقائدهم ومن ذلك قولهم :
القرآن هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها .
وقولهم : القرآن هو الكلام النفسي أو اللفظ الدال على الكلمات الأزلية الحكمية .
إلى غير ذلك من أقوال تخرجه عن حقيقته ومادلت عليه ظواهر النصوص الشرعية التي تقدم بعضها .
كما دار حول القرآن فتنة عظيمة وهي فتنة القول بخلق القرآن لا نريد أن نطيل بالحديث عن جوانبها إلا أن ما استقر عليه أئمة أهل السنة أن القرآن كلام الله غير المخلوق منه بدأ وإليه يعود . وأن الله تعالى تكلم بالقرآن حقيقة لا مجازا .
ويطلق القرآن على المكتوب بالألواح والصحف وكذا على المحفوظ في الصدور .
كما يطلق على الكل وعلى البعض فيقال لمن قرأ اللفظ المنزل كله إنه قرأ قرآنا ، وكذلك يقال لمن قرأ ولو آية منه إنه قرأ قرآنا .
فهو مشترك لفظي بدليل التبادر عند إطلاق اللفظ على الكل وعلى البعض كليهما والتبادر أمارة الحقيقة

(**المراجع** : مناهل العرفان في علوم القرآن ١/١١-١٦ ، صحيح البخاري ٤/١٢٥٦ ، ١٧٤٧ ، لسان العرب ١/١٢٨-١٢٩ ، التعريفات - الجرجاني ١/٢٢٣ ، التعاريف - المناوي ١/٥٧٨)

ثالثا : المعنى التركيبي لقولنا علوم القرآن وموضوع هذا العلم وفائدته :

الآن وقد انتهينا من الكلام على المتضايفين في لفظ علوم القرآن ننتقل بك إلى أن الإضافة بينهما تشير إلى طوائف المعارف المتصلة بالقرآن وينتظم ذلك علم التفسير وعلم القراءات وعلم الرسم العثماني وعلم إعجاز القرآن وعلم أسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم إعراب القرآن وعلم غريب القرآن وعلوم الدين واللغة إلى غير ذلك

معنى علوم القرآن كفن مدون وموضوعه وفائدته

ثم إن هذا اللفظ نقل من ذلك المعنى الإضافي ثم جعل علما على الفن المدون وأصبح مدلوله بعد النقل وهو علم غير مدلوله قبل النقل وهو مركب إضافي لأن هذا الفن ليس هو مجموعة العلوم الدينية والعربية بل هو غيرها وإن كان مستمدا منها ومأخوذا عنها ويمكن أن نعرفه بأنه : مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه ونحو ذلك .

وبعضهم يطلق على هذا العلم أيضا أصول التفسير لأنه يتناول المباحث التي لابد للمفسر من معرفتها للاستناد إليها في تفسير القرآن .

وموضوعه القرآن الكريم من أية ناحية من النواحي المذكورة في التعريف

وفائدة هذا العلم ترجع إلى الثقافة العالية العامة في القرآن الكريم وإلى التسلح بالمعارف القيمة فيه استعدادا لحسن الدفاع عن حمى الكتاب العزيز ثم إلى سهولة خوض غمار تفسير القرآن الكريم به كمفتاح للمفسرين فمثله من هذا الناحية كمثل علوم الحديث بالنسبة لمن أراد أن يدرس علم الحديث .

هذا وإنما سمي هذا العلم علوم القرآن بالجمع دون الإفراد للإشارة إلى أنه خلاصة علوم متنوعة باعتبار أن مباحثه المدونة تتصل اتصالا وثيقا كما علمت بالعلوم الدينية والعلوم العربية حتى إنك لتجد كل مبحث منها خليقا أن يسلك في عداد مسائل علم من تلك العلوم فنسبته إليها كنسبة الفرع إلى أصوله أو الدليل إلى مدلوله .

(**المراجع** : مناهل العرفان في علوم القرآن ١/١٧-٢١ ، مباحث في علوم القرآن – مناع ص١٥-١٦)

رابعا : نشأة هذا العلم :

كان الرسول ﷺ وأصحابه يعرفون عن القرآن وعلومه ما عرف العلماء وفوق ما عرف العلماء من بعد

ولكن معارفهم لم توضع على ذلك العهد كفنون مدونة ولم تجمع في كتب مؤلفة لأنهم لم تكن لهم حاجة إلى التدوين والتأليف

أما الرسول صلوات الله وسلامه عليه فلأنه كان يتلقى الوحي عن الله وحده

قال تعالى :﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾ القيامة :١٦-١٩

ثم بلغ الرسول ما أنزل عليه لأصحابه وقرأه على الناس على مكث أي على مهل وتؤدة ليحسنوا أخذه ويحفظوا لفظه ويفهموا سره

ثم شرح الرسول لهم القرآن بقوله وبعمله وبتقريره وبخلقه أي بسنته الجامعة لأقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته مصداقا لقوله سبحانه ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ النحل : ٤٤

ولكن الصحابة وقتئذ كانوا عربا خلصا متمتعين بجميع خصائص العروبة ومزاياها الكاملة من قوة في الحافظة وذكاء في القريحة وتذوق للبيان وتقدير للأساليب ووزن لما يسمعون بأدق المعايير حتى أدركوا من علوم القرآن ومن إعجازه بسليقتهم وصفاء فطرتهم ما لا نستطيع نحن أن ندركه مع زحمة العلوم وكثرة الفنون

وكان الصحابة رضوان الله عليهم مع هذه الخصائص أميين وأدوات الكتابة لم تكن ميسورة لديهم والرسول نهاهم أن يكتبوا عنه شيئا غير القرآن وقال لهم أول العهد بنزول القرآن فيما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لا تكتبوا عني ومن كتب غير القرآن فليمحه وحدثوا عني فلا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .

وذلك مخافة أن يلتبس القرآن بغيره أو يختلط بالقرآن ما ليس منه ما دام الوحي نازلا بالقرآن.

فلتلك الأسباب المتضافرة لم تكتب علوم القرآن كما لم يكتب الحديث الشريف .

إلا أن النبي ﷺ كان قد رخص لبعض أصحابه آخر الأمر في الكتابة فكتب عمرو بن العاص وكتب علي وكتب لأبي شاة وكذا كتب النبي ﷺ للملوك وللرعية بالإضافة إلى كتابة القرآن بطبيعة الحال ولكن لم يتوسع في أمر الكتابة كما هو معلوم .

ومضى الرعيل الأول على ذلك في عهد الشيخين أبي بكر وعمر ولكن الصحابة كانوا مضرب الأمثال في نشر الإسلام وتعاليمه والقرآن وعلومه والسنة وتحريرها تلقينا لا تدوينا ومشافهة لا كتابة إلا أنه قد تم الجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه .

ثم جاءت خلافة عثمان رضي الله عنه وقد اتسعت رقعة الإسلام واختلط العرب الفاتحون بالأمم التي لا تعرف العربية وخيف أن تذوب خصائص العروبة من العرب من جراء هذا الفتح والاختلاف بل خيف على القرآن نفسه أن يختلف المسلمون فيه إن لم يجتمعوا على مصحف إمام فتكون فتنة في الأرض وفساد كبير

لهذا أمر رضي الله عنه أن يجمع القرآن في مصحف إمام وأن تنسخ منه مصاحف يبعث بها إلى أقطار الإسلام وأن يحرق الناس كل ما عداها ولا يعتمدوا سواها فكان هذا هو الجمع الثاني للقرآن الكريم وتمت كتابة المصحف الإمام بما يحتمل وجوه القراءات وبهذا العمل وضع عثمان رضي الله عنه الأساس لما نسميه علم رسم القرآن أو علم الرسم العثماني

ثم جاء علي رضي الله عنه فلاحظ العجمة تحيف على اللغة العربية وسمع ما أوجس منه خيفة على لسان العرب فأمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع بعض قواعد لحماية لغة القرآن من هذا العبث والخلل وخط له الخطط وشرع له المنهج وبذلك يمكننا أن نعتبر أن عليا رضي الله عنه قد وضع الأساس لما نسميه علم النحو ويتبعه علم إعراب القرآن على الخلاف في هذه الرواية.

ثم انقضى عهد الخلافة الرشيدة وجاء عهد بني أمية وهمة مشاهير الصحابة والتابعين متجهة إلى نشر علوم القرآن بالرواية والتلقين لا بالكتابة والتدوين

ولكن هذه الهمة في هذا النشر يصح أن نعتبرها تمهيدا لتدوينها

وعلى رأس من ضرب بسهم وفير في هذه الرواية الأربعة الخلفاء وابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير وكلهم من الصحابة رضوان الله عليهم

وعلى رأس التابعين في تلك الرواية مجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة والحسن البصري وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم .

وهؤلاء جميعا يعتبر أنهم واضعو الأساس لما يسمى علم التفسير وعلم أسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم غريب القرآن ونحو ذلك

ومن أقدم ما وصلنا كبدء لتدوين علوم القرآن كتاب الناسخ والمنسوخ لقتادة بن دعامة السدوسي وكتاب التفسير لمجاهد بن جبر المكي وهما من كبار التابعين وهما مطبوعان متدولان الآن .

(**المراجع** : مناهل العرفان في علوم القرآن ١/٢١-٢٣)

خامسا : الأطوار التي مر بها بعد بدء التدوين :

وفي القرن الثاني انتشر تدوين بعضا من علوم القرآن وعلى وجه الخصوص التفسير

ومن أوائل الكاتبين في التفسير يزيد بن هارون وشعبة بن الحجاج وسفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وتفاسيرهم جامعة لأقوال الصحابة والتابعين .

ثم تلاهم في القرن الثالث يحيى بن سلام المغربي ثم ابن جرير الطبري وكتابه أجل التفاسير وأعظمها لأنه أول من عرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض كما عرض للإعراب والاستنباط .

أما علوم القرآن الأخرى ففي مقدمة المؤلفين فيها علي بن المديني شيخ البخاري إذ ألف في أسباب النزول وأبو عبيد القاسم بن سلام إذ كتب في الناسخ والمنسوخ والقراءات وابن قتبة إذ كتب في مشكل القرآن وهم من علماء القرن الثالث .

وفي مقدمة من ألف في غريب القرآن أبو بكر السجستاني وكذا النسائي حيث ألف في فضائل القرآن ، والدوري حيث ألف في قراءات النبي ﷺ وهم من علماء القرن الرابع .

وفي طليعة من صنف في إعراب القرآن علي بن سعيد الحوفي وهو من علماء القرن الخامس

ومن أوائل من كتب في مبهمات القرآن أبو القاسم عبد الرحمن المعروف بالبسيلي وهو من علماء القرن السادس

كذلك تصدر للتأليف في مجاز القرآن ابن عبد السلام وفي القراءات علم الدين السخاوي وهما من علماء القرن السابع .

كما لا يمكن أن نغفل دور علماء السنة ومدونيها في تضمين كتبهم أبوابا في بعض أنواع علوم القرآن كالتفسير وأسباب النزول وفضائل القرآن ونحوها .

وهكذا قويت العزائم وتبارت الهمم ونشأت علوم جديدة للقرآن

وظهرت مؤلفات في كل نوع منها سواء في ذلك أقسام القرآن وأمثال القرآن وحجج القرآن وبدائع القرآن ورسم القرآن وما أشبهها مما يملأ خزائن كاملة من أعظم المكتبات في العالم .

وإذا أضفت إلى علوم القرآن ما جاء في الحديث النبوي الشريف وعلومه وكتبه وبحوثه باعتبارها من علوم القرآن نظرا إلى أن الحديث شارح للقرآن يبين مبهماته ويفصل مجملاته ويخصص عامه تراءى لك بحر متلاطم الأمواج

فإذا زدت عليها سائر العلوم الدينية والعربية باعتبارها خادمة للقرآن أو مستمدة منه رأيت نفسك أمام مؤلفات كالجبال وموسوعات تكاثر الرمال .

ولا ريب أن تلك المجهودات الجبارة لا يتهيأ لإنسان أن يحيط بها ولو أفنى عمره واستنفد وسعه

لهذا اشرأبت أعناق العلماء أن يعتصروا من تلك العلوم علما جديدا يكون كالفهرس لها والدليل عليها والمتحدث عنها

فكان هذا العلم هو ما نسميه علوم القرآن بالمعنى المدون

ولا نعلم أن أحدا قبل أواخر القرن الثالث للهجرة ألف أو حاول أن يؤلف في علوم القرآن بالمعنى المدون لأن الدواعي لم تكن موفورة لديهم نحو هذا النوع من التأليف

وإن كنا نعلم أنها كانت مجموعة في صدور المبرزين من العلماء على الرغم من أنهم لم يدونوها في كتاب ولم يفردوها باسم

وأول من تكلم في فنون هذا العلم الشافعي رحمه الله فروي أنه عندما سيق في محنته إلى الرشيد مكبلا بالحديد في بغداد سأله الرشيد حين لمح علمه وفضله فقال كيف علمك يا شافعي بكتاب الله عز وجل فإنه أولى الأشياء أن يبتدأ به

فقال الشافعي : عن أي كتاب من كتب الله تسألني يا أمير المؤمنين فإن الله تعالى قد أنزل كتبا كثيرة

قال الرشيد : قد أحسنت لكن إنما سألت عن كتاب الله المنزل على ابن عمي محمد صلى الله عليه وسلم

فقال الشافعي : إن علوم القرآن كثيرة فهل تسألني عن محكمه ومتشابهه أو عن تقديمه وتأخيره أو عن ناسخه ومنسوخه أو عن أو عن وصار يسرد عليه من علوم القرآن ويجيب على كل سؤال بما أدهش الرشيد والحاضرين .

وأول من ألف في علوم القرآن محمد بن خلف بن المرزبان المتوفي ٣٠٩هـ حيث ألف كتابه الحاوي في علوم القرآن .

وتلاه ابن الأنباري المتوفي ٣٢٨هـ وله عجائب علوم القرآن .

وتلاه محمد بن علي الأدفوي المتوفي سنة ٣٨٨هـ حيث ألف الاستغناء في علوم القرآن .

وفي هذا القرن أيضا ألف أبو الحسن الأشعري المختزن في علوم القرآن وهو كبير جدا .

ثم علي بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي المتوفي سنة ٤٣٠هـ وله كتاب سماه البرهان في علوم القرآن .

وقف عليه الزرقاني وقال : يقع في ثلاثين مجلدا والموجود منه الآن خمسة عشر مجلدا غير مرتبة ولا متعاقبة من نسخة مخطوطة .

وقد ذكر الزرقاني أن هذا الكتاب أتى على علوم القرآن ولكن لا على طريقة ضم النظائر والأشباه بعضها إلى بعض تحت عنوان واحد لنوع واحد وإنما يسوقها حسب توالي الآيات حتى كأن هذا التأليف تفسير من التفاسير عرض فيه صاحبه لأنواع من علوم القرآن عند المناسبات .

ثم جاء القرن السادس فألف فيه ابن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧هـ كتابين أحدهما اسمه فنون الأفنان في علوم القرآن . وقد طبع محققا وهو صغير الحجم ويبدو أنه غير الذي وصفه السيوطي بقوله : لم يقرأ مثله ولا قريبا منه . والثاني اسمه المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن . وهو مخطوط بدار الكتب المصرية .

وفي القرن السابع ألف علم الدين السخاوي المتوفي سنة ٦٤١هـ كتابا سماه جمال القراء وهو مطبوع في مجلدين .

وألف أبو شامة المتوفي سنة ٦٦٥هـ كتابا أسماه المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز وهما كما قال السيوطي عبارة عن طائفة يسيرة ونبذ قصيرة بالنسبة للمؤلفات التي ألفت بعد ذلك في هذا النوع

ثم أهل القرن الثامن فكتب فيه بدر الدين الزركشي المتوفي سنة ٧٩٤هـ كتابا سماه البرهان في علوم القرآن وهو مطبوع في أربعة مجلدات وهو من أعظم ما ألف في هذا الفن .

ثم طلع القرن التاسع على هذا العلم باليمن والبركة فدرج فيه وترعرع إذ ألف محمد بن سليمان الكافيجي المتوفي سنة ٨٧٣هـ كتابا يقول السيوطي عنه إنه لم يسبق إليه وهو مطبوع في مجلد لطيف واسمه التيسير في قواعد علم التفسير .

وفي هذا القرن أيضا وضع جلال الدين البلقيني كتابا سماه مواقع العلوم من مواقع النجوم

وفي هذا القرن التاسع أيضا ألف السيوطي كتابا سماه التحبير في علوم التفسير ضمنه ما ذكره البلقيني من الأنواع مع زيادة مثلها وأضاف إليه فوائد سمحت قريحته بنقلها

وقد أوفي هذا الكتاب على الاثنين بعد المائة من الأنواع

وفرغ الإمام من تأليف تحبيره هذا سنة ٨٧٢هـ غير أن نفسه الكبيرة لم تقنع بهذا المجهود العظيم بل طمح إلى التبحر والتوسع والترتيب فوضع كتابه الثاني كتاب الإتقان في علوم القرآن وهو عمدة الباحثين والكاتبين في هذا الفن

ذكر فيه ثمانين نوعا من أنواع علوم القرآن على سبيل الإجمال والإدماج ثم قال بعد أن سردها نوعا نوعا ولو نوعت باعتبار ما أدمجته فيها لزادت على الثلاثمائة ا.هـ

وتوفي السيوطي رحمه الله سنة ٩١١هـ في مفتتح القرن العاشر وكأن نهايته كانت نهاية لنهضة التأليف في علوم القرآن عليه سحائب الرحمة والرضوان فلم نر من سار في هذا المضمار مثله بعده كما لم نر من بزه فيه قبله .

ثم عادت حركة النشاط والتأليف في هذا العلم مرة أخرى

فألف الشيخ طاهر الجزائري كتابا جليلا سماه التبيان في علوم القرآن يقع في قريب من ثلاثمائة صفحة وفرغ من تأليفه سنة ١٣٣٥هـ

وألف الشيخ محمود أبو دقيقة مذكرة قيمة لطلاب تخصص الدعوة والإرشاد بكلية أصول الدين .

وكذا الشيخ محمد علي سلامة كتابه منهج الفرقان في علوم القرآن

ثم الشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني حيث ألف كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن وهو من أجل المؤلفات في هذا الفن وسوف نخصه بالحديث إن شاء الله تعالى .

ثم الشيخ أحمد أحمد علي فله مذكرة في علوم القرآن

ثم كتاب مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح وقد انتشر انتشارا واسعا .

ثم كتاب محاضرات في علوم القرآن لأحمد ياسين خياري .

ثم كتاب مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان .

فكتاب البيان في علوم القرآن للدكتورين سليمان القرعاوي ومحمد الحسن .

وأخيرا كتاب بحوث في علوم القرآن الكريم لشيخنا الدكتور عبد الغفور مصطفي .

وقد كتبت بعضا من مباحث علوم القرآن على وجه الاختصار أثناء تدريسي لطلاب كلية التربية وضمنتها مؤلفا باسم المدخل الصغير إلى علوم القرآن والحديث والعقيدة والتفسير .

ولم يطبع بعد .

وتوجد مؤلفات في بعض مباحث من علوم القرآن لكثير من أهل العلم خلال هذه القرون جميعها لا نطيل بذكرها .

(الكتاب الأصل : الإتقان في علوم القرآن ١/١٩-٢١، المراجع : مناهل العرفان في علوم القرآن ١/٢٣-٣٠ ، البيان في علوم القرآن ١١-١٤ ، مباحث في علوم القرآن _ صبحي الصالح ص١١٩-١٢٦ ، مباحث في علوم القرآن _ القطان ٩-١٦)

نكتفي بهذا القدر في هذه المحاضرة ونستكمل حديثنا في المحاضرة القادمة مبتدئين بالعلوم التي عني بها هذا الفن .

الأسئلة :

المجموعة الأولى (١٠)

ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة :

١- علم النسخ العثماني أحد علوم القرآن . (صح)

٢- من تعريفات العلم أنه صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات . (صح)

٣- العلم ليس إلا خصوص اليقينيات التي تستند إلى الحس وحده . (خطأ)

٤- العلم القديم ينقسم إلى ثلاثة أقسام : بدهي وضروري واستدلالي (خطأ)

٥- العلم الاستدلالي هو الذي لا يحصل بدون نظر وفكر . (صح)

٦- العلم في لسان الشرع يطلق على معرفة الله تعالى وآياته وأفعاله في عباده وخلقه (صح)

٧- المختار أن لفظ قرآن غير المهموز علم على كتاب الله مرتجل . (خطأ)

٨- علوم القرآن عبارة عن مباحث تتعلق بالقرآن الكريم ، ولكن ليس من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه (خطأ)

٩- أول من تكلم في فنون علوم القرآن الإمام أحمد مع الرشيد أيام المحنة . (خطأ)

١٠- ألف السيوطي كتابه الإتقان ثم اختصره في كتابه التحبير . (خطأ)

المجموعة الثانية (١٠)

ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة :

١- من الذي فسر قوله تعالى ﴿ وإنه لذو علم لما علمناه ﴾ بقوله : لذو عمل بما علمناه .

(ابن عيينة ، قتادة ، ابن مسعود)

٢- من القائل : كل العلوم سوى القرآن مشغلة

إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

(النووي ، الزركشي ، الشافعي)

٣- في قوله ﷺ خفف على داود عليه السلام القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه . أراد بالقرآن هنا المعنى :

(اللغوي _ الاصطلاحي _ كليهما)

٤- القائلون : القرآن هو الكلام النفسي أو اللفظ الدال على الكلمات الأزلية الحكمية .

(الصوفية _ أهل السنة والجماعة _ أهل الكلام)

٥- بدأ التدوين في علوم القرآن في عصر

٦- (التابعين _ أتباع التابعين _ العباسيين)

٧- أول من ألف في علوم القرآن

(الشافعي _ الكافييجي _ ابن المرزبان)

٨- أكمل المؤلفات في علوم القرآن إلى عصرنا الحالي هو كتاب :

(البرهان _ الإتقان _ التبيان)

٩- أقدم ما وصلنا من كتب علوم القرآن كتاب الناسخ والمنسوخ لمؤلفه :

(ابن النحاس _ قتادة السدوسي _ ابن المديني)

١٠- الذي وضع الأساس لما نسميه علم رسم القرآن هو :

(أبو بكر الصديق _ عثمان بن عفان _ علي بن أبي طالب)

المجموعة الثالثة (١٠)

ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملأ الفراغ :

١- روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل : آية محكمة أو سنة قائمة أو .... عادلة .

(نصيحة _ فريضة _ قضية)

٢- القرآن .... لفظي بدليل التبادر عند إطلاقه على الكل وعلى البعض كليهما .

(مدلول _ مشترك _ تعريف)

٣- بعضهم يطلق على علوم القرآن أيضا أصول ...

(الدراسات القرآنية _ التفسير _ فهم القرآن)

٤- أقدم كتاب في التفسير هو كتاب ...

(عبد الرزاق _ ابن جرير _ مجاهد)

٥- لا نعلم أن أحدا قبل أواخر القرن ..... للهجرة ألف في علوم القرآن

(الرابع _ الخامس _ الثالث)

٦- تفسير ..... هو أجل التفاسير وأعظمها .

(ابن سلام _ ابن جرير _ ابن تيمية)

٧- اتجه مشاهير الصحابة والتابعين إلى نشر علوم القرآن ......

(بالرواية ، بالكتابة ، بهما معا)

٨- يعتبر ..... هو أول من وضع مبادئ علم النحو .

(علي بن أبي طالب _ أبو الأسود الدؤلي _ سيبويه)

٩- أذن النبي ﷺ في كتابة الحديث آخر الأمر وكان .... ممن كتب الحديث في عهده ﷺ

(عمرو بن العاص _ أبو بكر الصديق _ أبو هريرة)

١٠- خرجت ...... إذا تواترت بقولهم في تعريف القرآن : المتعبد بتلاوته .

(الأحاديث القدسية _ الآيات منسوخة التلاوة _ الآيات منسوخة الحكم)

المحاضرة الثانية

ذكر طرف من العلوم التي عني بها هذا الفن (١–٨)

***

العنصر الأول : المباحث التي تدور حولها في الغالب علوم القرآن :

سبق أن ذكرنا في المحاضرة الفائتة أن الإمام جلال الدين البلقيني صنف كتابا في علوم القرآن وهو من طليعة ما ألف في هذا الفن وأسماه مواقع العلوم من مواقع النجوم وهذا الكتاب ذكر في مقدمته ما وصل إلى علمه مما حواه القرآن الشريف من أنواع علمه المنيف فذكر أمورا ستة:

الأمر الأول : مواطن النزول وأوقاته ووقائعه وفي ذلك اثنا عشر نوعا المكي المدني السفري الحضري الليلي النهاري الصيفي الشتائي الفراشي النومي أسباب النزول أول ما نزل آخر ما نزل

الأمر الثاني : السند وهو ستة أنواع المتواتر الآحاد الشاذ قراءات النبي صلى الله عليه وسلم الرواة الحفاظ

الأمر الثالث : الأداء وهو ستة أنواع الوقف الابتداء الإمالة المد تخفيف الهمزة الإدغام

الأمر الرابع : الألفاظ وهو سبعة أنواع الغريب المعرب المجاز المشترك المترادف الاستعارة التشبيه

الأمر الخامس : المعاني المتعلقة بالأحكام وهو أربعة عشر نوعا العام الباقي على عمومه العام المخصوص العام الذي أريد به الخصوص ما خص فيه الكتاب السنة ما خصصت فيه السنة الكتاب المجمل المبين المؤول المفهوم المطلق المقيد الناسخ والمنسوخ نوع من الناسخ والمنسوخ وهو ما عمل به من الأحكام مدة معينة والعامل به واحد من المكلفين

الأمر السادس : المعاني المتعلقة بالألفاظ وهو خمسة أنواع الفصل الوصل الإيجاز الإطناب القصر .

ثم ذكر قسما لا يدخل تحت الحصر مثل : الأسماء الكنى الألقاب المبهمات .

وعندما نقل ذلك عنه السيوطي ذكر أن كلامه فيها يحتاج إلى تحرير وتتمات وزوائد مهمات فصنف في ذلك كتابه التحبير في علوم التفسير فضمنه ما ذكر البلقيني من الأنواع مع زيادة مثلها وأضاف إليه جملة من الفوائد .

وهناك قسم جامع يمكن أن يزاد على كلام البلقيني وهو ما يتعلق بشرف القرآن وهو أنواع فمن ذلك أسماؤه وأسماء سوره وجمعه وكتابته وترتيبه وخواصه وآداب حامله وتاليه وفضائله العامة وفضائل سوره وفضل حفاظه وقارئيه .

ثم صنف الزركشي كتابه البرهان في علوم القرآن فنقل عن القاضي أبي بكر بن العربي في كتابه قانون التأويل أن علوم القرآن خمسون علما وأربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة قال بعض السلف إن لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وهذا مطلق دون اعتبار تراكيبه وما بينها من روابط وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله عز وجل

قال : وأم علوم القرآن ثلاثة أقسام : توحيد وتذكير وأحكام :

فالتوحيد : تدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله .

والتذكير : ومنه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن .

والأحكام : ومنها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار والأمر والنهى والندب

فالأول وإلهكم إله واحد فيه التوحيد كله في الذات والصفات والأفعال

والثاني وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين

والثالث وأن احكم بينهم

ولذلك قيل في معنى قوله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن يعنى في الأجر وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

وقيل : ثلثه في المعنى لأن القرآن ثلاثة أقسام كما ذكرنا وهذه السورة اشتملت على التوحيد ولهذا المعنى صارت فاتحة الكتاب أم الكتاب لأن فيها الأقسام الثلاثة

فأما التوحيد فمن أولها إلى قوله يوم الدين وأما الأحكام ف إياك نعبد وإياك نستعين وأما التذكير فمن قوله اهدنا إلى آخرها فصارت بهذا أما لأنه يتفرع عنها كل نبت وقيل صارت أما لأنها مقدمة على القرآن بالقبلية والأم قبل البنت

وقيل سميت فاتحة لأنها تفتح أبواب الجنة على وجوه مذكورة في مواضعها

وقال أبو الحكم بن برجان في كتاب الإرشاد : وجملة القرآن تشتمل على ثلاثة علوم علم أسماء الله تعالى وصفاته ثم علم النبوة وبراهينها ثم علم التكليف والمحنة قال وهو أعسر لإغرابه وقلة انصراف الهمم إلى تطلب مكانه

وقال غيره : القرآن يشتمل على أربعة أنواع من العلوم أمر ونهى وخبر واستخبار .

وقيل : ستة ، وزاد الوعد والوعيد

وقال محمد بن جرير الطبرى يشتمل على ثلاثة أشياء التوحيد والأخبار والديانات .

وقال علي بن عيسى القرآن يشتمل على ثلاثين شيئا : الإعلام والتنبيه والأمر والنهي والوعد والوعيد ووصف الجنة والنار وتعليم الإقرار باسم الله وصفاته وأفعاله وتعليم الاعتراف بإنعامه والاحتجاج على المخالفين والرد على الملحدين والبيان عن الرغبة والرهبة والخير والشر والحسن والقبيح ونعت الحكمة وفضل المعرفة ومدح الأبرار وذم الفجار والتسليم والتحسين والتوكيد والتفريع والبيان عن ذم الإخلاف وشرف الأداء .

قال القاضي أبو المعالي : وعلى التحقيق أن تلك الثلاثة التي قالها محمد بن جرير تشمل هذه كلها بل أضعافها فإن القرآن لا يستدرك ولا تحصى غرائبه وعجائبه قال تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو .

العنصر الثاني : تتمة لمباحث علوم القرآن :

وقال غيره : علوم ألفاظ القرآن أربعة الإعراب وهو في الخبر

والنظم وهو القصد نحو واللائي لم يحضن معنى باطن نظم بمعنى ظاهر

وقوله قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق كأنه قيل قالوا ومن يبدأ الخلق ثم يعيده فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول الله يبدأ الخلق لفظ ظاهر نظم بمعنى باطن

والتصريف في الكلمة كأقسط عدل وقسط جار وبعد ضد قرب وبعد هلك

والاعتبار وهو معيار الأنحاء الثلاثة وبه يكون الاستنباط والاستدلال وهو كثير منه ما يعرف بفحوى الكلام ومعنى اعتبرت الشيء طلبت بيانه عبرت الرؤيا بينتها قال الله تعالى (فاعتبروا)

بعد (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم) دل على أن انتقامه بالخروج من الدار من أعظم الوجوه وأول الحشر دل على أن له توابع لأن أول لا يكون إلا مع آخر وكان هذا في بنى النضير ثم أهل نجران ما ظننتم أن يخرجوا إلا بنبأ وأنهم يستقلون عدد من كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء فيه دليل على أن الإخراج مثل العذاب في الشدة إذ جعل بدله

وقد يتعدد الاعتبار نحو : أتاني غير زيد أي أتياه أو أتاه غير زيد لا هو .

لو شئت أنت لم أفعل أمرتنى أو نهيتنى قال الله تعالى لو شاء الله ما عبدنا رد عليهم بأن الله لا يأمر بالفحشاء بدليل قوله والله أمرنا بها وإذا حللتم فاصطادوا فالاعتبار إباحة ومن الاعتبار ما يظهر بآى أخر كقوله فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا فهذه تعتبر بآخر الواقعة من أن الناس على ثلاثة منازل أى أحل كل فريق في منزلة له والله بصير بمنازلهم

ومنه ما يظهر بالخبر كقوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله بمعنى الحديث إن اليهود قالوا لو جاء به ميكائيل لاتبعناك لأنه يأتى بالخير وجبريل لم يأت بالخير قط وأى خير أجل من القرآن

ومن ضروب النظم قوله تعالى من كان يريد العزة فلله إن حمل على أن يعتبر أن العزة له لم ينتظم به ما بعده وإن حمل على معنى أن يعلم لمن العزة انتظم

ثم عندما اطلع السيوطي على كتاب الزركشي البرهان في علوم القرآن قوي عزمه فألف كتابه الإتقان الذي حوى ما سبقه وزاد عليه الكثير إلا أنه أدخل فيه ما نوزع في اعتباره من علوم القرآن ويحسن بنا هنا أن نذكر ما ذكره الزرقاني حول ذلك حيث قال :

وتلك أشتات من العلوم توسع السيوطي فيها حتى اعتبر منها علم الهيئة والهندسة والطب ونحوها

ثم نقل عن أبي بكر بن العربي في قانون التأويل أنه قال علوم القرآن خمسون وأربعمائة وسبعة آلاف وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة ... فذكر كلام ابن العربي السابق مختصرا ثم قال :

وأحب أن تعرف أن هذا الكلام من السيوطي وابن العربي محمول على ضرب كبير من التأويل والتوسع بأن يراد من العلوم كل ما يدل عليه القرآن من المعارف سواء أكانت علوما مدونة أم غير مدونة وسواء أكانت تلك الدلالة تصريحية أم تلميحية عن قرب أم عن بعد

فأما أن تراد العلوم المدونة صراحة فدون ذلك خرط القتاد وصعود السماء

وتحقيق القول في هذا الموضوع أن القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز من أجل هذين المطمحين نزل وفيهما تحدث وعليهما دل

فكل علم يتصل بالقرآن من ناحية قرآنيته أو يتصل به من ناحية هدايته أو إعجازه فذلك من علوم القرآن

وهذا ظاهر في العلوم الدينية والعربية

أما العلوم الكونية وأما المعارف والصنائع وما جد أو يجد في العالم من فنون ومعارف كعلم الهندسة والحساب وعلم الهيئة والفلك وعلم الاقتصاد والاجتماع وعلم الطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان والنبات فإن شيئا من ذلك لا يجمل عده من علوم القرآن لأن القرآن لم ينزل ليدلل على نظرية من نظريات الهندسة مثلا ولا ليقرر قانونا من قوانينها

وكذلك علم الهندسة لم يوضع ليخدم القرآن في شرح آياته أو بيان أسراره

وهكذا القول في سائر العلوم الكونية والصنائع العالمية

وإن كان القرآن قد دعا المسلمين إلى تعلمها وحذقها والتمهر فيها خصوصا عند الحاجة إليها

وإنما قلنا إنه لا يجمل اعتبار علوم الكون وصنائعه من علوم القرآن مع أن القرآن يدعو إلى تعلمها لأن هناك فرقا كبيرا بين الشيء يحث القرآن على تعلمه في عموماته أو خصوصاته وبين العلم يدل القرآن على مسائله أو يرشد إلى أحكامه أو يكون ذلك العلم خادما للقرآن بمسائله أو أحكامه أو مفرداته

فالأول ظاهر أنه لا يعتبر من علوم القرآن بخلاف الثاني

وهو ما نريد أن نرشدك إليه وأن تحرص أنت بدورك عليه

أجل إن القرآن حض على معرفة علوم الكون وصنائع العالم وحث على الانتفاع بكل ما يقع تحت نظرنا في الوجود

قال سبحانه وتعالى قل انظروا ماذا في السماوات والأرض ١٠ يونس ١٠١

وقال جلت حكمته وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ٤٥ الجاثية ١٣

فلا يليق بالمسلمين وهم المخاطبون بهذا أن يفروا من وجه هذه المنافع العامة ولا أن يزهدوا في علوم الكون ولا أن يحرموا أنفسهم فوائد التمتع بثمرات هذه القوى العظيمة التي أودعها الله لخلقه في خزائن سمواته وأرضه

ولهذا نص علماؤنا على أن تعلم تلك العلوم الكونية وحذق هذه الصناعات الفنية فرض من فروض الكفايات ما داموا في حاجة إليها لمصلحة الفرد أو المجموع

وذلك لأن البقاء في هذه الحياة للأصلح والحياة في هذا الوجود للسلام المسلح والأسلحة في كل عصر عامة وفي هذا العصر خاصة إنما تقوم على التمهر في العلوم وعلى السبق في حلبة الصناعات والفنون

والويل فينا للضعيف والحظ كل الحظ للقوي والله تعالى يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ٨ الأنفال ٦٠ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيما رواه مسلم عن أبي هريرة المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان

وأحب ألا أنتهي من هذا الموضوع حتى أنبهك إلى شيء آخر جدير بالنظر والتقدير وهو أن القرآن الكريم في طريقة عرضه للهداية والإعجاز على الخلق قد حاكم الناس إلى عقولهم وفتح عيونهم إلى الكون وما في الكون من سماء وأرض وبر وبحر وحيوان ونبات وخصائص وظواهر ونواميس وسنن

وكان القرآن في طريقة عرضه هذه موفقا كل التوفيق بل كان معجزا أبهر الإعجاز لأن حديثه عن تلك الكونيات كان حديث العليم بأسرارها الخبير بدقائقها المحيط بعلومها ومعارفها على

حين أن هذا الذي جاء بالقرآن رجل أمي نشأ في أمة أمية جاهلة لا صلة لها بتلك العلوم وتدوينها ولا إلمام لها بكتبها ومباحثها

بل إن بعض تلك العلوم لم ينشأ إلا بعد عهد النبوة ومهبط الوحي بقرون وأجيال

فأنى يكون لرجل أمي كمحمد ﷺ ذلك السجل الجامع لتلك المعارف كلها إن لم يكن تلقاه من لدن حكيم عليم قال سبحانه مقررا لهذا الإعجاز العلمي وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ٢٩ العنكبوت ٤٨ ٤٩ ولعل من الحكمة أن نسوق لك نموذجين من القرآن على سبيل التمثيل أولهما في سورة النور إذ يقول الله تعالى ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ٢٤ النور ٤٣

قل لي بربك ألا يملكك العجب حين تقرأ هذا النص الكريم الذي يتفق وأحدث النظريات العلمية في الظواهر الطبيعية من سحاب ومطر وبرق

النموذج الثاني يقول الله تعالى في سورة القيامة مبينا ومقررا كمال اقتداره على إعادة الإنسان وبعثه بعد موته أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه ٧٥ القيامة ٣ ٤

أرجو أن تقف قليلا عند تخصيصه البنان بالتسوية في هذا المقام

ثم تستمع بعد ذلك إلى هذا العلم الوليد علم تحقيق الشخصية في عصرنا الأخير وهو يقرر أن أدق شيء وأبدعه في بناء جسم الإنسان هو تسوية البنان حتى إنه لا يمكن أن تجد بنانا لأحد يشبه بنان آخر بحال من الأحوال

وقد انتهوا من هذا القرار إلى أن حكموا البنان في كثير من القضايا والحوادث فتبارك الله أحسن الخالقين ٢٣ المؤمنون ١٤ ولا أريد أن أطيل عليك في هذا فمعجزات القرآن العلمية لها ميدان آخر

إنما هي نظرة خاطفة نوضح بها المراد بعلوم القرآن ونوجه بها كلام السيوطي في الإتقان ونعتذر فيها عن ابن العربي في التأويل

والله وحده هو المحيط بأسرار كتابه

ولا يزال الكون وما يحدث في الكون من علوم وفنون وشؤون لا يزال كل أولئك يشرح القرآن ويفسره ويميط اللثام عن نواح كثيرة من أسراره وإعجازه مصداقا لقوله جل ذكره سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ٤١ فصلت ٥٣

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ١٢ يوسف ٢١

انتهي كلام الزرقاني الذي عقب به على كلام السيوطي وقبله ابن العربي وما ختم به من حديث عن إعجاز القرآن العلمي هو ضرب من ضروب إعجاز القرآن وهو أحد علوم القرآن التي سوف يأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى .

وهذا سرد لأبواب علوم القرآن التي توصل إليها السيوطي رحمه الله وبحثها في كتابه العظيم نتبعها إن شاء الله بمزيد توضيح للمراد منها حسب تقسيمات البلقيني الجامعة والقسم الذي أضفناه إليها :

النوع الأول معرفة المكي والمدني

الثاني معرفة الحضري والسفري

الثالث النهاري والليلي

الرابع الصيفي والشتائي

الخامس الفراشي والنومي

السادس الأرضي والسمائي

السابع أول ما نزل

الثامن آخر ما نزل

التاسع أسباب النزول

العاشر ما نزل على لسان بعض الصحابة

الحادي عشر ما تكرر نزوله

الثاني عشر ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه

الثالث عشر معرفة ما نزل مفرقا وما نزل جمعا

الرابع عشر ما نزل مشيعا وما نزل مفردا

الخامس عشر ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم

السادس عشر في كيفية إنزاله

السابع عشر في معرفة أسمائه وأسماء سوره

الثامن عشر في جمعه وترتيبه

التاسع عشر في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه

العشرون في حفاظه ورواته

الحادي والعشرون في العالي والنازل

الثاني والعشرون معرفة المتواتر

الثالث والعشرون في المشهور

الرابع والعشرون في الآحاد

الخامس والعشرون في الشاذ

السادس والعشرون الموضوع

السابع والعشرون المدرج

الثامن والعشرون في معرفة الوقف والابتداء

التاسع والعشرون في بيان الموصول لفظا المفصول معنى

الثلاثون في الإمالة والفتح وما بينهما

الحادي والثلاثون في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب

الثاني والثلاثون في المد والقصر

الثالث والثلاثون في تخفيف الهمزة

الرابع والثلاثون في كيفية تحمله

الخامس والثلاثون في آداب تلاوته

السادس والثلاثون في معرفة غريبه

السابع والثلاثون فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز

الثامن والثلاثون فيما وقع فيه بغير لغة العرب

الرابع والستون في إعجاز القرآن

الخامس والستون في العلوم المستنبطة من القرآن

السادس والستون في أمثاله

السابع والستون في أقسامه

الثامن والستون في جدله

التاسع والستون في الأسماء والكنى والألقاب

السبعون في مبهماته

الحادي والسبعون في أسماء من نزل فيهم القرآن

الثاني والسبعون في فضائل القرآن

الثالث والسبعون في أفضل القرآن وفاضله

الرابع والسبعون في مفردات القرآن

الخامس والسبعون في خواصه

السادس والسبعون في رسوم الخط وآداب كتابته

السابع والسبعون في معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة إليه

الثامن والسبعون في شروط المفسر وآدابه

التاسع والسبعون في غرائب التفسير

الثمانون في طبقات المفسرين

قال السيوطي : فهذه ثمانون نوعا على سبيل الإدماج ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمائة وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة وقفت على كثير منها .

انتهى كلام السيوطي رحمه الله ونحن بعون الله خلال دراستنا لهذا العلم سوف نتعرض لكثير من تلك المباحث بصورة تفصيلية إلا أن ذلك لا يمنع من إلقاء الضوء عليها باختصار ليتم للطالب الإلمام بها والتطلع إلى الاستزادة من المعلومات التفصيلية عنها

(**الكتاب الأصل** : الإتقان في علوم القرآن ١/٢٠-٢٥ **المراجع** : البرهان في علوم القرآن ١/١٦-١٩ ، مناهل العرفان في علوم القرآن ١/١٨-٢٠)

ونبدأ بمبحث مواطن النزول وأوقاته :

ويندرج تحته معرفة المكي والمدني

والحضري والسفري

والنهاري والليلي

والصيفي والشتائي

والفراشي والنومي

والأرضي والسمائي

وأول ما نزل

وآخر ما نزل

وأسباب النزول

وما نزل على لسان بعض الصحابة

وما تكرر نزوله

وما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه

ومعرفة ما نزل مفرقا وما نزل جمعا

وما نزل مشيعا وما نزل مفردا

وما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيفية إنزاله

أولا : المكي والمدني :

أفرده بالتصنيف جماعة منهم مكي بن أبي طالب

ومن فوائد معرفة ذلك العلم بالمتأخر فيكون ناسخا أو مخصصا على رأي من يرى تأخير المخصص

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة والمدينة وما نزل بمكة

وحكمه مدني وما نزل بالمدينة وحكمه مكي وما نزل بمكة في أهل المدينة وما نزل بالمدينة في أهل مكة وما يشبه نزول المكي في المدني وما يشبه نزول المدني في المكي وما نزل بالجحفة وما نزل ببيت المقدس وما نزل بالطائف وما نزل بالحديبية وما نزل ليلا وما نزل نهارا وما نزل مشيعا وما نزل مفردا والآيات المدنيات في السور المكية والآيات المكيات في السور المدنية وما حمل من مكة إلى المدينة وما حمل من المدينة إلى مكة وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة وما نزل مجملا وما نزل مفسرا وما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني وبعضهم مكي فهذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى انتهى

وقال ابن العربي في كتابه الناسخ والمنسوخ الذي علمناه على الجملة من القرآن أن منه مكيا ومدنيا وسفريا وحضريا وليليا ونهاريا وسمائيا وأرضيا وما نزل بين السماء والأرض وما نزل تحت الأرض في الغار

وقال ابن النقيب في مقدمة تفسيره المنزل من القرآن على أربعة أقسام مكي ومدني وما بعضه مكي وبعضه مدني وما ليس بمكي ولا مدني

واعلم أن للناس في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة

أشهرها أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار

الثاني أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة وعلى هذا تثبت الواسطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني

قال السيوطي : ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل بمنى وعرفات والحديبية وفي المدينة ضواحيها كالمنزل ببدر وأحد وسلع

الثالث أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة

قال القاضي أبو بكر : إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قول لأنه لم يؤمر به ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول انتهى

وقال أبو الحسن بن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ المدني باتفاق عشرون سورة والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة وما عدا ذلك مكي باتفاق ثم نظم في ذلك أبياتا

وكل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة إلا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل

وقال ابن حجر في شرح البخاري قد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية قال وأما عكس ذلك وهو نزول شيء من سورة بمكة تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة فلم أره إلا نادرا

وقد ذكر السيوطي ما وقف عليه من المستثنيات مع أدلة ذلك .

وقد ذكر بعض أهل العلم ضوابط في المكي والمدني

ومن ذلك ما أخرجه الحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل والبزار في مسنده من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال ما كان يا أيها الذين آمنوا أنزل بالمدينة وما كان يا أيها الناس فبمكة

وقال مكي هذا إنما هو في الأكثر وليس بعام وفي كثير من السور المكية يا أيها الذين آمنوا

وقال غيره الأقرب حمله على أنه خطاب المقصود به أو جل المقصود به أهل مكة أو المدينة

وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه قال كل شيء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون فإنما نزل بمكة وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة

مثال ما نزل بمكة وحكمه مدني يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية نزل بمكة يوم الفتح وهي مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة وقوله اليوم أكملت لكم دينكم كذلك

ومثال ما نزل بالمدينة وحكمه مكي سورة الممتحنة فإنها نزلت بالمدينة مخاطبة لأهل مكة وقوله في النحل والذين هاجروا إلى آخرها نزل بالمدينة مخاطبا به أهل مكة وصدر براءة نزل بالمدينة خطابا لمشركي أهل مكة

ومثال ما يشبه تنزيل المدني في السور المكية قوله في النجم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم فإن الفواحش كل ذنب فيه حد والكبائر كل ذنب عاقبته النار واللمم ما بين الحدين من الذنوب ولم يكن بمكة حد ولا نحوه

ومثال ما حمل إلى الروم قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء الآيات

وينبغي أن يمثل لما حمل إلى الحبشة بسورة مريم فقد صح أن جعفر بن أبي طالب قرأها على النجاشي وأخرجه أحمد في مسنده .

(**الكتاب الأصل** : الإتقان في علوم القرآن ١/٣٤-٥٩ **المراجع : البرهان في علوم القرآن ١/١٨٧-٢٠٥ ، مناهل العرفان ١/١٣٥-١٦٥**)

الأسئلة :

المجموعة الأولى (١٠)

ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة :

١- الناسخ والمنسوخ من المعاني المتعلقة بالأحكام . (صح)

٢- علم الهندسة والهيئة والطب يندرج تحت علوم القرآن . (خطأ)

٣- تعلم العلوم الكونية المحتاج إليها من فروض الكفايات . **(صح)**

٤- معرفة المكي والمدني لا تفيد في معرفة الناسخ والمنسوخ **(خطأ)**

٥- في قوله تعالى : ألم تر أن الله يزجي سحابا ... الآية إعجاز علمي (صح)

٦- القول المختار أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها **(صح)**

٧- مما قيل في تعريف المدني أنه ماوقع خطابا لأهل المدينة . (صح)

٨- مما قيل في تعريف المكي أنه ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة (صح)

٩- المكي والمدني منه آيات مستثناة تعتمد على اجتهاد جهابذة العلماء . (خطأ)

١٠- اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية. **(صح)**

المجموعة الثانية (١٠)

ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة :

١- في إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى

(علماء الأمة ، النبي ﷺ وأصحابه ، الصحابة والتابعين)

٢- الذي قسم علوم القرآن إلى سبعة أمور جامعة هو :

(السيوطي ، الزركشي ، البلقيني)

٣- مما حمل من القرآن إلى الحبشة سورة

(مريم _ التوبة _ النور)

٤- سورة الممتحنة

(مدنية وحكمها مكية _ مكية وحكمها مدنية _ مكية وحكمها مكية)

٥- ماكان من القرآن في الفرائض والسنن فإنما نزل غالبا

٦- (بالمدينة _ بمكة _ بمكة والمدينة)

٧- قراءات النبي ﷺ مما يتعلق بقسم

(النزول _ ما لا يدخل تحت الحصر _ السند)

٨- القول بأن علوم القرآن خمسون وأربعمائة وسبعة آلاف وسبعون ألف علم

(باطل _ فيه توسع _ صحيح)

٩- مثال لما نزل بمكة وحكمه مدني قوله تعالى :

(لاهن حل لهم _ اليوم أكملت لكم دينكم _ وقل رب أدخلني مدخل صدق)

١٠- افتقرت تقسيمات البلقيني إلى قسم سابع هو :

(شرف القرآن _ ما لا يدخل تحت الحصر _ تتمات وزوائد)

المجموعة الثالثة (١٠)

ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملأ الفراغ :

١- ماكان يا أيها الذين آمنوا فغالبا أنزل ....

(بمكة _ بالمدينة _ قبل الهجرة)

٢- من علوم القرآن المتعلقة بمبحث النزول وأوقاته ....

(ما نزل مشيعا _ المنسوخ _ المجمل والمبين)

٣- قال ابن جرير : القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء : التوحيد والأخبار و ...

(الوعيد_ الديانات _ ووصف الجنة والنار)

٤- مما نزل بالمدينة وحكمه مكي ...

(فاتحة الكهف _ فاتحة الكتاب _ صدر براءة)

٥- قوله تعالى : قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ... الآية مما حمل إلى :

(مكة _ الفرس _ الروم)

٦- كل علم يتصل بالقرآن من ناحية إعجازه فذلك من ....

(علوم التفسير _ علوم القرآن _ علوم التوحيد)

٧- من العلوم التي تخدم القرآن بمسائله أو أحكامه أو مفرداته

(معرفة الوجوه والنظائر ، الفلك ، العلوم الكونية)

٨- يعتبر ..... هو الجامع لما دونه من سبقه في علوم القرآن .

(ابن العربي _ السيوطي _ الزركشي)

٩- كتاب التحبير في علوم التفسير ألفه

(السيوطي _ الكافييجي _ البلقيني)

١٠- ألف الزرقاني رحمه الله كتابا حافلا في علوم القرآن سماه

(مناهل العرفان _ قانون التأويل _ البيان في علوم القرآن)

المحاضرة الثالثة

ذكر طرف من العلوم التي عني بها هذا الفن (٢-٨)

***

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد

فما زلنا نستمتع سويا بالحديث المختصر عن مبحث مواطن النزول وأوقاته :

وبقي لنا منه الحديث عن أول ما نزل وآخر ما نزل وأسباب النزول وما نزل على لسان بعض الصحابة وما تكرر نزوله وما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه ومعرفة ما نزل مفرقا وما نزل جمعا وما نزل مشيعا وما نزل مفردا وما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ ، وكيفية إنزاله .

فأما كيفية إنزاله فسوف ندرس منها بعد ما نحن بصدده الآن من كلام حول علوم القرآن المختلفة : الوحي وأقسامه وكذلك سندرس أسباب النزول وما يتعلق بها فسنفردها قريبا بالحديث المطول .

وأما أول ما نزل وآخر ما نزل وما نزل موافقا لبعض الصحابة وما تكرر نزوله وما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه وما نزل مفرقا وما نزل جمعا فسوف تكون إن شاء الله موضوعات مستقلة ندرسها باستفاضة في بداية الفصل الدراسي الثاني إن شاء الله ولكن من باب الإشارة إلى هذه الموضوعات نقول :

اختلف في أول ما نزل من القرآن على أقوال

أحدها وهو الصحيح اقرأ باسم ربك

روى الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ قال رسول الله ﷺ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فغطني الثالثة

حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره الحديث

وأخرج الطبراني في الكبير بسند على شرط الصحيح عن أبي رجاء العطاردي قال كان أبو موسى يقرئنا فيجلسنا حلقا عليه ثوبان أبيضان فإذا تلا هذه السورة اقرأ باسم ربك الذي خلق قال هذه أول سورة أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم

وقيل المدثر وقيل الفاتحة وسوف نفصل ذلك في وقته إن شاء الله تعالى .

(المراجع : الإتقان في علوم القرآن ١/٧٤-٨٢)

وأما آخر ما نزل ففيه اختلاف كذلك وأشهر ما قيل فيه :

مارواه الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال آخر آية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وآخر سورة نزلت براءة

كما أخرج البخاري عن ابن عباس قال آخر آية نزلت آية الربا

وروى البيهقي عن عمر مثله والمراد بها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا

وعند أحمد وابن ماجه عن عمر من آخر ما نزل آية الربا .

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير رحمه الله قال آخر ما نزل من القرآن كله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله الآية وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول هكذا قال .

وأخرج ابن جرير مثله عن ابن جريج .

ومن الأقوال التي قيلت في ذلك أيضا : آية الدين وقيل غير ذلك وسيأتي تفصيله كما وعدناكم إن شاء الله تعالى .

الإتقان في علوم القرآن ١/٨٢-٨٨

أما علم أسباب النزول فقد أفرده بالتصنيف جماعة أقدمهم علي بن المديني شيخ البخاري رحمه الله ومن أشهر هذه الكتب كتاب الواحدي وهو مطبوع متداول وكذا ألف فيه الحافظ

ابن حجر كتابه العجاب في بيان الأسباب وقد طبع ما وجد منه لأنه ناقص وألف فيه السيوطي أيضا كتابا حافلا موجزا محررا لم يؤلف مثله في هذا النوع سماه لباب النقول في أسباب النزول

قال الجعبري : نزول القرآن على قسمين قسم نزل ابتداء وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال

ومن فوائد هذا العلم : معرفة وجه الحكمة الباعثة على التشريع

ومنها الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال إلى غير ذلك .

قال الواحدي : لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها

وقال ابن تيمية : معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب

ومن أمثلة ذلك أنه أشكل على مروان بن الحكم رحمه الله معنى قوله تعالى ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ﴾ الآية وقال : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون حتى بين له ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه . أخرجه الشيخان .

والأمثلة كثيرة يأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى .

ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها .

وقد قال محمد بن سيرين رحمه الله سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال اتق الله وقل سدادا ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن .

وطريقة معرفة سبب النزول أن يذكر الصحابي حادثة أو سؤالا ثم يقول بعد ذلك فأنزل الله كذا أو فنزلت ... أما قولهم نزلت هذه الآية في كذا فقد قال ابن تيمية قولهم نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة سبب النزول ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب كما تقول عني بهذه الآية كذا .

وكثيرا ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسبابا متعددة ، وقد يذكر سبب واحد في نزول آيات متفرقة ولا إشكال في ذلك فقد ينزل في الواقعة الواحدة آيات عديدة في سور شتى

الإتقان في علوم القرآن ١/٨٧-١٠١

وأما ما أنزل من القرآن على لسان بعض الصحابة فهو في الحقيقة نوع من أسباب النزول والأصل فيه موافقات عمر وقد أفردها بالتصنيف جماعة

وقد أخرج الترمذي رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه . قال ابن عمر : وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر

وأخرج البخاري وغيره عن أنس ﷺ قال قال عمر ﷺ وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك

وأخرج مسلم عن ابن عمر عن عمر قال وافقت ربي في ثلاث في الحجاب وفي أسارى بدر وفي مقام إبراهيم .

الإتقان في علوم القرآن ١/١٠٤

وأما ما تكرر نزوله

فقد صرح جماعة من المتقدمين والمتأخرين بأن من القرآن ما تكرر نزوله قال ابن الحصار قد يتكرر نزول الآية تذكيرا وموعظة وذكر من ذلك خواتيم سورة النحل وأول سورة الروم وذكر ابن كثير منه آية الروح وذكر قوم منه الفاتحة وذكر بعضهم منه قوله ما كان للنبي والذين آمنوا الآية

وقال الزركشي : قد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا عند حدوث سببه خوف نسيانه ثم ذكر منه آية الروح وقوله وأقم الصلاة طرفي النهار الآية

الإتقان في علوم القرآن ١/١٠٦

وأما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه

فقال الزركشي في البرهان : قد يكون النزول سابقا على الحكم كقوله تعالى : قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فقد روى البيهقي وغيره عن ابن عمر أنها نزلت في زكاة الفطر وأخرج البزار نحوه مرفوعا . وقال بعضهم : لا أدري ما وجه هذا التأويل لأن السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة ولا صوم ! وأجاب البغوي بأنه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كما قال لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد فالسورة مكية وقد ظهر أثر الحل يوم فتح مكة حتى قال ﷺ : أحلت لي ساعة من نهار وكذلك نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر بن الخطاب فقلت أي جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصلتا بالسيف ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فكانت ليوم بدر أخرجه الطبراني في الأوسط .

الإتقان في علوم القرآن ١٠٦/١

ومن أمثلة ما تأخر نزوله عن حكمه آية الوضوء ففي صحيح البخاري عن عائشة قالت سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة فأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فثنى رأسه في حجري راقدا وأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة وقال حبست الناس في قلادة ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد فنزلت يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة إلى قوله لعلكم تشكرون فالآية مدنية إجماعا وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة .

قال ابن عبد البر معلوم عند جميع أهل المغازي أنه ﷺ لم يصل منذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء ولا يدفع ذلك إلا جاهل أو معاند قال والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدم العمل به ليكون فرضه متلوا بالتنزيل

وأما ما نزل مفرقا وما نزل جمعا

فالأول هو غالب القرآن ومن أمثلته في السور القصار اقرأ أول ما نزل منها إلى قوله ما لم يعلم . ومن أمثلة الثاني سورة الفاتحة والإخلاص والكوثر وتبت ولم يكن والنصر والمعوذتان نزلتا معا .

ومنه في السور الطوال المرسلات ففي المستدرك عن ابن مسعود قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار فنزلت عليه والمرسلات عرفا فأخذتها من فيه وإن فاه رطب بها فلا أدري بأيها ختم فبأي حديث بعده يؤمنون أو وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون

ومنه سورة الصف ومنه سورة الأنعام كما سيأتي .

الإتقان في علوم القرآن ١/١٠٧-١١٢

وأما ما نزل مشيعا وما نزل مفردا

فقال ابن حبيب وتبعه ابن النقيب : من القرآن ما نزل مشيعا وهو سورة الأنعام شيعها سبعون ألف ملك وفاتحة الكتاب نزلت ومعها ثمانون ألف ملك وآية الكرسي نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك وسورة يس نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا نزلت ومعها عشرون ألف ملك وسائر القرآن نزل به جبريل مفردا بلا تشييع .

أما سورة الأنعام فقد جاءت روايات كثيرة بذلك وقد فصلتها في كتابي موسوعة فضائل سور وآيات القرآن ويأتي تفصيلها عند حديثنا عن فضائل القرآن ومما ورد في ذلك ما رواه الحاكم والبيهقي من حديث جابر قال لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق قال الحاكم صحيح على شرط مسلم .

قال السيوطي : وأما الفاتحة وسورة يس و واسأل من أرسلنا فلم أقف على حديث فيها بذلك ولا أثر وأما آية الكرسي فقد ورد فيها وفي جميع آيات البقرة حديث أخرج أحمد في مسنده عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت الله لا إله إلا هو الحي القيوم من تحت العرش فوصلت بها

قال وبقي سور أخرى منها سورة الكهف قال ابن الضريس في فضائله أخبرنا يزيد بن عبد العزيز الطيالسي حدثنا إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن رافع قال بلغنا أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بسورة ملء عظمتها ما بين السماء والأرض شيعها سبعون ألف ملك سورة الكهف

قلت : وهذا مرسل ضعيف وأيضا ما قبله ولم يصح في التشييع شيء إلا في الأنعام وأحب أن أنبه إلى أمر في غاية الأهمية وهو أن كثيرا من الروايات التي تذكر لا تصح من جهة سندها وإنما نذكرها من باب أنها روايات تتعلق بهذا الصنف من العلم لإيصال الطالب إلى تصور عنه وفقا لذكر أهل العلم لها .

وما أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال ما جاء جبريل بالقرآن إلى النبي ﷺ إلا ومعه أربعة من الملائكة حفظة وما أخرجه ابن جرير عن الضحاك قال كان النبي ﷺ إذا بعث إليه الملك بعث ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه مخافة أن يتشبه الشيطان على صورة الملك .

فهذا عام في كل القرآن وليس من باب التشييع وإنما هذا بيان لقوله تعالى : ﴿ إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ﴾

كما أن هناك آيات اختصت بنزولها من كنز العرش مثل الفاتحة وآية الكرسي وخاتمة البقرة وسنفصل ذلك إن شاء الله عند الكلام عن فضائل السور والآيات .

الإتقان في علوم القرآن ١/١١٤-١١٥

وأما ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ :

فمن الثاني الفاتحة وآية الكرسي وخاتمة البقرة كما جاء في عدة أحاديث تأتي في فضائل القرآن إن شاء الله .

ومن ذلك ما رواه مسلم عن ابن عباس وفيه أن النبي ﷺ أتاه ملك فقال أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة .

والمراد بذلك عند النظر والتحقيق الفضل والقدر لا نفس الألفاظ والنصوص .

وأخرج أبو عبيد في فضائله عن كعب الأحبار : قال إن محمدا ﷺ أعطي أربع آيات لم يعطهن موسى وإن موسى أعطي آية لم يعطها محمد قال والآيات التي أعطيهن محمد ﷺ لله ما في السماوات وما في الأرض حتى ختم البقرة فتلك ثلاث آيات وآية الكرسي والآية التي

أعطيها موسى اللهم لا تولج الشيطان في قلوبنا وخلصنا منه من أجل أن لك الملكوت والأيد والسلطان والملك والحمد والأرض والسماء الدهر الداهر أبدا أبدا آمين آمين

ومن أمثلة الأول ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس قال لما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال ﷺ : كلها في صحف إبراهيم وموسى

وقال سعيد بن منصور حدثنا خالد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى

وأخرجه ابن أبي حاتم بلفظ نسخ من صحف إبراهيم وموسى وأخرج عن السدي قال إن هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى مثل ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم

وقال الفريابي أنبأنا سفيان عن أبيه عن عكرمة : إن هذا لفي الصحف الأولى قال هؤلاء الآيات

وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال إنه يعني النبي صلى الله عليه وسلم لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين الحديث

وأخرج ابن الضريس عن كعب الأحبار قال : فاتحة التوراة فاتحة الأنعام الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور وخاتمة التوراة خاتمة هود فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون

الإتقان في علوم القرآن ١/١١٧-١٢٦

وأما علم كيفية إنزاله

فقد اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال

أحدها وهو الأصح الأشهر أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين على حسب الخلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة والصواب في المدة أنه مكث عشر سنوات في المدينة ومكث في مكة ثلاث عشرة سنة .

وأخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما من طريق منصور عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضه في أثر بعض

وأخرج الحاكم والبيهقي أيضا والنسائي من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال أنزل القرآن في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا

وأخرجه ابن أبي حاتم من هذا الوجه وفي آخره فكان المشركون إذا أحدثوا شيئا أحدث الله لهم جوابا

وأخرج الحاكم وابن أبي شيبة عن ابن عباس قال فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم .

قال السيوطي : أسانيدها كلها صحيحة

القول الثاني : أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة .

القول الثالث أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات وبه قال الشعبي

قال ابن حجر في شرح البخاري والأول هو الصحيح المعتمد قال وقد حكى الماوردي قولا رابعا إنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة وأن جبريل نجمه على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة وهذا أيضا غريب والمعتمد أن جبريل كان يعارضه في رمضان بما ينزل به عليه في طول السنة .

قال السيوطي : السر في إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر من نزل عليه وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لننزله عليهم ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجما بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين إنزاله جملة ثم إنزاله مفرقا تشريفا للمنزل عليه ذكر ذلك أبو شامة في المرشد الوجيز

وقال ابن حجر في شرح البخاري قد أخرج أحمد والبيهقي في الشعب عن واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزلت التوراة لست مضين من رمضان والإنجيل لثلاث عشرة خلت منه والزبور لثمان عشرة خلت منه والقرآن لأربع وعشرين خلت منه وفي رواية وصحف إبراهيم لأول ليلة قال وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ولقوله إنا أنزلناه في ليلة القدر فيحتمل أن يكون ليلة القدر في تلك السنة كانت الليلة التي أنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أول اقرأ باسم ربك

قال السيوطي : لكن يشكل على هذا ما اشتهر من أنه صلى الله عليه وسلم بعث في شهر ربيع ويجاب عن هذا بما ذكروه أنه نبئ أولا بالرؤيا في شهر مولده ثم كانت مدتها ستة أشهر.

أقول : وهذا واضح من قول عائشة الثابت في الصحيح ويضاف إليه قول النبي ﷺ : الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ومعلوم أن نبوة النبي ﷺ وإنزال الوحي عليه استغرق ثلاثا وعشرين ستة فإذن الجزء الذي هو من ست وأربعين هو ستة أشهر وهي المدة التي قضاها في الرؤيا والله أعلم .

و قال أبو شامة أيضا : فإن قيل ما السر في نزوله منجما وهلا نزل كسائر الكتب جملة قلنا هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل فأجابهم تعالى بقوله كذلك أي أنزلناه كذلك مفرقا لنثبت به فؤادك أي لنقوي به قلبك فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب وأشد عناية بالمرسل إليه ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقائه جبريل

وقال غيره إنما لم ينزل جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا ومنه ما هو جواب لسؤال وما هو إنكار على قول قيل أو على فعل فعل .

فالحاصل أن الآية تضمنت حكمتين لإنزاله مفرقا .

وقد تلقى جبريل عليه السلام القرآن سماعا عن رب العزة والجلال وهي مسألة تهرب منها بعض أهل الانحراف العقدي في هذا الباب

قال السيوطي : ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعا من الله تعالى ما أخرجه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعا إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجدا فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد فينتهي به على الملائكة فكلما مر بسماء سأله أهلها ماذا قال ربنا قال الحق فينتهي به حيث أمر

وأخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة .

وأصل الحديث في الصحيح

وقال الجويني كلام الله المنزل قسمان قسم قال الله لجبريل قل للنبي الذي أنت مرسل إليه إن الله يقول افعل كذا وكذا وأمر بكذا وكذا ففهم جبريل ما قاله ربه ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قاله ربه ولم تكن العبارة تلك العبارة كما يقول الملك لمن يثق به قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة واجمع جندك للقتال فإن قال الرسول يقول الملك لا تتهاون في خدمتي ولا تترك الجند تتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة وقسم آخر قال الله لجبريل اقرأ على النبي هذا الكتاب فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين ويقول اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفا انتهى

قلت : القرآن هو القسم الثاني والقسم الأول هو السنة ومنها الحديث القدسي كما يأتي تفصيله .

وقد ذكر العلماء للوحي كيفيات

إحداها أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس وهذه الحالة أشد حالات الوحي عليه وقيل إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد وتهديد

الثانية أن ينفث في روعه الكلام نفثا .

الثالثة أن يأتيه في صورة الرجل فيكلمه .

الرابعة أن يأتيه الملك في النوم .
الخامسة أن يكلمه الله إما في اليقظة أو في النوم ويأتي تفصيل ذلك كله في درس خاص إن شاء الله .
الإتقان في علوم القرآن ١/١٣٠

وقد ثبت في غير حديث نزول القرآن على سبعة أحرف
اختلاف الأقوال في نزول القرآن على سبعة أحرف
واختلف في معنى ذلك على نحو من أربعين قولا
أحدها أنه من المشكل الذي لا يدرى معناه لأن الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء وعلى الكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة .
الثاني أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بل المراد التيسير والتسهيل والسعة ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمائة في المئين ولا يراد العدد المعين .
ويرده ما في حديث ابن عباس في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف وفي حديث أبي عند مسلم إن ربي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فأرسل إلي أن أقرأ على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي فأرسل إلي أن اقرأه على سبعة أحرف
وفي حديث : فنظرت إلى ميكائيل فسكت فعلمت أنه قد انتهت العدة .
فهذا يدل على إرادة حقيقة العدد وانحصاره
الثالث أن المراد بها سبع قراءات وتعقب بأنه لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلى القليل مثل وعبد الطاغوت و فلا تقل لهما أف
الرابع وأجيب بأن المراد أن كل كلمة تقرأ بوجه أو وجهين أو ثلاثة أو أكثر إلى سبعة ، وهذا إذا قصد فإن هناك ما يقرأ بأكثر من سبعة أوجه .

وقيل غير ذلك وأظهرها أن المراد سبع لغات وإلى هذا ذهب أبو عبيد وثعلب والأزهري وآخرون واختاره ابن عطية وصححه البيهقي في الشعب وتعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة وأجيب بأن المراد أفصحها فجاء عن أبي صالح عن ابن عباس قال نزل القرآن على سبع لغات .

الإتقان في علوم القرآن ١/١٩٢-١٩٣

ثم ننتقل إلى المبحث الثاني وهو ما يتعلق بالسند : ويتضمن :

علم حفاظه ورواته

العالي والنازل

معرفة المتواتر

المشهور

الآحاد

الشاذ

الموضوع

المدرج

وأما معرفة حفاظه ورواته

فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب أي تعلموا منهم والأربعة المذكورون اثنان من المهاجرين وهما المبتدأ بهما واثنان من الأنصار وسالم هو ابن معقل مولى أبي حذيفة ومعاذ هو ابن جبل قال الكرماني يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم أراد الإعلام بما يكون بعده أي أن هؤلاء الأربعة يبقون حتى ينفردوا بذلك

وتعقب بأنهم لم ينفردوا بل الذين مهروا في تجويد القرآن بعد العصر النبوي أضعاف المذكورين وقد قتل سالم مولى أبي حذيفة في وقعة اليمامة ومات معاذ في خلافة عمر ومات أبي وابن مسعود في خلافة عثمان وقد تأخر زيد بن ثابت وانتهت إليه الرياسة في الإقراء وعاش

بعدهم زمنا طويلا فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول ولا يلزم من ذلك ألا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن بل كان الذي يحفظون مثل الذي حفظوه وأزيد جماعة من الصحابة وفي الصحيح في غزوة بئر معونة أن الذين قتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القراء وكانوا سبعين رجلا

وروى البخاري أيضا عن قتادة قال سألت أنس بن مالك من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد قلت من أبو زيد قال أحد عمومتي

وروى أيضا من طريق ثابت عن أنس قال مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد

وقد استنكر جماعة من الأئمة الحصر في الأربعة

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني الجواب عن حديث أنس من أوجه

أحدها أنه لا مفهوم له فلا يلزم ألا يكون غيرهم جمعه

الثاني المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك

الثالث لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ إلا أولئك

الرابع أن المراد بجمعه تلقيه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بواسطة بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقي بعضه بالواسطة

الخامس أنهم تصدوا لإلقائه وتعليمه فاشتهروا به وخفي حال غيرهم عمن عرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه وليس الأمر في نفس الأمر كذلك

السادس المراد بالجمع الكتابة فلا ينفي أن يكون غيرهم جمعه حفظا عن ظهر قلبه وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب

وقد ذكر أبو عبيد في كتاب القراءات القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعدا وابن مسعود وحذيفة وسالما وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة وعائشة وحفصة وأم سلمة ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذا الذي يكنى أبا حليمة ومجمع بن جارية وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وصرح بأن بعضهم

إنما أكمله بعد النبي صلى الله عليه وسلم فلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس وعد ابن أبي داود منهم تميما الداري وعقبة بن عامر

وممن جمعه أيضا أبو موسى الأشعري ذكره أبو عمرو الداني

الإتقان في علوم القرآن ١/١٩٧-١٩٩

وقد اشتهر بإقراء القرآن من الصحابة سبعة عثمان وعلي وأبي وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري كذا ذكرهم الذهبي في طبقات القراء قال وقد قرأ على أبي جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب وأخذ ابن عباس عن زيد أيضا وأخذ عنهم خلق من التابعين

فممن كان بالمدينة ابن المسيب وعروة وسالم وعمر بن عبد العزيز وسليمان وعطاء ابنا يسار ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وابن شهاب الزهري ومسلم بن جندب وزيد بن أسلم

وبمكة عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح وطاوس ومجاهد وعكرمة وابن أبي مليكة

وبالكوفة علقمة والأسود ومسروق وعبيدة وعمرو بن شرحبيل والحارث بن قيس والربيع بن خثيم وعمرو بن ميمون وأبو عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش وعبيد بن نضيلة وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي

وبالبصرة أبو العالية وأبو رجاء ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر والحسن وابن سيرين وقتادة

وبالشام المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان وخليفة ابن سعد صاحب أبي الدرداء

ثم تجرد قوم واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم فكان بالمدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع ثم شيبة بن نصاح ثم نافع بن أبي نعيم

وبمكة عبد الله بن كثير وحميد بن قيس الأعرج ومحمد بن محيصن

وبالكوفة يحيى بن وثاب وعاصم بن أبي النجود وسليمان الأعمش ثم حمزة ثم الكسائي

وبالبصرة عبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وأبو عمر بن العلاء وعاصم الجحدري ثم يعقوب الحضرمي

وبالشام عبد الله بن عامر وعطية بن قيس الكلابي وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر ثم يحيى بن الحارث الذماري ثم شريح بن يزيد الحضرمي

واشتهر من هؤلاء في الآفاق الأئمة السبعة

١ نافع وقد أخذ عن سبعين من التابعين منهم أبو جعفر

٢ وابن كثير وأخذ عن عبد الله بن السائب الصحابي

٣ وأبو عمرو وأخذ عن التابعين

٤ وابن عامر وأخذ عن أبي الدرداء وأصحاب عثمان

٥ وعاصم وأخذ عن التابعين

٦ وحمزة وأخذ عن عاصم والأعمش والسبيعي ومنصور بن المعتمر وغيره

٧ والكسائي وأخذ عن حمزة وأبي بكر بن عياش

ثم انتشرت القراءات في الأقطار وتفرقوا أمما بعد أمم واشتهر من رواة كل طريق من طرق السبعة راويان

فعن نافع قالون وورش عنه

وعن ابن كثير قنبل والبزي عن أصحابه عنه

وعن أبي عمرو الدوري والسوسي عن اليزيدي عنه

وعن ابن عامر هشام وابن ذكوان عن أصحابه عنه

وعن عاصم أبو بكر بن عياش وحفص عنه

وعن حمزة خلف وخلاد عن سليم عنه

وعن الكسائي الدوري وأبو الحارث

ثم لما اتسع الخرق وكاد الباطل يلتبس بالحق قام جهابذة الأمة وبالغوا في الاجتهاد وجمعوا الحروف والقراءات وعزوا الوجوه والروايات وميزوا الصحيح والمشهور والشاذ باصول أصلوها وأركان فصلوها

فأول من صنف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام ثم أحمد بن

جبير الكوفي ثم إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون ثم أبو جعفر بن جرير الطبري ثم أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجواني ثم أبو بكر بن مجاهد ثم قام الناس في عصره وبعده بالتأليف في أنواعها جامعا ومفردا وموجزا ومسهبا وأئمة القراءات لا تحصى

وقد صنف طبقاتهم حافظ الإسلام أبو عبد الله الذهبي ثم حافظ القراءات أبو الخير ابن الجزري

الإتقان في علوم القرآن ١/٢٠٠-٢٠٢

وأما معرفة العالي والنازل من أسانيده

قال السيوطي : اعلم أن طلب علو الإسناد سنة فإنه قرب إلى الله تعالى وقد قسمه أهل الحديث إلى خمسة أقسام ورأيتها تأتي هنا

الأول القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث العدد بإسناد نظيف غير ضعيف وهو أفضل أنواع العلو وأجلها . ..

الثاني من أقسام العلو عند المحدثين القرب إلى إمام من أئمة الحديث كالأعمش وهشيم وابن جريج والأوزاعي ومالك ونظيره هنا القرب إلى إمام من الأئمة السبعة ...

الثالث عند المحدثين العلو بالنسبة إلى رواية أحد الكتب الستة بأن يروي حديثا لو رواه من طريق كتاب من الستة وقع أنزل مما لو رواه من غير طريقها ونظيره هنا العلو بالنسبة إلى بعض الكتب المشهورة في القراءات كالتيسير والشاطبية ويقع في هذا النوع الموافقات والإبدال والمساواة والمصافحات . ثم فصل ذلك رحمه الله تفصيلا دقيقا لا نطيل به .

الرابع من أقسام العلو تقدم وفاة الشيخ عن قرينه الذي أخذ عن شيخه .

الخامس العلو بموت الشيخ لا مع التفات لأمر آخر أو شيخ آخر متى يكون قال بعض المحدثين يوصف الإسناد بالعلو إذا مضى عليه من موت الشيخ خمسون سنة وقال ابن منده ثلاثون .

قال : فهذا ما حررته من قواعد الحديث وخرجت عليه قواعد القراءات ولم أسبق إليه ولله الحمد والمنة

وإذا عرفت العلو بأقسامه عرفت النزول فإنه ضده وحيث ذم النزول فهو ما لم ينجبر بكون رجاله أعلم وأحفظ وأتقن أو أجل أو أشهر أو أورع أما إذا كان كذلك فليس بمذموم ولا مفضول

الإتقان في علوم القرآن ١/٢٠٣

وأما معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج

قال القاضي جلال الدين البلقيني : القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ فالمتواتر القراءات السبعة المشهورة والآحاد قراءات الثلاثة التي هي تمام العشر ويلحق بها قراءة الصحابة والشاذ قراءات التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير ونحوهم

وتعقبه السيوطي بقوله : هذا الكلام فيه نظر يعرف مما سنذكره وأحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراء في زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزري قال في أول كتابه النشر كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف صرح بذلك الداني ومكي والمهدوي وأبو شامة وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه .

ثم قال ابن الجزري فقولنا في الضابط ولو بوجه نريد به وجها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحا مجمعا عليه أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم كإسكان بارئكم و يأمركم وخفض والأرحام ونصب ليجزي قوما والفصل بين المضافين في قتل أولادهم شركاؤهم وغير ذلك

قال الداني وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها

قال السيوطي : قلت : أخرج سعيد بن منصور في سننه عن زيد بن ثابت قال القراءة سنة متبعة قال البيهقي أراد اتباع من قبلنا في الحروف سنة متبعة لا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة وإن كان غير ذلك سائغا في اللغة أو أظهر منها

ثم قال ابن الجزري ونعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتا في بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر قالوا اتخذ الله في البقرة بغير واو و وبالزبر وبالكتاب بإثبات الباء فيهما فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي

وكقراءة ابن كثير تجري من تحتها الأنهار في آخر براءة بزيادة من فإنه ثابت في المصحف المكي ونحو ذلك فإن لم تكن في شيء من المصاحف العثمانية فشاذ لمخالفتها الرسم المجمع عليه

وقولنا ولو احتمالا نعني به ما وافقه ولو تقديرا ك < ملك يوم الدين > فإنه كتب في الجميع بلا ألف فقراءة الحذف توافقه تحقيقا وقراءة الألف توافقه تقديرا لحذفها في الخط اختصارا كما كتب < ملك الملك >

وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقا نحو تعلمون بالتاء والياء ويغفر لكم بالياء والنون ونحو ذلك مما يدل تجرده عن النقط والشكل في حذفه وإثباته على فضل عظيم للصحابة رضي الله عنهم في علم الهجاء خاصة وفهم ثاقب في تحقيق كل علم ... إلى أن قال :

وقولنا وصح مسندها نعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله وهكذا حتى ينتهي وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم .

وقال مكي ما روي في القرآن على ثلاثة أقسام

قسم يقرأ به ويكفر جاحده وهو ما نقله الثقات ووافق العربية وخط المصحف

وقسم صح نقله عن الآحاد وصح في العربية وخالف لفظه الخط فيقبل ولا يقرأ به لأمرين مخالفته لما أجمع عليه وأنه لم يؤخذ بإجماع بل بخبر الآحاد ولا يثبت به قرآن ولا يكفر جاحده ولبئس ما صنع إذ جحده

وقسم نقله ثقة ولا وجه له في العربية أو نقله غير ثقة فلا يقبل وإن وافق الخط

قال السيوطي : قد تحرر لي أن القراءات أنواع

الأول المتواتر وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه وغالب القراءات كذلك

الثاني المشهور وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ووافق العربية والرسم واشتهر عن القراء فلم يعده من الغلط ولا من الشذوذ ويقرأ به على ما ذكر ابن الجزري ويفهمه كلام أبي شامة السابق ومثاله ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض وأمثلة ذلك كثيرة في فرش الحروف من كتب القراءات كالذي قبله ومن أشهر ما صنف في ذلك التيسير للداني وقصيدة الشاطبي وأوعية النشر في القراءات العشر وتقريب النشر كلاهما لابن الجزري .

أقول : هكذا سماه الحافظ السيوطي أوعية النشر والكتاب مشهور بالنشر .

الثالث الآحاد وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ولا يقرأ به وقد عقد الترمذي في جامعه والحاكم في مستدركه لذلك بابا أخرجا فيه شيئا كثيرا صحيح الإسناد من ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدري عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ < متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان >

وأخرج من حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قرأ < فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرات أعين >

وأخرج عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قرأ لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء وأخرج عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قرأ فروح وريحان يعني بضم الراء

الرابع الشاذ وهو ما لم يصح سنده وفيه كتب مؤلفة من ذلك قراءة ملك يوم الدين بصيغة الماضي ونصب يوم وإياك يعبد ببنائه للمفعول

الخامس الموضوع كقراءات الخزاعي .

قلت : ومن ذلك أيضا ما كان من باب التصحيف كقراءة بعضهم جعل السفينة في رجل أخيه بدلا من قوله جعل السقاية في رحل أخيه ، وكمن قرأ صنعة الله ومن أحسن من الله صنعة بدلا من صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة .ونحو ذلك .

يقول السيوطي : وظهر لي سادس يشبهه من أنواع الحديث المدرج وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير كقراءة سعد بن أبي وقاص < وله أخ أو أخت من أم > أخرجها سعيد بن منصور

وقراءة ابن عباس < ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج > أخرجها البخاري

وقراءة ابن الزبير < ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم > قال عمر فما أدري أكانت قراءته أم فسر أخرجه سعيد بن منصور وأخرجه ابن الأنباري وجزم بأنه تفسير

هذا ما تيسر ذكره في هذه المحاضرة أسأل الله أن ينفع بها وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المراجع الأخرى : (البرهان ١/٢٢ – ٣٥ ، ١/٢٠٦ – ٢٣٣ ، ٢٤١-٢٤٣ ، مناهل العرفان ١/٦٦-٧٤ ، ٩٨-١٣٠ ، ٢٨٤- ٣٢٦ ، النشر ١/٨-٥٧ ، الأحرف السبعة للداني ١/٢٧-٦٠)

الأسئلة :

المجموعة الأولى (١٠)

ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة :

١– نزول القرآن على قسمين قسم نزل ابتداء وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال. **(صح)**

٢– قولهم نزلت هذه الآية في كذا يراد به سبب النزول **نصا**. **(خطأ)**

٣– أول ما نزل من القرآن على الصحيح هو اقرأ باسم ربك . **(صح)**

٤– موافقات عمر بن الخطاب لا تدخل تحت أسباب النزول **(خطأ)**

٥- سيهزم الجمع ويولون الدبر نزلت سابقة لحكمها (صح)

٦- معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية **(صح)**

٧- صلى النبي ﷺ أول أمره دون وضوء . (خطأ)

٨- ما جاء جبريل بالقرآن إلى النبي ﷺ إلا ومعه أربعة من الملائكة حفظة (صح)

٩- نزل القرآن إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما (صح)

١٠- لم ينزل القرآن جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ . **(صح)**

المجموعة الثانية (١٠)

ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة :

١- آخر سورة نزلت هي سورة

(النصر ، المائدة ، التوبة)

٢- كتاب العجاب في بيان الأسباب مؤلفه هو :

(السيوطي ، الواحدي ، ابن حجر)

٣- مما ذكر فيما تكرر نزوله

(آية الروح _ سورة قل هو الله أحد _ اليوم أكملت لكم دينكم)

٤- من السور التي نزلت جملة واحدة

(المرسلات _ العلق _ المدثر)

٥- من أمثلة ما تأخر نزوله عن حكمه

٦- (آية الوضوء _ آية الدين _ قد أفلح من تزكى)

٧- مما نزل من القرآن على بعض الأنبياء

(الفاتحة _ خاتمة البقرة_ سورة الأعلى)

٨- تلقى جبريل القرآن

(من اللوح المحفوظ _ سماعا من الله _ بواسطة عن الله)

٩- أول من صنف في القراءات :

(ابن جرير _ القاسم بن سلام _ ابن الجزري)

١٠- من فوائد علو الإسناد :

(القرب من رسول الله ﷺ _ **إثبات الصحة _ تأكيد المعنى)**

المجموعة الثالثة (١٠)

ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملأ الفراغ :

١- كتاب لباب النقول كتاب حافل صنفه ....

(ابن حجر _ السيوطي _ ابن المديني)

٢- سورة .... **مما نزل تشيعه الملائكة**

(الأنعام _ الإسراء _ الفاتحة)

٣- أنزل القرآن لـ .... ليلة خلت من رمضان

(إحدى وعشرين _ أربع وعشرين _ خمس وعشرين)

٤- استغرق الوحي بالرؤيا مع النبي ﷺ ...... أشهر

(ثلاثة _ أربعة _ ستة)

٥- ....ممن جمع القرآن من الأنصار على عهد رسول الله ﷺ

(ابن مسعود _ أنس _ أبو زيد)

٦- اشتهر بالإقراء من التابعين ....

(ابن مجاهد _ أبو عبد الرحمن السلمي _ حفص)

٧- الإمام ......ممن صنف في طبقات القراء

(الذهبي ، ابن حجر ، ابن سعد)

٨- الراويان عن حمزة هما .... .

(هشام وابن ذكوان _ خلف وخلاد _ الدوري والسوسي)

٩- القراءات المتواترة التي يقرأ بها القرآن هي .... قراءات .

(عشر _ سبع _ ثلاث)

١٠- ألف ابن الجزري رحمه الله كتابا حافلا في القراءات سماه **...**

(النشر _ غاية النهاية _ السبعة)

المحاضرة الرابعة

ذكر طرف من العلوم التي عني بها هذا الفن (٣-٨)

***

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد ففي هذه المحاضرة سنتحدث بإذن الله عن علوم القرآن المتعلقة بالأداء وهي :

معرفة الوقف والابتداء

بيان الموصول لفظا المفصول معنى

الإمالة والفتح وما بينهما

الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب

المد والقصر

تخفيف الهمزة

أولا : الوقف والابتداء

أفرده بالتصنيف خلائق منهم أبو جعفر النحاس وابن الأنباري والزجاج والداني والعماني والسجاوندي وغيرهم وهو فن جليل به يعرف كيف أداء القراءة

روى النحاس عن عبد الله بن عمر ﵁ قال : لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه .

قال النحاس : فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف كما يتعلمون القرآن

قال السيوطي : وقول ابن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا يدل على أن ذلك إجماع من الصحابة ثابت . وقد أخرج هذا الأثر البيهقي في سننه

وعن علي ﵁ في قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا قال : الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف

وقال ابن الأنباري : من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء فيه

وقال النكزاوي : باب الوقف عظيم القدر جليل الخطر لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل .

قال ابن الجزري : لما لم يمكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة وتعين ارتضاء ابتداء بعده وتحتم ألا يكون ذلك مما يحيل المعنى ولا يخل بالفهم إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد ولذلك حض الأئمة على تعلمه ومعرفته وفي كلام علي دليل على وجوب ذلك وفي كلام ابن عمر برهان على أن تعلمه إجماع من الصحابة وصح بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح كأبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد أعيان التابعين وصاحبه الإمام نافع وأبي عمرو ويعقوب وعاصم وغيرهم من الأئمة وكلامهم في ذلك معروف ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب ومن ثم اشترط كثير من الخلف على المجيز ألا يجيز أحدا إلا بعد معرفته الوقف والابتداء . وصح عن الشعبي أنه قال إذا قرأت كل من عليها فان فلا تسكت حتى تقرأ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

أنواع الوقف

اصطلح الأئمة على أن لأنواع الوقف والابتداء أسماء واختلفوا في ذلك على أقوال كثيرة :

فقال ابن الأنباري : الوقف على ثلاثة أوجه تام وحسن وقبيح

فالتام الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ولا يكون بعده ما يتعلق به كقوله وأولئك هم المفلحون وقوله أم لم تنذرهم لا يؤمنون

والحسن هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده كقوله الحمد لله لأن الابتداء ب رب العالمين لا يحسن لكونه صفة لما قبله

والقبيح هو الذي ليس بتام ولا حسن كالوقف على بسم من قوله بسم الله قال ولا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه ولا المنعوت دون نعته ولا الرافع دون مرفوعه وعكسه ولا الناصب دون منصوبه وعكسه ... إلخ كلامه رحمه الله .

وقال غيره الوقف ينقسم إلى أربعة أقسام : تام مختار وكاف جائز وحسن مفهوم وقبيح متروك

وقال غيره : الوقف في التنزيل على ثمانية أضرب تام وشبيه به وناقص وشبيه به وحسن وشبيه به وقبيح وشبيه به .

وقيل غير ذلك على تفاصيل لا نطيل بها .

قال ابن الجزري : أكثر ما ذكر الناس في أقسام الوقف غير منضبط ولا منحصر وأقرب ما قلته في ضبطه إن الوقف ينقسم إلى اختياري واضطراري لأن الكلام إما أن يتم أو لا فإن تم كان اختياريا ...إلى أن قال

وإن لم يتم الكلام كان الوقف عليه اضطراريا وهو المسمى بالقبيح لا يجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه لعدم الفائدة أو لفساد المعنى نحو صراط الذين

وقد يكون بعضه أقبح من بعض نحو فلها النصف ولأبويه لإيهامه أنهما مع البنت شركاء في النصف

وأقبح منه نحو إن الله لا يستحيي فويل للمصلين لا تقربوا الصلاة

فهذا حكم الوقف اختياريا واضطراريا

وأما الابتداء فلا يكون إلا اختياريا لأنه ليس كالوقف تدعو إليه ضرورة فلا يجوز إلا بمستقل بالمعنى موف بالمقصود ومثل لذلك بالوقف على عزير ابن الله و المسيح ابن الله فالابتداء بابن قبيح وبعزير والمسيح أشد قبحا

وقد يكون الوقف حسنا والابتداء به قبيحا نحو يخرجون الرسول وإياكم

الإتقان في علوم القرآن ١/٢٢٨

وقد ضبطت جل المصاحف الآن بعلامات للضبط تسهل للقارئ معرفة الوقوف ومن ذلك :

وضع كلمة صلي فوق الكلمة تعني أن الوقف جائز لكن الوصل أولى .

ووضع كلمة قلي تعني أن الوصل جائز ولكن الوقف أولى .

ووضع حرف ج يعني أن الوقف والوصل مستويان .

ووضع كلمة لا يعني لا الوقف الممنوع .

ووضع حرف م فوق الكلمة يعني الوقف اللازم .

ووضع ثلاث نقاط فوق كلمة يتلوها ثلاث نقاط فوق كلمة تأتي بعدها يعني إذا وقفت على إحداهما فلا تقف على الأخرى ويسمى وقف التعانق .

وكان أبو عمرو يتعمد الوقف على رؤوس الآي ويقول هو أحب إلي فقد قال بعضهم إن الوقف عليه سنة

وقال البيهقي في الشعب وآخرون : الأفضل الوقف على رؤوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها إتباعا لهدى رسول الله ﷺ وسنته

روى أبو داود وغيره عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية يقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف

والتوقف عن القراءة ثلاثة أنواع :

الوقف والقطع والسكت :

فالقطع : عبارة عن قطع القراءة رأسا فهو كالانتهاء فالقارئ به كالمعرض عن القراءة والمنتقل إلى حالة أخرى غيرها وهو الذي يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة ولا يكون إلا على رأس آية لأن رؤوس الآي في نفسها مقاطع .

أخرج سعيد بن منصور في سننه عن ابن أبي الهذيل أنه قال كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض الآية ويدعوا بعضها إسناده صحيح .

وعبد الله بن أبي الهذيل تابعي كبير وقوله كانوا يدل على أن الصحابة كانوا يكرهون ذلك .

والوقف : عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض ويكون في رؤوس الآي وأوساطها ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسما.

والسكت عبارة عن قطع الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس واختلاف ألفاظ الأئمة في التأدية عنه مما يدل على طوله وقصره .

قال ابن الجزري والصحيح أنه مقيد بالسماع والنقل ولا يجوز إلا فيما صحت الرواية به لمعنى مقصود بذاته .

وللوقف في كلام العرب أوجه متعددة والمستعمل منها عند أئمة القراءة تسعة السكون والروم والإشمام والإبدال والنقل والإدغام والحذف والإثبات والإلحاق

فأما السكون فهو الأصل في الوقف على الكلمة المحركة وصلا لأن معنى الوقف الترك والقطع ولأنه ضد الابتداء فكما لا يبتدأ بساكن لا يوقف على متحرك وهو اختيار كثير من القراء

وأما الروم فهو عند القراء عبارة عن النطق ببعض الحركة ويختص بالمرفوع والمجرور والمضموم والمكسور .

وأما الإشمام فهو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت ويختص بالضمة سواء كانت حركة إعراب أم بناء إذا كانت لازمة أما العارضة وميم الجمع عند من ضم وهاء التأنيث فلا روم في ذلك ولا إشمام .

وفائدة الروم والإشمام بيان الحركة التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه ليظهر للسامع أو الناظر كيف تلك الحركة الموقوف عليها

وأما الإبدال ففي الاسم المنصوب المنون يوقف عليه بالألف بدلا من التنوين .

وفي الاسم المفرد المؤنث بالتاء يوقف عليها بالهاء بدلا منها وغير ذلك .

وأما النقل ففيما آخره همزة بعد ساكن فإنه يوقف عليه عند حمزة بنقل حركتها إليه فتحرك بها ثم تحذف هي

وأما الإدغام ففيما آخره همز بعد ياء أو واو زائدتين فإنه يوقف عليه عند حمزة أيضا بالإدغام بعد إبدال الهمز من جنس ما قبله نحو النسيء

وأما الحذف ففيما يسمى بياءات الزوائد عند من يثبتها وصلا ويحذفها وقفا .

وأما الإثبات ففي الياءات المحذوفات وصلا عند من يثبتها وقفا نحو هاد و واق

وأما الإلحاق فما يلحق آخر الكلم من هاءات السكت عند من يلحقها في عم و فيم والنون المشددة من جمع الإناث نحو هن والنون المفتوحة نحو العالمين والمشدد المبني نحو خلقت بيدي و بمصرخي

وقد أجمعوا على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية في الوقف إبدالا وإثباتا وحذفا ووصلا وقطعا إلا أنه ورد عنهم اختلاف في أشياء بأعيانها كالوقف بالهاء على ما كتب بالتاء وغيرها ومن القراء من يتبع الرسم في الجميع

الإتقان في علوم القرآن ١/٢٣٣-٢٣٩

الموصول لفظا المفصول معنى

قال السيوطي : وهو نوع مهم جدير أن يفرد بالتصنيف وهو أصل كبير في الوقف وبه يحصل حل إشكالات وكشف معضلات كثيرة ومثل لذلك بقوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها إلى قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون

قال : فإن الآية في قصة آدم وحواء كما يفهمه السياق وصرح به في حديث أخرجه أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه من طريق الحسن عن سمرة مرفوعا وأخرجه ابن أبي حاتم وغيره بسند صحيح عن ابن عباس لكن آخر الآية مشكل حيث نسب الإشراك إلى آدم وحواء وآدم نبي مكلم والأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها إجماعا وقد جر ذلك بعضهم إلى حمل الآية على غير آدم وحواء وأنها في رجل وزوجته كانا من أهل الملك وتعدى إلى تعليل الحديث والحكم بنكارته وما زلت في وقفة من ذلك حتى رأيت ابن أبي حاتم قال أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم حدثنا أحمد بن مفضل حدثنا أسباط عن السدي في قوله فتعالى الله عما يشركون قال هذه فصل من آية آدم خاصة في آلهة العرب

وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة سمعت صدقة بن عبد الله بن كثير المكي يحدث عن السدي قال هذا من الموصول المفصول

ثم قال : فانحلت عني هذه العقدة وانجلت لي هذه المعضلة واتضح بذلك أن آخر قصة آدم وحواء فيما آتاهما وأن ما بعده تخلص إلى قصة العرب وإشراكهم الأصنام ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية ولو كانت القصة واحدة لقال عما يشركان كقوله دعوا الله ربهما فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما وكذلك الضمائر في قوله بعده

أيشركون ما لا يخلق شيئا   وما بعده إلى آخر الآيات وحسن التخلص والاستطراد من أساليب القرآن .

قلت : والصواب أن حديث سمرة ضعيف لأن الحسن لم يسمع منه وقد فسر الحسن هذه الآية بغير ذلك ولو كان ثابتا عنده لما عدل عنه .

ولكنه مفصول فعلا ولكن عند قوله : ليسكن إليها . حيث انتهى الكلام عن آدم وحواء ثم تخلص إلى كل زوجين مشركين يشركان بالله فيما آتاهما من الولد ولذا حسن الجمع في آخر الكلام لتعدد الزوجين المشركين وإن كان التعبير عن المثنى بالجمع مقبول ومشهور وأمثلته كثيرة.

الإتقان في علوم القرآن ١/٢٤٠-٢٤٣

الإمالة والفتح وما بينهما

أفرده بالتصنيف جماعة من القراء منهم ابن القاصح عمل كتابه قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين

قال الداني الفتح والإمالة لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم فالفتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس .

وروى ابن أبي شيبة عن إبراهيم قال كانوا يرون أن الألف والياء في القراءة سواء قال يعني بالألف والياء التفخيم والإمالة

وعن زر بن حبيش قال قرأ رجل على عبد الله بن مسعود طه ولم يكسر فقال عبد الله طه وكسر الطاء والهاء فقال الرجل طه ولم يكسر فقال عبد الله طه وكسر الطاء والهاء فقال الرجل طه ولم يكسر فقال عبد الله طه وكسر ثم قال هكذا علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن الجزري : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ورجاله ثقات إلا محمد بن عبيد الله وهو العرزمي فإنه ضعيف عند أهل الحديث وكان رجلا صالحا لكن ذهبت كتبه فكان يحدث من حفظه فأتي عليه من ذلك

قال السيوطي : وحديثه هذا أخرجه ابن مردويه في تفسيره وزاد في آخره وكذا نزل بها جبريل

وعن صفوان بن عسال أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ يا يحيى فقيل له يا رسول الله تميل وليس هي لغة قريش فقال هي لغة الأخوال بني سعد

والإمالة أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرا وهو المحض ويقال له أيضا الإضجاع والبطح .

والكسر قليلا وهو بين اللفظين ويقال له أيضا التقليل والتلطيف وبين بين

وأما الفتح فهو فتح القارئ فاه بلفظ الحرف ويقال له التفخيم .

والكلام في الإمالة من خمسة أوجه أسبابها ووجوهها وفائدتها ومن يميل وما يمال

أما أسبابها فذكرها القراء عشرة قال ابن الجزري وهي ترجع إلى شيئين أحدهما الكسرة والثاني الياء وكل منهما يكون متقدما على محل الإمالة من الكلمة أو متأخرا عنه ويكون أيضا مقدرا في محل الإمالة وقد تكون الكسرة والياء غير موجودتين في اللفظ ولا مقدرتين في محال الإمالة ولكنهما مما يعرض في بعض تصاريف الكلمة وقد تمال الألف أو الفتحة لأجل ألف أخرى أو فتحة أخرى ممالة وتسمى هذه إمالة لأجل إمالة وقد تمال الألف تشبيها بالألف الممالة

قال ابن الجزري : وتمال أيضا بسبب كثرة الاستعمال وللفرق بين الاسم والحرف فتبلغ الأسباب اثني عشر سببا .

الإتقان في علوم القرآن ١/ ٢٤٠-٢٤٤

الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب

أفرد ذلك بالتصنيف جماعة من القراء

والإدغام هو اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا وينقسم إلى كبير وصغير

فالكبير ما كان أول الحرفين فيه متحركا سواء كانا مثلين أم جنسين أم متقاربين وسمي كبيرا لكثرة وقوعه إذ الحركة أكثر من السكون وقيل لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه وقيل لما فيه من الصعوبة وقيل لشموله نوعي المثلين والجنسين والمتقاربين .

والمشهور بنسبته إليه من الأئمة العشرة هو أبو عمرو بن العلاء وورد عن جماعة خارج العشرة كالحسن البصري والأعمش وابن محيصن وغيرهم

ووجهه طلب التخفيف وكثير من المصنفين في القراءات لم يذكروه البتة كأبي عبيد في كتابه وابن مجاهد في السبعة ومكي في التبصرة وغيرهم

قال ابن الجزري : ونعني بالمتماثلين ما اتفقا مخرجا وصفة

والمتجانسين ما اتفقا مخرجا واختلفا صفة

وبالمتقاربين ما تقاربا مخرجا أو صفة

وتفصيل ذلك في علم التجويد .

وأما الإدغام الصغير فهو ما كان الحرف الأول فيه ساكنا وهو واجب وممتنع وجائز والذي جرت عادة القراء بذكره في كتب الخلاف هو الجائز لأنه الذي اختلف القراء فيه وهو قسمان

الأول إدغام حرف من كلمة في حروف متعددة من كلمات متفرقة وتنحصر في إذ وقد وتاء التأنيث وهل وبل

القسم الثاني إدغام حروف قربت مخارجها .

يلحق بالقسمين السابقين قسم آخر اختلف في بعضه وهو أحكام النون الساكنة والتنوين ولهما أحكام أربعة إظهار وإدغام وإقلاب وإخفاء

فالإظهار لجميع القراء عند ستة أحرف وهي حروف الحلق الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء .

وبعضهم يخفي عند الخاء والغين

والإدغام في ستة حرفان بلا غنة وهما اللام والراء وأربعة بغنة وهي النون والميم والياء والواو

وبعضهم يدغم في الواو والياء بلا غنة

والإقلاب عند حرف واحد وهو الباء بقلب النون والتنوين عند الباء ميما خاصة فتخفي بغنة

والإخفاء عند باقي الحروف وهي خمسة عشر مجموعة في أوائل هذا البيت

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما دم طيبا زد في تقى ضع ظالما

الإتقان في علوم القرآن ١/٢٥٠-٢٥٦

المد والقصر

أفرده جماعة من القراء بالتصنيف

قال السيوطي : الأصل في المد ما أخرجه سعيد ابن منصور في سننه حدثنا شهاب بن خراش حدثني مسعود بن يزيد الكندي قال كان ابن مسعود يقرئ رجلا فقرأ الرجل إنما الصدقات للفقراء والمساكين مرسلة فقال ابن مسعود ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن فقال أقرأنيها إنما الصدقات للفقراء والمساكين فمد وهذا حديث حسن جليل حجة ونص في الباب رجال إسناده ثقات أخرجه الطبراني في الكبير .

قلت : بل تلقي القراء المتواتر هو الأصل وهو أعظم من هذا الحديث الفرد بمراحل كثيرة والقراءات لا يبحث عنها في كتب الحديث وإنما العمدة فيها النقل المتواتر الذي نقله الكواف في كل عصر ومصر حتى رسول الله ﷺ . فلو اختلف القراء فيه لكان التواتر في قراءة واحدة كافيا فكيف وقد أجمع القراء على هذا المد .

والمد عبارة عن زيادة مط في حرف المد على المد الطبيعي وهو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونه

والقصر ترك تلك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حاله

وحروف المد الألف مطلقا والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها

وسببه لفظي ومعنوي فاللفظي إما همز أو سكون فالهمز يكون بعد حرف المد وقبله والثاني نحو آدم ورأى وإيمان وخاطئين وأوتوا والموؤودة

والأول إن كان معه في كلمة واحدة فهو المتصل نحو أولئك شاء الله و السوأى و من سوء و يضيء

وإن كان حرف المد آخر كلمة والهمز أول أخرى فهو المنفصل نحو بما أنزل يا أيها قالوا آمنا وأمره إلى الله في أنفسكم به إلا الفاسقين

ووجه المد لأجل الهمز أن حرف المد خفي والهمز صعب فزيد في الخفي ليتمكن من النطق بالصعب

والسكون إما لازم وهو الذي لا يتغير في حاليه نحو الضالين و دابة و الم و أتحاجوني

أو عارض وهو الذي يعرض للوقف ونحوه نحو العباد و الحساب و نستعين و الرحيم و يوقنون حالة الوقف و فيه هدى و قال لهم و يقول ربنا حالة الإدغام

ووجه المد للسكون التمكن من الجمع بين الساكنين فكأنه قام مقام حركة

وقد أجمع القراء على مد نوعي المتصل وذي الساكن اللازم وإن اختلفوا في مقداره واختلفوا في مد النوعين الآخرين وهما المنفصل وذو الساكن العارض وفي قصرهما

فأما المتصل فاتفق الجمهور على مده قدرا واحدا مشبعا من غير إفحاش

وأما ذو الساكن ويقال له مد العدل لأنه يعدل حركة فالجمهور أيضا على مده مشبعا قدرا واحدا من غير إفراط وذهب بعضهم إلى تفاوته

وأما المنفصل ويقال له مد الفصل لأنه يفصل بين الكلمتين ومد البسط لأنه يبسط بين الكلمتين ومد الاعتبار لاعتبار الكلمتين من كلمة ومد حرف بحرف أي مد كلمة بكلمة والمد الجائز من أجل الخلاف في مده وقصره فقد اختلفت العبارات في مقدار مده

وأما العارض فيجوز فيه لكل من القراء كل من الأوجه الثلاثة المد والتوسط والقصر وهي أوجه تخيير .

وأما السبب المعنوي فهو قصد المبالغة في النفي وهو سبب قوي مقصود عند العرب وإن كان أضعف من اللفظي عند القراء ومنه مد التعظيم في نحو لا إله إلا هو لا إله إلا الله لا إله إلا أنت

ويسمى مد المبالغة وهذا مذهب معروف عند العرب لأنها تمد عند الدعاء وعند الاستغاثة وعند المبالغة في نفي شيء ويمدون ما لا أصل له بهذه العلة

قال ابن الجزري وقد ورد عن حمزة مد المبالغة للنفي في لا التي للتبرئة نحو لا ريب فيه

قال أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري مدات القرآن على عشرة أوجه

مد الحجز : في نحو ءأنذرتهم أأنت قلت للناس أئذا متنا أؤلقي الذكر عليه لأنه أدخل بين الهمزتين حاجزا خففهما لاستثقال العرب جمعهما وقدره ألف تامة بالإجماع فحصول الحجز بذلك

ومد العدل : في كل حرف مشدد وقبله حرف مد ولين نحو الضالين لأنه يعدل حركة أي يقوم مقامها في الحجز بين الساكنين

ومد التمكين : في نحو أولئك و الملائكة و شعائر وسائر المدات التي تليها همزة لأنه جلب ليتمكن به من تحقيقها وإخراجها من مخرجها

ومد البسط : ويسمى أيضا مد الفصل في نحو بما أنزل لأنه يبسط بين كلمتين ويصل به بين كلمتين متصلتين

ومد الروم : في نحو ها أنتم لأنهم يرومون الهمزة من أنتم ولا يحققونها ولا يتركونها أصلا ولكن يلينونها ويشيرون إليها وهذا على مذهب من لا يهمز ها أنتم وقدره ألف ونصف

ومد الفرق : في نحو الآن لأنه يفرق به بين الاستفهام والخبر وقدره ألف تامة بالإجماع فإن كان بين ألف المد حرف مشدد زيد ألف أخرى ليتمكن به من تحقيق الهمزة نحو ءالذاكرين ءالله

ومد البنية : في نحو ماء و دعاء و نداء و < زكرياء > لأن الاسم بني على المد فرقا بينه وبين المقصور

ومد المبالغة : في نحو لا إله إلا الله

ومد البدل : من الهمزة في نحو آدم و أخر و آمن وقدره ألف تامة بالإجماع

ومد الأصل : في الأفعال الممدودة نحو جاء و شاء والفرق بينه وبين مد البنية أن تلك الأسماء بنيت على المد فرقا بينها وبين المقصور وهذه مدات في أصول أفعال أحدثت لمعان انتهى

الإتقان في علوم القرآن ١/٢٥٧-٢٦١

النوع الثالث والثلاثون في تخفيف الهمز

قال السيوطي : اعلم أن الهمز لما كان أثقل الحروف نطقا وأبعدها مخرجا تنوع العرب في تخفيفه بأنواع التخفيف وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تخفيفا ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم كابن كثير من رواية ابن فليح وكنافع من رواية ورش وكأبي عمرو فإن مادة قراءته عن أهل الحجاز

وقد أخرج ابن عدي عن ابن عمر قال ما همز رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر ولا الخلفاء وإنما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم

قال أبو شامة : هذا حديث لا يحتج به وموسى بن عبيدة الربذي ضعيف عند أئمة الحديث

وأحكام الهمز كثيرة وتحقيقه أربعة أنواع

أحدها النقل لحركته إلى الساكن قبله فيسقط نحو قد أفلح بفتح الدال وبه قرأ نافع من طريق ورش وذلك حيث كان الساكن صحيحا آخرا والهمزة أولا .

وثانيها الإبدال بأن تبدل الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها فتبدل ألفا بعد الفتح نحو وأمر أهلك وواوا بعد الضم نحو < يومنون > وياء بعد الكسر نحو < جيت > وبه يقرأ أبو عمرو وورش عن نافع وحمزة عند الوقف على تفصيل في ذلك .

ثالثها التسهيل بينها وبين حركتها على تفصيل عند القراء فمنهم من يدخل بينهما الفا ومنهم من لايدخل ومنهم من يحققهما .

رابعها الإسقاط بلا نقل وفيه تفصيل أيضا مكانه كتب القراءات .

الإتقان في علوم القرآن ١/٢٦٢-٢٦٣

وهناك أبواب تتعلق بأداء اللفظ لم يتعرض لها السيوطي في الإتقان على سعة كتابه :

فهناك أبواب من الإشمام مثل إشمام الصاد زايا في قراءة الصراط وأصدق ويصدفون وإشمام الياء الواو في قيل وجيء وغيض ونحوها

وهناك باب صفات الحروف مطلقا وإن كان جلها يتعلق باللغة .

وهناك أحكام الميم الساكنة .

وهناك أحكام الغنة وأحكام الراء واللام والتفخيم والترقيق وغير ذلك من أبواب علم التجويد وكان الذي ينبغي إدراج ذلك كله في علوم القرآن المتعلقة بالأداء .

ونكتفي بهذا القدر اليوم وفقكم الله لكل خير وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المراجع الأخرى : (البرهان ١/٣٤٢- ٣٦٦ ، التعريف المطبوع بآخر المصحف الشريف ، إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة ١/٧٦-٨٧ ، ١١٣-٢٠٣ ، تحفة الأطفال للجمزوري، المكتفي في الوقف والابتداء للداني ١٣-١٥٤)

الأسئلة :

المجموعة الأولى (١٠)

ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة :

١- كان الصحابة يتعلمون الأوقاف كما يتعلمون القرآن . **(صح)**

٢- الوقف القبيح والابتداء الحسن في نحو قوله يخرجون الرسول وإياكم . **(خطأ)**

٣- الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف . **(صح)**

٤- ووضع ثلاث نقاط فوق كلمة يتلوها ثلاث نقاط فوق كلمة تأتي بعدها يعني إذا وقفت على إحداهما فلا بد من الوقف على الأخرى ويسمى وقف التعانق **(خطأ)**

٥- الأفضل الوقف على رؤوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها (صح)

٦- الروم والإشمام من أوجه الوقف عند العرب **(صح)**

٧- قوله تعالى : ليسكن إليها فلما تغشاها ... الآية من الموصول لفظا ومعنى (خطأ)

٨- المتقاربان ما اتفقا مخرجا واختلفا صفة (خطأ)

٩- الإبدال هو أن تبدل الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها (صح)

١٠- تلقي القراء المتواتر هو الأصل **في علم التجويد** . **(صح)**

المجموعة الثانية (١٠)

ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة :

١- الوقف على قوله : فلها النصف ولأبويه

(تام ، جائز ، قبيح)

٢- الإدغام الصغير هو ما كان الحرف الأول فيه

(متحركا ، ساكنا ، مشددا)

٣- قطع الصوت عن الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة **هو**

(الوقف _ القطع _ السكت)

٤- الإشمام عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت ويختص بـ

(الضمة _ الكسرة _ الضمة والكسرة معا)

٥- إمام الإدغام الكبير من القراء العشرة هو

(أبو عمرو _ ابن كثير _ حمزة)

٦- ممن ألف من أهل العلم في الوقف والابتداء

(عاصم بن أبي النجود ، ابن الأنباري ، ابن القاصح)

٧- من حروف إظهار النون الساكنة

(الياء _ الميم _ الحاء)

٨- من أسباب المد اللفظية

(المبالغة _ الهمز _ البدل)

٩- الإمالة ترجع إلى شيئين أحدهما الكسرة والثاني هو

(تصاريف الكلمة _ الياء _ الترقيق)

١٠- الحديث الوارد في إمالة النبي ﷺ كلمة طه

(ضعيف **_ صحيح _ حسن)**

المجموعة الثالثة (١٠)

ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملأ الفراغ :

١- ممن اعتنى من السلف الصالح بالوقوف .... أحد أعيان التابعين

(مجاهد _ يزيد بن القعقاع _ **عكرمة)**

٢- ..... عبارة عن قطع القراءة رأسا

(القطع _ الوقف _ السكت)

٣- .... أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرا

(التقليل _ الإمالة _ بين بين)

٤- وضع علامة ..... فوق الكلمة تعني أن الوصل جائز ولكن الوقف أولى

(ج ، صلي ، قلي)

٥- ....من الكلمات التي تقرأ بإشمام الصاد زايا

(أصواتهم _ تصرفون _ أصدق)

٦- الإلحاق هو ما يلحق آخر الكلم من هاءات ..... عند من يلحقها

(الضمائر _ السكت _ التأنيث)

٧- **......** لا يكون إلا اختياريا

(الابتداء ، الوقف ، القطع)

٨- .... عبارة عن النطق ببعض الحركة

(الإشمام _ الروم _ الإمالة)

٩- المد ..... ما كان حرف المد والهمز في كلمة واحدة .

(المتصل _ المنفصل _ اللازم)

١٠- .... أثقل الحروف نطقا وأبعدها مخرجا

(الهمز _ القاف _ الهاء)

المحاضرة الخامسة

ذكر طرف من العلوم التي عني بها هذا الفن (٤-٨)

***

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد

ففي هذه المحاضرة نستكمل حديثنا عن علوم القرآن ونخص بالذكر منها الأمر الرابع في تقسيمات البلقيني وهو ما يتعلق بالألفاظ ويندرج تحته ما يلي :

معرفة غريبه

ما وقع فيه بغير لغة الحجاز

ما وقع فيه بغير لغة العرب

معرفة الوجوه والنظائر

معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر

معرفة إعرابه

قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها

معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر

حقيقته ومجازه

تشبيهه واستعارته

كناياته وتعريضه

وقد تندرج بعض علوم القرآن الأخرى تحت هذا التقسيم إلا أن ما ذكرناه هنا هو أظهرها والله أعلم .

أولا : معرفة غريبه

وقد أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون ومن أشهرها كتاب المفردات للراغب الأصفهاني وهو مطبوع متداول ، ومن أهل العلم من نظم غريب القرآن على السور ومن ذلك كتاب التيسير العجيب في تفسير الغريب لابن المنير الإسكندراني وهو مطبوع في جزء لطيف .

قال السيوطي في هذا العلم : ينبغي الاعتناء به فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه .

وأخرج مثله عن عمر وابن عمر وابن مسعود موقوفا

وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعا من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات

قال : المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن لأن القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب فيها

وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض بالظن فهذه الصحابة وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئا

فذكر قول أبي بكر الصديق عندما سئل عن قوله وفاكهة وأبا : أي سماء تظلني أو أي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم

وكذلك عمر بن الخطاب عندما قرأ على المنبر وفاكهة وأبا فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ثم رجع إلى نفسه فقال إن هذا لهو التكلف يا عمر

وما جاء عن ابن عباس أنه قال كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها يقول أنا ابتدأتها

ومعرفة هذا الفن للمفسر ضرورية

قال السيوطي : وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة

ومن ذلك ما صح عن ابن عباس في قوله تعالى يؤمنون قال يصدقون

يعمهون قال : يتمادون

مطهرة قال : من القذر والأذى

الخاشعين قال : المصدقين بما أنزل الله

وفي ذلكم بلاء قال : نعمة

الحنث العظيم قال : الشرك .

وغير ذلك كثير

ومما قاله ابن المنير في تيسيره :

وخاسئين مبعدين طردا سحقا لأمثالهم وبعدا

أخلد يعني لزم السفالة ودام في سجية الرذالة

(الإتقان في علوم القرآن ١/٣٠٣-٣٠٥ ، التيسير العجيب ص٧٢)

وأكثر ما يرجع إليه في غريب القرآن الشعر العربي :

قال أبو بكر الأنباري : قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيرا الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر وأنكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك وقالوا إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن وقالوا : كيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث ؟

قال وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلا للقرآن بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر لأن الله تعالى قال إنا جعلناه قرآنا عربيا وقال بلسان عربي مبين

وقال ابن عباس الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه

ثم أخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب

وقال أبو عبيد في فضائله حدثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر

قال أبو عبيد يعني كان يستشهد به على التفسير .

ومن أشهر ما روي عن ابن عباس في استشهاده على معاني الغريب بالشعر مسائل نافع بن الأزرق له وقد أخرجها الطستي وابن الأنباري والطبراني في معجمه وساقها السيوطي بطولها ولكنها لا تصح فأسانيدها واهية وإن كان قد صح شيء منها يسير من طرق أخرى .

(الإتقان في علوم القرآن ١/٣٤٧-٣٤٨)

ثانيا : ما وقع فيه بغير لغة الحجاز

ورد ذلك في عدة آثار ومن ذلك ما أخرجه أبو عبيد عن ابن عباس في قوله وأنتم سامدون قال الغناء وهي يمانية

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة هي بالحميرية

وأخرج أبو عبيد عن الحسن قال كنا لا ندري ما الأرائك حتى لقينا رجل من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها السرير

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك في قوله تعالى لا وزر قال لا حيل وهي بلغة أهل اليمن

وأخرج عن عكرمة في قوله تعالى وزوجناهم بحور قال هي لغة يمانية وذلك أن أهل اليمن يقولون زوجنا فلانا بفلانة

وأخرج عن محمد بن علي في قوله تعالى ونادى نوح ابنه قال هي بلغة طيء ابن امرأته

وأخرج عن الضحاك في قوله تعالى أعصر خمرا قال عنبا بلغة أهل عمان يسمون العنب خمرا

وأخرج عن قتادة قال بعلا ربا بلغة أزدشنودة

وأخرج أبو بكر بن الأنباري عن ابن الكلبي قال المرجان صغار اللؤلؤ بلغة اليمن

وأخرج في كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان عن أبي صالح في قوله تعالى أفلم ييأس الذين آمنوا قالوا أفلم يعلموا بلغة هوازن

وفي مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس بورا هلكى بلغة عمان

وفيها فنقبوا هربوا بلغة اليمن

وفيها لا يلتكم لا ينقصكم بلغة بني عبس

وقد ذكر السيوطي رحمه الله أكثر من عشرين لغة جاءت بها بعض الألفاظ في القرآن فمن أراد التوسع فعليه بالإتقان .

الإتقان في علوم القرآن ١/٣٧٨-٣٩٢

ثالثا : ما وقع فيه بغير لغة العرب

أفرد له السيوطي كتابا سماه المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب

وقد سبقه بالتأليف فيه جماعة ومن أشهر ذلك كتاب المعرب للجواليقي .

وقد اختلف الأئمة في وقوع المعرب في القرآن فالأكثرون ومنهم الإمام الشافعي وابن جرير وأبو عبيدة وغيرهم على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى قرآنا عربيا وقوله تعالى ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي وقد شدد الشافعي النكير على القائل بذلك

وقال ابن جرير ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن إنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد .

وقيل غير ذلك في توجيه وقوع هذه الألفاظ

وذهب آخرون واختاره السيوطي إلى وقوعه فيه وأجابوا عن قوله تعالى قرآنا عربيا بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيا والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية وعن قوله تعالى أأعجمي وعربي بأن المعنى من السياق أكلام أعجمي ومخاطب عربي واستدلوا باستدلالات أقواها ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال في القرآن من كل لسان

وروى مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه

قال السيوطي : فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونبأ كل شيء فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شيء فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا للعرب .

واستدلوا بغير ذلك من أدلة .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القولين والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال أعجمية فصادق ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون .

ومن أمثلة ذلك في القرآن :

أباريق قال الجواليقي الإبريق فارسي معرب ومعناه طريق الماء أو صب الماء على هينة

أب قال بعضهم هو الحشيش بلغة أهل الغرب

ابلعي ماءك عن وهب بن منبه قال بالحبشية ازدرديه

أخلد قال الواسطي ركن بالعبرية

الأرائك حكى ابن الجوزي أنها السرر بالحبشية

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا .

الإتقان في علوم القرآن ٣٩٣/١-٣٩٦

رابعا : معرفة الوجوه والنظائر

صنف فيها قديما مقاتل بن سليمان ومن المتأخرين ابن الجوزي وغيره ومن أشهر ما كتب فيها كتاب قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني وهو مطبوع متداول .

والوجوه : اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة .

وقد أفرده السيوطي بكتاب سماه معترك الأقران في مشترك القرآن

وأما النظائر : فهي الألفاظ المتواطئة يعني المتوافقة في المعنى .

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجها وأكثر وأقل ولا يوجد ذلك في كلام البشر .

وذكر مقاتل في صدر كتابه حديثا مرفوعا لا يكون الرجل فقيها كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة .

قال السيوطي : هذا أخرجه ابن سعد وغيره عن أبي الدرداء موقوفا ولفظه : لا يفقه الرجل كل الفقه وقد فسره بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد .

وقيل هو : أن يرى له وجوها فيهاب الإقدام عليه .

وقيل غير ذلك .

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج فقال اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة .

وأخرج من وجه آخر أن ابن عباس قال له يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم في بيوتنا نزل قال صدقت ولكن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن خاصمهم بالسنن فإنهم لن يجدوا عنها محيصا فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة

وأمثلة هذا النوع كثيرة ونذكر لذلك مثالا واحدا :

الهدى يأتي على سبعة عشر وجها

بمعنى الثبات   اهدنا الصراط المستقيم

والبيان   أولئك على هدى من ربهم

والدين   إن الهدى هدى الله

والإيمان   ويزيد الله الذين اهتدوا هدى

والدعاء   ولكل قوم هاد   وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا

وبمعنى الرسل والكتب   فإما يأتينكم مني هدى

والمعرفة   وبالنجم هم يهتدون

وبمعنى النبي صلى الله عليه وسلم   إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى

وبمعنى القرآن   ولقد جاءهم من ربهم الهدى

والتوراة   ولقد آتينا موسى الهدى

والاسترجاع   وأولئك هم المهتدون

والحجة   لا يهدي القوم الظالمين   بعد قوله تعالى   ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أي لا يهديهم حجة

والتوحيد   إن نتبع الهدى معك

والسنة   فبهداهم اقتده   وإنا على آثارهم مهتدون

والإصلاح   وأن الله لا يهدي كيد الخائنين

والإلهام   أعطى كل شيء خلقه ثم هدى   أي ألهمهم المعاش

والتوبة   إنا هدنا إليك

والإرشاد   أن يهديني سواء السبيل

الإتقان في علوم القرآن ١/٤٠٩-٤١١

وهناك قواعد جامعة في مثل ذلك ومن ذلك قولهم :

كل ما في القرآن من ذكر الأسف فمعناه الحزن إلا   فلما آسفونا   فمعناه أغضبونا

وكل ما فيه من ذكر البروج فهي الكواكب إلا   ولو كنتم في بروج مشيدة   فهي القصور الطوال الحصينة

وكل ما فيه من ذكر البر والبحر فالمراد بالبحر الماء وبالبر التراب اليابس إلا   ظهر الفساد في البر والبحر   فالمراد به البرية والعمران

وكل ما فيه من بخس فهو النقص إلا   بثمن بخس   أي حرام

وكل ما فيه من البعل فهو الزوج إلا   أتدعون بعلا   فهو الصنم

وهكذا على نزاع بطبيعة الحال في بعض ذلك .

الإتقان في علوم القرآن ١/٤١٧

خامسا : معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر

والمراد بالأدوات هنا الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف

ومعرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها كما في قوله تعالى   وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين

فاستعملت على في جانب الحق ، وفي في جانب الضلال ، لأن صاحب الحق كأنه مستعل يصرف نظره كيف شاء وصاحب البطل كأنه منغمس في ظلام منخفض لا يدري أين يتوجه.

وفي قوله تعالى   إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل عدل عن اللام إلى في في الأربعة مصارف الأخيرة إيذانا إلى أنهم أكثر استحقاقا للمتصدق عليهم بمن سبق ذكره باللام لأن في للوعاء فنبه باستعمالها على أنهم أحقاء بأن يجعلوا مظنة لوضع الصدقات فيهم كما يوضع الشيء في وعائه مستقرا فيه .

وعن ابن عباس قال الحمد لله الذي قال   عن صلاتهم ساهون   ولم يقل في صلاتهم

والأمثلة كثيرة ومن ذلك كلمة أحد :

قال أبو حاتم في كتاب الزينة هو اسم أكمل من الواحد ألا ترى أنك إذا قلت فلان لا يقوم له واحد جاز في المعنى أن يقوم اثنا فأكثر بخلاف قولك لا يقوم له أحد

وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد تقول ليس في الدار واحد فيجوز أن يكون من الدواب والطير والوحش والإنس فيعم الناس وغيرهم بخلاف ليس في الدار أحد فإنه مخصوص بالآدميين دون غيرهم

قال ويأتي الأحد في كلام العرب بمعنى الأول وبمعنى الواحد فيستعمل في الإثبات وفي النفي نحو قل هو الله أحد أي واحد وأول فابعثوا أحدكم بورقكم وبخلافهما فلا يستعمل إلا في النفي تقول ما جاءني من أحد ومنه أيحسب أن لن يقدر عليه أحد و أن لم يره أحد فما منكم من أحد ولا تصل على أحد

وواحد يستعمل فيها مطلقا وأحد يستوي فيه المذكر والمؤنث قال تعالى لستن كأحد من النساء بخلاف الواحد فلا يقال كواحد من النساء بل كواحدة

وأحد يصلح للأفراد والجمع ومن ذلك قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين بخلاف الواحد

والأحد له جمع من لفظه وهو الأحدون والآحاد وليس للواحد جمع من لفظه فلا يقال واحدون بل اثنان وثلاثة

والأحد ممتنع الدخول في الضرب والعدد والقسمة وفي شيء من الحساب بخلاف الواحد انتهى ملخصا .

الإتقان في علوم القرآن ١/٤٢٥-_٤٢٩

ومن ذلك أل : فهي على ثلاثة أوجه

أحدها أن تكون اسما موصولا بمعنى الذي وفروعه وهي الداخلة على أسماء الفاعلين والمفعولين نحو إن المسلمين والمسلمات إلى آخر الآية التائبون العابدون الآية

الثاني أن تكون حرف تعريف وهي نوعان عهدية وجنسية :

وكل منهما على ثلاثة أقسام

فالعهدية إما أن يكون مصحوبها معهودا ذكريا نحو   كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول

أو معهودا ذهنيا نحو   إذ هما في الغار

أو معهودا حضوريا نحو   اليوم أكملت لكم دينكم

والجنسية إما لاستغراق الأفراد وهي التي تخلفها كل حقيقة نحو   وخلق الإنسان ضعيفا

وإما لاستغراق خصائص الأفراد نحو   ذلك الكتاب   أي الكتاب الكامل في الهداية الجامع لصفات جميع الكتب المنزلة وخصائصها

وإما لتعريف الماهية والحقيقة والجنس نحو   وجعلنا من الماء كل شيء حي

الثالث أن تكون زائدة وهي نوعان :

لازمة كالتي في الموصولات

وكالتي في الأعلام المقارنة لنقلها كاللات والعزى أو لغلبتها كالبيت للكعبة والمدينة لطيبة والنجم للثريا وهذه في الأصل للعهد

وغير لازمة كالواقعة في الحال وخرج عليه قراءة بعضهم   ليخرجن الأعز منها الأذل   بفتح الياء أي ذليلا لأن الحال واجبة التنكير . قال السيوطي : إلا أن ذلك غير فصيح فالأحسن تخريجها على حذف مضاف أي خروج الأذل كما قدره الزمخشري

وقد ذكر السيوطي في إتقانه أكثر من مائة أداة وما تأتي له في القرآن ثم قال : ها قد أتيت على شرح معاني الأدوات الواقعة في القرآن على وجه موجز مفيد محصل للمقصود منه ولم أبسطه لأن محل البسط والأطناب إنما هو تصانيفنا في فن العربية وكتبنا النحوية .

الإتقان في علوم القرآن ١/٤٣٩-٤٤٠

سادسا : معرفة إعرابه

أفرده بالتصنيف خلائق منهم مكي بن أبي طالب وأشهر ما ألف فيه كتاب أبي البقاء العُكبَري ومن التفاسير التي اهتمت بهذا الجانب تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي .

ومن فوائد هذا النوع معرفة المعنى لأن الإعراب يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين

أخرج أبو عبيد في فضائله عن عمر بن الخطاب قال تعلموا اللحن والفرائض والسنن كما تعلمون القرآن .

وأخرج عن يحيى بن عتيق قال قلت للحسن يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته فقال الحسن : يا ابن أخي تعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها .

ويجب على من نظر في إعراب القرآن مراعاة أمور :

أحدها : أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفردا أو مركبا قبل الإعراب .

فمثلا : قوله سبعا من المثاني إن كان المراد بالمثاني القرآن ف من للتبعيض أو الفاتحة فلبيان الجنس

الثاني أن يراعي ما تقتضيه الصناعة فربما راعى المعرب وجها صحيحا ولا ينظر في صحته في الصناعة فيخطئ من ذلك قول بعضهم ﴿وثمودا فما أبقى﴾ إن ثمود مفعول مقدم وهذا ممتنع لأن ل ما النافية الصدر ، فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها ، بل هو معطوف على عادا أو على تقدير وأهلك ثمود .

الثالث أن يكون مليا بالعربية لئلا يخرج على ما لم يثبت كقول أبي عبيدة في كما أخرجك ربك إن الكاف قسم . ويبطله أن الكاف لم تجئ بمعنى واو القسم .

الرابع أن يتجنب الأمور البعيدة والأوجه الضعيفة واللغات الشاذة ويخرج على القريب والقوي والفصيح .

الخامس أن يستوفي جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة

السادس أن يراعي الشروط المختلفة بحسب الأبواب .

إلى غير ذلك من الشروط الكثيرة التي ذكرها السيوطي رحمه الله .

الإتقان في علوم القرآن ١/٥٢٨-٥٣٥

سابعا : قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها

على المفسر أن يحيط بقواعد هامة تتعلق بأبواب معينة فمن ذلك مثلا :

١- قواعد تتعلق بالضمائر ومرجعها فمثلا الضمير لا بد له من مرجع يعود إليه ويكون ملفوظا به سابقا مطابقا به نحو ونادى نوح ابنه

أو متضمنا له نحو اعدلوا هو أقرب فإنه عائد على العدل المتضمن له أعدلوا

أو دالا عليه بالالتزام نحو إنا أنزلناه أي القرآن لأن الإنزال متعلق به

٢- قاعدة في التذكير والتأنيث

فمثلا التأنيث ضربان حقيقي وغيره فالحقيقي لا تحذف تاء التأنيث من فعله غالبا إلا إن وقع فصل وكلما كثر الفصل حسن الحذف .

والإثبات مع الحقيقي أولى ما لم يكن جمعا .

أما غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل أحسن نحو فمن جاءه موعظة من ربه .

فإن كثر الفصل ازداد حسنا نحو وأخذ الذين ظلموا الصيحة

والإثبات أيضا حسن نحو وأخذت الذين ظلموا الصيحة فجمع بينهما في سورة هود

٣- قاعدة في التعريف والتنكير

فإن لكل منهما مقاما لا يليق بالآخر أما التنكير فله أسباب

أحدها إرادة الوحدة نحو وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى أي رجل واحد

الثاني إرادة النوع نحو هذا ذكر أي نوع من الذكر

الثالث التعظيم بمعنى أنه أعظم من أن يعين ويعرف نحو فأذنوا بحرب أي بحرب أي حرب

الرابع التكثير نحو أئن لنا لأجرا أي وافرا جزيلا

ويحتمل التعظيم والتكثير معا نحو وإن يكذبوك فقد كذبت رسل أي رسل عظام ذوو عدد كثير

الخامس التحقير بمعنى انحطاط شأنه إلى حد لا يمكن أن يعرف نحو إن نظن إلا ظنا أي ظنا حقيرا لا يعبأ به وإلا لاتبعوه لأن ذلك ديدنهم

إلى غير ذلك من القواعد الهامة .

الإتقان في علوم القرآن ١/٥٤٧-٥٦٣

ثامنا : في حقيقته ومجازه

لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن وهي كل لفظ بقي على موضوعه ولا تقديم فيه ولا تأخير وهذا أكثر الكلام

وأما المجاز فالجمهور أيضا على وقوعه فيه وأنكره جماعة وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب والقرآن منزه عنه وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وذلك محال على الله تعالى .

وقد تبنى هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية ونصره تلميذه ابن القيم وصنف فيه الشيخ الأمين الشنقيطي كتابه نفي جواز المجاز في المنزل للإعجاز وهو مطبوع متداول وإنما دفعهم لذلك تذرع أهل الفرق المنحرفة عن عقيدة أهل السنة والجماعة بالمجاز في نفيهم ما أثبته الله لنفسه من صفات كما فعل الزمخشري وغيره وليس ذلك بلازم لأن صفات الله لا نحيط بها ولا نعلم كيفيتها فما الداعي للتذرع بالمجاز وأما غير ذلك مما لا غيب فيه فلا مانع من إطلاق القول بالمجاز فيه وقد رضي ذلك من نفي المجاز إلا أنه سماه أسلوبا من أساليب العرب ولا مشاحة في الاصطلاح .

قال السيوطي : لو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها .

قال قد أفرده بالتصنيف الإمام عز الدين بن عبد السلام ولخصته مع زيادات كثيرة في كتاب سميته مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن . وهو قسمان :

الأول المجاز في التركيب ويسمى مجاز الإسناد والمجاز العقلي وعلاقته الملابسة وذلك أن يسند الفعل أو شبهة إلى ما هو له أصالة لملابسته له كقوله تعالى وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا نسبت الزيادة وهي فعل الله إلى الآيات لكونها سببا لها

وكذا قوله وأحلوا قومهم دار البوار نسب الإحلال إليهم لتسببهم في كفرهم بأمرهم إياهم به

وهذا القسم أربعة أنواع

أحدها ما طرفاه حقيقيان وثانيها ما طرفاه مجازيان وثالثها ورابعها ما أحد طرفيه حقيقي دون الآخر

القسم الثاني المجاز في المفرد ويسمى اللغوي وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له أولا وأنواعه كثيرة

أحدها الحذف . الثاني الزيادة . الثالث إطلاق اسم الكل على الجزء . الرابع عكسه

ألحق بهذين النوعين شيئان :

أحدهما وصف البعض بصفة الكل كقوله ناصية كاذبة خاطئة فالخطأ صفة الكل وصف به الناصية

وعكسه كقوله إنا منكم وجلون والوجل صفة القلب

والثاني إطلاق لفظ بعض مرادا به الكل

الخامس إطلاق اسم الخاص على العام والسادس عكسه

إلى آخر الأقسام الكثيرة التي ذكرها السيوطي رحمه الله مع أمثلتها من القرآن الكريم .

الإتقان في علوم القرآن ١/٩٨-١٠٢

تاسعا : في تشبيهه واستعاراته

التشبيه نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها

قال المبرد في الكامل لو قال قائل هو أكثر كلام العرب لم يبعد

وقد أفرد تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم بن البندار البغدادي في كتاب سماه الجمان

وعرفه جماعة بأنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى

وقيل غير ذلك

وأدواته حروف وأسماء وأفعال فالحروف الكاف نحو كرماد وكأن نحو كأنه رؤوس الشياطين

والأسماء مثل وشبه ونحوهما مما يشتق من المماثلة والمشابهة

ينقسم التشبيه إلى أقسام باعتبارات عدة منها

١- باعتبار طرفيه :

ينقسم إلى أربعة أقسام لأنهما إما حسيان أو عقليان أو المشبه به حسي والمشبه عقلي أو عكسه .

مثال الأول والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم .
ومثال الثاني ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة
كذا مثل به في البرهان وكأنه ظن أن التشبيه واقع في القسوة وهو غير ظاهر بل هو واقع بين القلوب والحجارة فهو من الأول
ومثال الثالث مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح
ومثال الرابع لم يقع في القرآن بل منع أصلا لأن العقل مستفاد من الحس فالمحسوس أصل للمعقول وتشبيهه به يستلزم جعل الأصل فرعا والفرع أصلا وهو غير جائز
الثاني ينقسم باعتبار وجهه إلى :
مفرد ومركب
والمركب أن ينتزع وجه الشبه من أمور مجموع بعضها إلى بعض كقوله كمثل الحمار يحمل أسفارا فالتشبيه مركب من أحوال الحمار وهو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه .
وينقسم باعتبارات أخرى إلى أقسام لا نطيل بذكرها هنا
وأما الاستعارة فهي تزاوج بين المجاز والتشبيه نتجت عنه
قال بعضهم حقيقة الاستعارة : أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها وحكمة ذلك إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي أو حصول المبالغة أو المجموع.
مثال إظهار الخفي وإنه في أم الكتاب فإن حقيقته وإنه في أصل الكتاب فاستعير لفظ الأم للأصل لأن الأولاد تنشأ من الأم كما تنشأ الفروع من الأصول وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئيا فينتقل السامع من حد السماع إلى حد العيان وذلك أبلغ في البيان
ومثال إيضاح ما ليس بجلي ليصير جليا واخفض لهما جناح الذل فإن المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة فاستعير للذل أولا جانب ثم للجانب جناح وتقدير الاستعارة القريبة واخفض لهما جانب الذل أي اخفض جانبك ذلا وحكمة الاستعارة في هذا جعل ما ليس بمرئي مرئيا لأجل حسن البيان

ومثال المبالغة وفجرنا الأرض عيونا وحقيقته وفجرنا عيون الأرض ولو عبر بذلك لم يكن فيه من المبالغة ما في الأول المشعر بأن الأرض كلها صارت عيونا

وأركان الاستعارة ثلاثة مستعار وهو لفظ المشبه به ومستعار منه وهو معنى اللفظ المشبه ومستعار له وهو المعنى الجامع

وأقسامها كثيرة باعتبارات عدة .

الإتقان في علوم القرآن ١/١١٤-١٢٥

عاشرا : في كناياته وتعريضه

هما من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة وقد تقدم أن الكناية أبلغ من التصريح

وعرفها أهل البيان بأنها لفظ أريد به لازم معناه

وللكناية أسباب

أحدها التنبيه على عظم القدرة نحو هو الذي خلقكم من نفس واحدة كناية عن آدم

ثانيها ترك اللفظ إلى ما هو أجمل نحو إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فكنى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب في ذلك لأن ترك التصريح بذكر النساء أجمل منه ولهذا لم تذكر في القرآن امرأة باسمها إلا مريم

قال السهيلي وإنما ذكرت مريم باسمها على خلاف عادة الفصحاء لنكتة وهو أن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في ملأ ولا يتبذلون أسماءهن بل يكنون عن الزوجة بالفرش والعيال ونحو ذلك فإذا ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر فلما قالت النصارى في مريم ما قالوا صرح الله باسمها ولم يكن تأكيدا للعبودية إلا التي هي صفة لها وتأكيدا لأن عيسى لا أب له وإلا لنسب إليه .

ثالثها أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره ككناية الله عن الجماع بالملامسة والمباشرة والإفضاء والرفث والدخول والسر في قوله ولكن لا تواعدوهن سرا

والغشيان في قوله فلما تغشاها .

رابعها قصد البلاغة والمبالغة نحو أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين كنى عن النساء بأنهن ينشأن في الترفه والتزين الشاغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك والمراد نفي ذلك عن الملائكة

إلى غير ذلك من المقاصد .

والفرق بين الكناية والتعريض أن الكناية ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره

وقيل غير ذلك

ومن أمثلة التعريض قوله : بل فعله كبيرهم هذا نسب الفعل إلى كبير الأصنام المتخذة آلهة كأنه غضب أن تعبد الصغار معه تلويحا لعابدها بأنها لا تصلح أن تكون آلهة لما يعلمون إذا نظروا بعقولهم من عجز كبيرها عن ذلك الفعل والإله لا يكون عاجزا فهو حقيقة أبدا .

وللتعريض مقاصد عدة منها التنويه بالموصوف ومنه قوله ورفع بعضهم درجات أي محمدا صلى الله عليه وسلم إعلاء لقدره أي أنه العلم الذي لا يشتبه

وإما للتلطف به نحو وما لي لا أعبد الذي فطرني أي ومالكم لا تعبدون بدليل قوله وإليه ترجعون وإما لإستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم ومنه لئن أشركت ليحبطن عملك خوطب النبي صلى الله عليه وسلم وأريد غيره لاستحالة الشرك عليه شرعا

وإما للذم نحو إنما يتذكر أولوا الألباب فإنه تعريض بذم الكفار وأنهم في حكم البهائم الذين لا يتذكرون وإما للإهانة والتوبيخ نحو وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت فإن سؤالها لإهانة قاتلها وتوبيخه

إلى هنا نكون قد انتهينا من استعراض الأمر الرابع في تقسيمات البلقيني ونتحدث إن شاء الله تعالى في المحاضرة التالية عن الأمر السادس لتعلقه بالأمر الرابع وهو: المعاني المتعلقة بالألفاظ ، نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الإتقان في علوم القرآن ١/١٢٨-١٣٣

الأسئلة :

المجموعة الأولى (١٠)

ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة :

١- من الضروريات للمفسر معرفة الغريب . **(صح)**

٢- أكثر ما يرجع إليه في غريب القرآن الشعر العربي . **(صح)**

٣- نزل القرآن بلغة قريش فقط . **(خطأ)**

٤- القول الراجح أن القرآن لم يقع فيه شيء من الكلمات من غير لغة العرب أساسا **(خطأ)**

٥- المراد بالوجوه : اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة (صح)

٦- جميع ما ورد في القرآن من لفظة بعل يراد به الزوج **(خطأ)**

٧- المراد بالأدوات التي ينبغي على المفسر معرفتها الحروف وما شاكلها **(صح)**

٨- أشهر ما ألف في إعراب القرآن كتاب أبي البقاء العُكبَري (صح)

٩- القول الراجح هو نفي المجاز في القرآن جملة وتفصيلا (خطأ)

١٠- الاستعارة تزاوج بين المجاز والتشبيه نتجت عنه . **(صح)**

المجموعة الثانية (١٠)

ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة :

١- أشهر من صنف في غريب القرآن

(ابن جرير ، السيوطي ، الراغب الأصفهاني)

٢- كلمة خاسئين فسرها أهل غريب القرآن بـ

(خاسرين ، مبعدين ، معذبين)

٣- من الكلمات اليمانية في القرآن الكريم

(سامدون _ الحمد _ الأرائك)

٤- الألفاظ المتواطئة يعني المتوافقة في المعنى **تسمى**

(النظائر _ الوجوه _ المفردات)

٥- مؤلف كتاب إصلاح الوجوه والنظائر **هو**

(الدامغاني _ السيوطي _ ابن الجوزي)

٦- أل تأتي على ثلاثة أوجه : .... ، حرف تعريف ، زائدة

(صفة ، اسم موصول ، بيانية)

٧- من أغراض التنكير

(الإثبات _ الفصل _ التكثير)

٨- أركان الاستعارة

(أربعة _ ثلاثة _ ستة)

٩- من أسباب الكناية

(التنويه بالموصوف _ استقباح التصريح _ الإهانة والتوبيخ)

١٠- في قوله تعالى : بل فعله كبيرهم هذا

(تعريض **_ كناية _ تشبيه)**

المجموعة الثالثة (١٠)

ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملأ الفراغ :

١- مسائل نافع بن الأزرق من الروايات الضعيفة التي تذكر في علم .... القرآن .

(فقه _ غريب **_ تاريخ)**

٢- ..... من العلماء الذين اعتنوا بما وقع في القرآن بغير لغة العرب .

(الجواليقي _ الخطابي _ الفريابي)

٣- الهدى يأتي على سبعة عشر وجها في القرآن ومنها .....

(الصلاة _ الدين _ الحق)

٤- تفسير الإمام ..... من التفاسير التي اهتمت بجانب إعراب القرآن

(السيوطي ، ابن كثير ، أبي حيان)

٥- .... لا بد له من مرجع يعود إليه

(البدل _ الموصوف _ الضمير)

٦- المجاز قسمان مجاز في التركيب ومجاز في .....

(الحذف _ المفرد _ الزيادة)

٧- في قوله تعالى وفجرنا الأرض عيونا من أنواع الاستعارة

(المبالغة ، إظهار الخفي ، الإيضاح)

٨- .... من ألفاظ الكناية عن المرأة **في القرآن الكريم** .

(زوجه _ نعجة _ امرأته)

٩- .... عرفها أهل البيان بأنها لفظ أريد به لازم معناه .

(الكناية _ الاستعارة _ الفصاحة)

١٠- .... عرفه جماعة بأنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى .

(التشبيه _ التعريض _ المجاز)

المحاضرة السادسة

ذكر طرف من العلوم التي عني بها هذا الفن (٥-٨)

***

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد

فموعدنا اليوم مع نوع جديد من علوم القرآن وهو المعاني المتعلقة بالألفاظ ويدخل تحته علوم كثيرة منها :

الفصل والوصل

الحصر والاختصاص

الإيجاز والإطناب

الخبر والإنشاء

بدائع القرآن

فواصل الآي

فواتح السور

خواتم السور

مناسبة الآيات والسور

الآيات المشتبهات

العنصر الأول :

أولا : الفصل والوصل

هكذا ذكره البلقيني تحت هذا القسم من المعاني المتعلقة بالقرآن ولم يفرده السيوطي بعنوان مستقل وهو غريب منه وأما الزركشي فأفرده بمبحث مستقل إلا أنه ليس بالمعنى المراد هنا لأن الفصل والوصل يطلق ويراد به ما يتعلق برسم القرآن أيضا من كلمات كتبت موصولة في بعض المواضع وفي أخرى كتبت مفصولة . وسوف نتحدث عنه عند كلامنا على رسم القرآن إن شاء الله تعالى .

وأما المراد هنا فهو ما يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى وهو سر من أسرار البلاغة بل إن بعضهم جعله حدا للبلاغة فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال معرفة الفصل من الوصل وما ذاك إلا لغموضه ودقة مسلكه .

ومثال ذلك إذا كان المخبر عنه في الجملتين واحدا كقولنا هو يقول ويفعل ويضر وينفع ويسيء ويحسن ويأمر وينهى ويحل ويعقد ويأخذ ويعطي ويبيع ويشتري ويأكل ويشرب وأشباه ذلك ازداد معنى الجمع في الواو قوة وظهورا وكان الأمر حينئذ صريحا وذلك أنك إذا قلت هو يضر وينفع كنت قد أفدت بالواو أنك أوجبت له الفعلين جميعا وجعلته يفعلهما معا ولو قلت يضر ينفع من غير واو لم يجب ذلك بل قد يجوز أن يكون قولك ينفع رجوعا عن قولك يضر وإبطالا له .

وقد بين الجرجاني الأصول والقوانين المتعلقة بشأن فصل الجمل ووصلها وذكر من هذا الفن مسائل دقيقة في عطف الجمل ومن ذلك أنه قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان مثال ذلك

قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين لو جريت على الظاهر فجعلت كل جملة معطوفة على ما يليها منع منه المعنى وذلك أنه يلزم منه أن يكون قوله وما كنت ثاويا في أهل مدين معطوفا على قوله فتطاول عليهم العمر وذلك يقتضي دخوله في معنى لكن ويصير كأنه قيل ولكنك ما كنت ثاويا وذلك ما لا يخفي فساده وإذا كان ذلك بان منه أنه ينبغي أن يكون عطف مجموع وما كنت ثاويا في أهل مدين إلى مرسلين على مجموع قوله وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر إلى قوله العمر .

ومما جاء في كتاب الله على طريقة العرب في الوصل وجاء أيضا على طريقتهم في الوصل قوله تعالى : وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . حيث قرأها ابن عامر مفصولة : ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . وهي كذلك في مصحف أهل الشام بغير واو .

وقد ذكر المحاسبي أمثلة لما لا يجوز فصله ومنها قوله السماء والأرض ، وقوله : والذكر والأنثى.

فلا يجوز السماء الأرض ، ولا الذكر الأنثى فيكون معناهما واحدا

ولما لا يجوز وصله كقوله محمد رسول الله فلا يجوز محمد ورسول الله فيكونا اثنين

ثم قال : ولا يجوز الفصل فيما لا يتم إلا بالوصل ولا يجوز الوصل فيما لا يتم معناه إلا بالفصل فذكر أمثلة للوقف في مواضع مرتبطة بما بعدها وهو مبحث متعلق بالوقف والابتداء وقد سبق مرورنا به .

(دلائل الإعجاز - الجرجاني ١/١٧٤-١٩١ ، فهم القرآن للمحاسبي ١/٤٩٢-٥٠٢ ، إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ١/٢٨٣)

العنصر الثاني :

ثانيا : الحصر والاختصاص :

الحصر ويقال له القصر وهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ويقال : إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه

وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف وكل منهما إما حقيقي وإما مجازي

مثال قصر الموصوف على الصفة حقيقيا نحو ما زيد إلا كاتب أي لا صفة له غيرها وهو عزيز لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكلية ويبعد أن تكون للذات صفة واحدة ليس لها غيرها ولذا لم يقع في التنزيل

ومثاله مجازيا وما محمد إلا رسول أي أنه مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبري من الموت الذي استعظموه الذي هو من شأن الإله

ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقيا لا إله إلا الله

ومثاله مجازيا قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة الآية كما قال الشافعي إن الكفار لما كانوا يحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وكانوا يحرمون كثيرا من المباحات وكانت سجيتهم تخالف وضع الشرع ونزلت الآية مسبوقة

بذكر شبههم في البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وكان الغرض إبانة كذبهم فكأنه قال لا حرام إلا ما أحللتموه والغرض الرد عليهم والمضادة لا الحصر الحقيقي .

وينقسم الحصر باعتبارات إلى أقسام أخرى .

وطرق الحصر كثيرة

فمنها النفي والاستثناء نحو : ما قلت لهم إلا ما أمرتني به

ومنها : إنما ومن ذلك قوله تعالى قال إنما العلم عند الله قال إنما يأتيكم به الله قل إنما علمها عند ربي

ومنها : تقديم المعمول نحو إياك نعبد لإلى الله تحشرون .

ومنها : ضمير الفصل نحو فالله هو الولي أي لا غيره وأولئك هم المفلحون

ومنها : تقديم المسند إليه مثل قوله : لا تعلمهم نحن نعلمهم أي لا يعلمهم إلا نحن ومنه فهم لا يتساءلون .

وغير ذلك كثير ونازع في بعض ذلك جماعة من أهل العلم .

الإتقان في علوم القرآن ٢/١٣٤-١٣٩

العنصر الثالث :

ثالثا : الإيجاز والإطناب :

وهما من أعظم أنواع البلاغة حتى قال بعضهم : البلاغة هي الإيجاز والإطناب

قال الزمخشري : كما أنه يجب على البليغ في مظان الإجمال أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يفصل ويشبع

واختلف هل بين الإيجاز والإطناب واسطة وهي المساواة أو لا

قال بعضهم : المساواة غير محمودة ولا مذمومة وهي المتعارف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا في رتبة البلاغة

والإيجاز أداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف

والإطناب أداؤه بأكثر منها لكون المقام خليقا بالبسط

والمساواة لا تكاد توجد في القرآن وما مثل به بعضهم لها لا يسلم له .

والإيجاز والاختصار بمعنى واحد .

والإطناب قيل بمعنى الإسهاب وقيل الإسهاب التطويل لفائدة أو لا لفائدة .

والإيجاز قسمان إيجاز قصر وإيجاز حذف

إيجاز القصر

قال بعضهم : هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ

وقيل : هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة

وسبب حسنه أنه يدل على التمكن في الفصاحة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم .

والأمثلة على ذلك كثيرة ومن بديع الإيجاز قوله تعالى قل هو الله أحد إلى آخرها فإنه نهاية التنزيه وقد تضمنت الرد على نحو أربعين فرقة كما أفرد ذلك بالتصنيف بعض أهل العلم.

وقوله وقيل يا أرض ابلعي ماءك الآية أمر فيها ونهى وأخبر ونادى ونعت وسمى وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى وقص من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأقلام وقد أفردت بلاغة هذه الآية بالتأليف

وفي العجائب للكرماني أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها في فخامة ألفاظها وحسن نظمها وجودة معانيها في تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال

إيجاز الحذف

ومن أسبابه :

مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره

ومنها التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء وقد اجتمعا في قوله تعالى ناقة الله وسقياها فناقة الله تحذير بتقدير ذروا و سقياها إغراء بتقدير الزموا

ومنها التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس ومنه قوله في وصف أهل الجنة حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها فحذف الجواب إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى

وكذا قوله ولو ترى إذ وقفوا على النار أي لرأيت أمرا فظيعا لا تكاد تحيط به العبارة

ومنها التخفيف لكثرة دورانه في الكلام كما في حذف حرف النداء نحو يوسف أعرض ونون لم يك

إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة .

الإتقان في علوم القرآن ٢/١٤٤-١٧٣

العنصر الثالث : شروط الحذف وأنواعه :

وللحذف شروط ثمانية :

منها وجود دليل عليه .

ومنها ألا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر ومن ثم لم يحذف اسم الفعل لأنه اختصار للفعل

ومنها ألا يكون عاملا ضعيفا فلا يحذف الجار مثلا

ومنها ألا يكون المحذوف عوضا عن شيء .

وغير ذلك .

كما أن للحذف أنواعا :

أحدها ما يسمى بالاقتطاع وهو حذف بعض حروف الكلمة .

والنوع الثاني ما يسمى بالاكتفاء وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة .كقوله سرابيل تقيكم الحر أي والبرد وخصص الحر بالذكر لأن الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم لأنه أشد عندهم من البرد .

وقيل لأن البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحا في قوله ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها وفي قوله وجعل لكم من الجبال أكنانا وفي قوله تعالى والأنعام خلقها لكم فيها دفء

ومن أمثلة هذا النوع بيدك الخير أي والشر وإنما خص الخير بالذكر لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم أو لأنه أكثر وجودا في العالم أو لأن إضافة الشر إلى الله ليس من باب الآداب كما قال صلى الله عليه وسلم والشر ليس إليك

النوع الثالث ما يسمى بالاحتباك وهو من ألطف الأنواع وأبدعها

وأفرده بالتصنيف البقاعي وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول كقوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق الآية التقدير ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به فحذف من الأول الأنبياء لدلالة الذي ينعق عليه ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه .

ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشد والأحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج وشده وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق .

النوع الرابع ما يسمى بالاختزال هو ما ليس واحدا مما سبق وهو أقسام لأن المحذوف إما كلمة : اسم أو فعل أو حرف ، أو أكثر والأمثلة على ذلك كثيرة

العنصر الرابع : الإطناب :

أما الإطناب فكما انقسم الإيجاز إلى إيجاز قصر وإيجاز حذف كذلك انقسم الإطناب إلى بسط وزيادة

فمن الإطناب بالبسط الإطناب بتكثير الجمل كقوله تعالى إن في خلق السماوات والأرض الآية في سورة البقرة أطنب فيها أبلغ الإطناب لكون الخطاب مع الثقلين وفي كل عصر وحين للعالم منهم والجاهل والموافق منهم والمنافق .

والثاني يكون بأنواع

أحدها دخول حرف فأكثر من حروف التأكيد

وإنما يحسن تأكيد الكلام بها إذا كان المخاطب به منكرا أو مترددا

ويتفاوت التأكيد بحسب قوة الإنكار وضعفه

ثم باب الزيادة في الحروف وزيادة الأفعال قليل والأسماء أقل

ومنه التأكيد الصناعي

وهو أقسام

منها التوكيد المعنوي بكل وأجمع

ومنها التأكيد اللفظي وهو تكرار اللفظ الأول

ومن أنواع الإطناب بالبسط التكرير

والإطناب بالصفة وبالبدل وبعطف البيان وبعطف أحد المترادفين على الآخر وبعطف العام على الخاص والعكس وبوضع الظاهر موضع المضمر والتذييل والتكميل والتتميم إلى غير ذلك مما أوصله السيوطي رحمه الله إلى إحدى وعشرين طريقة تنظر في محالها .

الإتقان في علوم القرآن ٢/٢٠٠

العنصر الخامس

الخبر والإنشاء :

والكلام ينحصر في هذين النوعين

والخبر قيل ما يدخله التصديق والتكذيب وقيل غير ذلك .

والقصد بالخبر إفادة المخاطب وقد يرد بمعنى الأمر نحو   والوالدات يرضعن

والمطلقات يتربصن

وبمعنى الدعاء نحو   وإياك نستعين   أي أعنا ومنه   تبت يدا أبي لهب وتب   فإنه دعاء عليه

وكذا   قاتلهم الله

وكذا   غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا

وله معان أخرى .

وللخبر أقسام منها الوعد والوعيد وغير ذلك .

وأما الإنشاء فهو أقسام أيضا منها :

الاستفهام وهو طلب الفهم وهو بمعنى الاستخبار

وأدواته الهمزة وهل وما ومن وأي وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان

وله أغراض

الأول الإنكار

الثاني التوبيخ والتقريع نحو أفعصيت أمري

الثالث : التقرير كقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك

الرابع التعجب نحو كيف تكفرون بالله

الخامس العتاب كقوله ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله

وغير ذلك كثير .

ومن أقسام الإنشاء الأمر

وهو طلب فعل غير كف وصيغته افعل و ليفعل وهي حقيقة في الإيجاب نحو أقيموا الصلاة فليصلوا معك

وترد مجازا لمعان أخر منها الندب نحو وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا

والإباحة نحو وإذا حللتم فاصطادوا

والتهديد نحو اعملوا ما شئتم إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاءوا

والإهانة نحو ذق إنك أنت العزيز الكريم

وغير ذلك كثير أيضا .

ومن أقسام الإنشاء النهي

وهو طلب الكف عن فعل وصيغته لا تفعل وهي حقيقة في التحريم

وترد مجازا لمعان

منها الكراهة نحو ولا تمش في الأرض مرحا

والدعاء نحو ربنا لا تزغ قلوبنا

والإرشاد نحو لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم

وغير ذلك من المقاصد .

الإتقان في علوم القرآن ٢/٢٠٤-٢٢٥

بدائع القرآن

أفرده بالتصنيف ابن أبي الأصبع فأورد فيه نحو مائة نوع وهي المجاز والاستعارة والتشبيه والكناية والإرداف والتمثيل والإيجاز والاتساع والإشارة والمساواة والبسط والإيغال والتتميم والتكميل والاحتراس والاستقصاء والتذييل والزيادة والترديد والتكرار والتفسير والإيضاح ونفي الشيء بإيجابه إلى غير ذلك وقد تقدم بعض ذلك ومن أراد الاستزادة فليرجع لما كتبه السيوطي رحمه الله .

ونتكلم هنا على بعض هذه البدائع ومنها :

الإيهام : وهو التورية وهي أن يذكر لفظا له معنيان أحدهما قريب والآخر بعيد ويقصد البعيد ويورى عنه بالقريب فيتوهمه السامع من أول وهلة .

وقد ذكر ابن حجر أن من التورية في القرآن قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس فإن كافة بمعنى مانع أي تكفهم عن الكفر والمعصية والهاء للمبالغة وهذا معنى بعيد والمعنى القريب المتبادر أن المراد جميعا لكن منع من حمله على ذلك أن التأكيد يتراخى عن المؤكد فكما لا تقول رأيت جميعا الناس لا تقول رأيت كافة الناس .

الاستخدام : وهو من أشرف أنواع البديع وهو أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مرادا به أحد معانيه ثم يؤتى بضميره ومنها قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين فإن المراد به آدم ثم أعاد عليه الضمير مرادا به ولده فقال ثم جعلناه نطفة في قرار مكين

٣ - الالتفات وهو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر أعني من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول هذا هو المشهور

وقال السكاكي إما ذلك أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره

وله فوائد منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات والسآمة من الاستمرار على منوال واحد وهذه فائدته العامة

ومثاله من التكلم إلى الخطاب ووجهه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه وأعطاه فضل عناية تخصيص بالمواجهة

وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة

ومثاله من التكلم إلى الغيبة قوله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله والأصل لنغفر لك

ومثاله من الخطاب إلى الغيبة حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم والأصل بكم ونكتة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم التعجب من كفرهم وفعلهم إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة .

ويقرب من الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع لخطاب الآخر

مثاله من الواحد إلى الاثنين قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض

وإلى الجمع يا أيها النبي إذا طلقتم النساء

ومن الاثنين إلى الواحد فمن ربكما يا موسى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى

وإلى الجمع وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة

ومنه أيضا الانتقال من الماضي أو المضارع أو الأمر إلى آخر

ومثاله من الماضي إلى المضارع أرسل الرياح فتثير

وإلى المضارع وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون

الانسجام

هو أن يكون الكلام لخلوه من العقادة منحدرا كتحدر الماء المنسجم ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة والقرآن كله كذلك

قال أهل البديع وإذا قوى الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه ومن ذلك ما وقع في القرآن موزونا

فمنه من بحر الطويل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

قال الناظم : أطال عذولي فيك كفرانه الهوى وآمنت يا ذا الظبا فأنس ولا تنفر

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

ومن المديد تلك آيات الكتاب الحكيم

قال الناظم :

يا مديد الهجر هل من كتاب فيه آيات الشفا للسقيم

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن   تلك آيات الكتاب الحكيم

وهكذا .

الإتقان في علوم القرآن ٢/٢٢٨-٢٣٤

فواصل الآي

الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع

وقال الداني كلمة آخر الجملة

وفرق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي فقال الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس وكذلك الفواصل يكن رؤوس أي وغيرها وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية .

قال ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي   يوم يأت   و   ما كنا نبغ وليسا رأس آيتين بإجماع مع   إذا يسر   وهو رأس آية بإتفاق

وقال الجعبري لمعرفة الفواصل طريقان توقيفي وقياسي أما التوقيفي فما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائما تحققنا أنه فاصلة وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة

وأما القياسي فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ولا محذور في ذلك لأنه لا زيادة ولا نقصان وإنما غايته إنه محل فصل أو وصل والوقف على كل كلمة جائز ووصل القرآن كله جائز فاحتاج القياس إلى طريق تعرفه فنقول فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر وقافية البيت في الشعر وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحركة والإشباع والتوجيه فليس بعيب في الفاصلة .

وقد عد البعض هذه الفواصل من باب السجع ونفاه آخرون وقالوا لو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز ولو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز أن يقولوا شعر معجز وكيف والسجع مما كان تألفه الكهان من

العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر لأن الكهانة تنافي النبوات بخلاف الشعر وقد قال صلى الله عليه وسلم أسجع كسجع الكهان فجعله مذموما

قالوا : وما توهموا أنه سجع ، باطل لأن مجيئه على صورته لا يقتضي كونه هو لأن السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو في معنى السجع من القرآن لأن اللفظ وقع فيه تابعا للمعنى .

ومنهم وهو الوسط من يرى أن السجع وإن كان زينة للكلام فقد يدعو إلى التكلف فرئي ألا يستعمل في جملة الكلام وألا يخلي الكلام منه جملة وأنه يقبل منه ما اجتلبه الخاطر عفوا بلا تكلف

قال وكيف يعاب السجع على الإطلاق وإنما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع في كلامهم وإنما لم يجيء على أسلوب واحد لأنه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد لما فيه من التكلف ولما في الطبع من الملل ولأن الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد فلهذا وردت بعض أي القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثل .

وقد ألف الشيخ شمس الدين بن الصائغ كتابا في الفواصل قال فيه

اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول قال وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكما

فذكر منها : تقديم المعمول نحو لنريك من آياتنا الكبرى إذا أعربنا الكبرى مفعول نري .

وتقديم ما هو متأخر في الزمان نحو فلله الآخرة والأولى

وإثبات هاء السكت نحو ماليه سلطانيه ما هيه

الجمع بين المجرورات نحو ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا فإن الأحسن الفصل بينها إلا أن مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير تبيعا

العدول عن صيغة المضي إلى صيغة الاستقبال نحو ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون والأصل قتلتم

تغيير بنية الكلمة نحو وطور سينين والأصل سينا

وغير ذلك ثم قال ابن الصائغ : لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة فإن القرآن العظيم كما جاء في الأثر لا تنقضي عجائبه

ولا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال قد فصلها وبين أمثلتها السيوطي رحمه الله فلتنظر في محلها .

الإتقان ٢/٢٦٠-٢٦٥

نكتفي بهذا القدر ونستكمل حديثنا عن بقية أنواع هذا القسم في المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الأسئلة :

المجموعة الأولى (١٠)

ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة :

١- الفصل والوصل يطلق أحيانا ويراد به ما يتعلق برسم القرآن . **(صح)**

٢- والإيجاز أداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف . **(صح)**

٣- المساواة توجد في القرآن في مواضع عديدة . **(خطأ)**

٤- من شروط الحذف وجود دليل عليه **(صح)**

٥- الاقتطاع وهو حذف بعض حروف الكلمة (صح)

٦- الإطناب ينقسم إلى بسط وحذف **(خطأ)**

٧- ينحصر الكلام في الخبر والإنشاء ولا ثالث لهما **(صح)**

٨- الخبر هو ما لا يحتمل صدق ولا كذبا (خطأ)

٩- القول الراجح هو نفي وجود السجع في القرآن جملة وتفصيلا (خطأ)

١٠- الخبر قد يراد منه الدعاء (صح)

المجموعة الثانية (١٠)

ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة :

١- ما يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها يسمى

(عطف البيان ، الإطناب ، الوصل والفصل)

٢- إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه يسمى

(التخصيص ، الحصر ، الإيجاز)

٣- الحصر في قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة ... **الآية من النوع**

(المجازي _ الحقيقي _ المشترك)

٤- تتم معرفة الفواصل عن طريق

(القياس ، التوقيف ، القياس والتوقيف)

٥- الاحتباك نوع من أنواع

(الحذف _ الاقتطاع _ الإطناب)

٦- الاستفهام نوع من أنواع

(الخبر ، الإنشاء ، التوكيد)

٧- قوله تعالى : وإذا حللتم فاصطادوا من أنواع الأمر المراد به

(الوجوب _ الإرشاد _ الإباحة)

٨- قوله تعالى : غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا **خبر معناه**

(الدعاء _ النهي _ الإخبار حقيقة)

٩- من مقاصد النهي المجازية

(الإهانة _ الدعاء _ التهديد)

١٠- التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال **متعلقة بعلم**

(فواصل الآي ، الاستعارة ، المجاز)

المجموعة الثالثة (١٠)

ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملأ الفراغ :

١- من طرق ...... النفي والاستثناء ، وتقديم المعمول

(التخصيص _ الحصر _ الإطناب)

٢- يعتبر قوله تعالى : وقيل يا أرض ابلعي ماءك **من أمثلة** ....

(إيجاز القصر _ إيجاز الحذف _ الإطناب)

٣- من أنواع الإطناب بالزيادة ....

(البسط _ التأكيد _ تكثير الجمل)

٤- .... هي أن يذكر لفظا له معنيان أحدهما قريب والآخر بعيد ويقصد البعيد

(الكناية ، الاستعارة ، التورية)

٥- .... هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر **مثل من التكلم للغيبة**

(الانسجام _ الاستخدام _ الالتفات)

٦- .... قسمان قصر وحذف

(الإيجاز _ التوكيد _ الحصر)

٧- .... كلمة آخر الجملة في القرآن كقافية الشعر وقرينة السجع

(الفاصلة ، التذييل ، رأس الآية)

٨- .... هو طلب الكف عن فعل

(النهي _ الأمر _ الدعاء)

٩- .... هو أن يكون الكلام لخلوه من العقادة منحدرا كتحدر الماء

(السلاسة _ الانسجام _ الاستخدام)

١٠- .... عرفه جماعة بأنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى .

(التشبيه _ التعريض _ المجاز)

المحاضرة السابعة

ذكر طرف من العلوم التي عني بها هذا الفن (٦-٨)

****

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد

فلا يزال حديثنا في القسم الخامس من أقسام علوم القرآن وهو في المعاني المتعلقة بالألفاظ

ونبدأ بالحديث عن فواتح السور فنقول :

أفردها بالتأليف ابن أبي الأصبع في كتاب سماه الخواطر السوانح في أسرار الفواتح

وقد افتتح الله سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها

الأول الثناء عليه تعالى وهو قسمان إثبات لصفات المدح ونفي وتنزيه من صفات النقص

فالتحميد في خمس سور وتبارك في سورتين والتسبيح في سبع سور

الثاني حروف التهجي في تسع وعشرين سورة

الثالث النداء في عشر سور

الرابع الجمل الخبرية

الخامس القسم في خمس عشرة

السادس الشرط في سبع سور

السابع الأمر في ست سور

الثامن الاستفهام في ست سور عم يتساءلون

التاسع الدعاء في ثلاث

العاشر التعليل في لإيلاف قريش

قال أهل البيان من البلاغة حسن الابتداء وهو أن يتأنق في أول الكلام لأنه أول ما يقرع السمع فإن كان محررا أقبل السامع على الكلام ووعاه وإلا أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ .

الإتقان في علوم القرآن ٢/٢٨١-٢٨٣

خواتم السور

وهى مثل الفواتح في الحسن لأنها آخر ما يقرع الأسماع فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد فهي بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد إلى غير ذلك

كالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة

وكالوصايا التي ختمت بها سورة آل عمران

والفرائض التي ختمت بها سورة النساء وحسن الختم بها لما فيها من أحكام الموت الذي هو آخر أمر كل حي ولأنها آخر ما أنزل من الأحكام

وكالتبجيل والتعظيم الذي ختمت به المائدة

وكالوعد والوعيد الذي ختمت به الأنعام

وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به الأعراف

وكالحض على الجهاد وصلة الأرحام الذي ختم به الأنفال

ونفس الأمر في أواخر ما نزل من القرآن جملة

فانظر براعة آخر آية نزلت وهي قوله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله وما فيها من الإشعار بالآخرية المستلزمة للوفاة .

وكذلك آخر سورة نزلت وهي سورة النصر فيها الإشعار بالوفاة كما أخرجه البخاري عن ابن عباس

الإتقان في علوم القرآن ٢/٢٨٦-٢٨٧

مناسبة الآيات والسور

أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن ثم الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه نظم الدرر في تناسب الآي والسور وهو كتاب عظيم ضخم مطبوع في اثنين وعشرين مجلدا وهو لا يقتصر فقط على المناسبات وإنما يفسر الآيات ، وكذا ألف فيه السيوطي رحمه الله وسوف نعرض لهذا الفن من علوم القرآن بالتفصيل في الفصل الدراسي الثاني من هذا العام إن شاء الله تعالى .

وهو علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته وممن أكثر فيه الإمام الرازي وقال في تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط

وقال بعضهم : لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة .

قال : وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة .

والمناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات .

ومن تلك الروابط الكثيرة التضاد

كقوله في سورة البقرة إن الذين كفروا سواء عليهم الآية فإن أول السورة كان حديثا عن القرآن وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه وحكمته التشويق وكما قيل وبضدها تتبين الأشياء .

وحكى الخطابي أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن وضعوا سورة القدر عقب العلق استدلوا بذلك على أن المراد بهاء الكناية في قوله إنا أنزلناه في ليلة القدر الإشارة إلى قوله اقرأ قال القاضي أبو بكر ابن العربي وهذا بديع جدا

وقال الزركشي : ومن ذلك افتتاح السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحدة بما بدئت به حتى لم يكن لترد الم في موضع الر ولا حم في موضع طس

وذلك أن كل سورة بدئت بحرف منها فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الواردة فيها فلو وضع ق موضع ن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله وسورة ق بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف من ذكر القرآن والخلق وتكرير القول ومراجعته مرارا والقرب من ابن آدم وتلقي الملكين وقول العتيد والرقيب والسائق والإلقاء في جهنم والتقدم بالوعد وذكر المتقين والقلب والقرون والتنقيب في البلاد وتشقق الأرض وحقوق الوعيد وغير ذلك

الإتقان في علوم القرآن السيوطي ٢/٢٨٨-٢٩٩

الآيات المشتبهات

وهذا الفن يسمى أيضا متشابه النظم وقد أفرده بالتصنيف خلق ومنهم الكرماني وكتابه البرهان في توجيه متشابه القرآن مطبوع في مجلد لطيف ومن أحسن ما ألف فيه كتاب ملاك التأويل لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي وهو مطبوع في مجلدين ضخمين .

وألف فيه جماعة من غير توجيه لأجل ضبط الحفظ ومن ذلك سبيل التثبيت واليقين لصفي الدين المصري ونظم ذلك بعضهم في نظم ليسهل حفظه وقد كتبت في ذلك أبياتا وهي قيد التنقيح .

والقصد به إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة بل تأتي في موضع واحد مقدما وفي آخر مؤخرا كقوله في البقرة وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الأعراف وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا

وفي البقرة وما أهل به لغير الله وسائر القرآن وما أهل لغير الله به

وهذه أمثلة منه بتوجيهها :

قوله تعالى في البقرة هدى للمتقين وفي لقمان هدى ورحمة للمحسنين لأنه لما ذكر في البقرة مجموع الإيمان ناسب المتقين ولما ذكر في لقمان الرحمة ناسب المحسنين

قوله تعالى في سورة البقرة وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وفي آل عمران معدودات قال ابن جماعة لأن قائل ذلك فرقتان من اليهود إحداهما قالت إنما نعذب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا والأخرى قالت إنما نعذب أربعين عدة أيام عبادة آبائهم العجل فآية البقرة تحتمل قصد الفرقة الثانية حيث عبر بجمع الكثرة وآل عمران بالفرقة الأولى حيث أتى بجمع القلة

قوله تعالى في البقرة رب اجعل هذا بلدا آمنا وفي إبراهيم هذا البلد آمنا لأن الأول دعا به قبل مصيره بلدا عند ترك هاجر وإسماعيل به وهو واد فدعا بأن يصير بلدا والثاني دعا به بعد عوده وسكنى جرهم به ومصيره بلدا فدعا بأمنه

قوله تعالى : تلك حدود الله فلا تقربوها   وقال بعد ذلك   فلا تعتدوها   لأن الأولى وردت بعد نواه فناسب النهى عن قربانها والثانية بعد أوامر فناسب النهى عن تعديها وتجاوزها بأن يوقف عندها

الإتقان في علوم القرآن ٢/٣٠٤-٣٠٧

وننتقل الآن إلى القسم السادس من أقسام علوم القرآن وهو المعاني المتعلقة بالأحكام ويندرج تحتها :

المحكم والمتشابه

مقدمه ومؤخره

خاصه وعامه

مجمله ومبينه

ناسخه ومنسوخه

مشكله وموهم الاختلاف والتناقض

مطلقه ومقيده

منطوقه ومفهومه

وجوه مخاطباته

وهذه المباحث تجد جلها مطولا في الكتب المعنية بأصول الفقه لارتباطها باستخلاص الأحكام الفقهية من كتاب الله عز وجل .

أولا : المحكم والمتشابه

قال تعالى   هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات

وفي تلك المسألة ثلاثة أقوال

أحدها أن القرآن كله محكم لقوله تعالى   كتاب أحكمت آياته

الثاني كله متشابه لقوله تعالى   كتابا متشابها مثاني

الثالث وهو الصحيح انقسامه إلى محكم ومتشابه للآية المصدر بها

والجواب عن الآيتين أن المراد بإحكامه إتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه وبتشابهه كونه يشبه بعضه بعضا في الحق والصدق والإعجاز

وقد اختلف في تعيين المحكم والمتشابه على أقوال

فقيل المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل .

والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور

وقيل المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا والمتشابه ما احتمل أوجها

وقيل غير ذلك

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به

واختلف هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه أو لا يعلمه إلا الله على قولين منشؤهما الاختلاف في قوله والراسخون في العلم هل هو معطوف و يقولون حال أو مبتدأ خبره يقولون والواو للاستئناف .

والأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم خصوصا أهل السنة ذهبوا إلى الثاني وهو أصح الروايات عن ابن عباس

ويدل لصحة مذهب الأكثرين ما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره والحاكم في مستدركه عن ابن عباس أنه كان يقرأ < وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به > فهذا يدل على أن الواو للاستئناف لأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة فأقل درجاتها أن يكون خبرا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن فيقدم كلامه في ذلك على من دونه

ويؤيد ذلك أن الآية دلت على ذم متبعي المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة وعلى مدح الذين فوضوا العلم إلى الله وسلموا إليه كما مدح الله المؤمنين بالغيب

وأخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب إلى قوله أولوا الألباب قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه إلا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب

قال الطيبي : المراد بالمحكم ما اتضح معناه ، والمتشابه بخلافه ، لأن اللفظ الذي يقبل معنى إما أن يحتمل غيره ، أو لا ، والثاني النص . والأول إما أن تكون دلالته على ذلك الغير أرجح ، أو لا ، والأول هو الظاهر . والثاني إما أن يكون مساويه ، أو لا ، والأول هو المجمل ، والثاني المؤول .

فالمشترك بين النص والظاهر هو المحكم ، والمشترك بين المجمل والمؤول هو المتشابه

والكلام في المحكم والمتشابه يطول وسوف نعرض له بالتفصيل في دراستنا لعلوم القرآن في السنوات القادمة إن شاء الله تعالى .

فإن قيل : ما الحكمة في إنزال المتشابه ممن أراد لعباده به البيان والهدى ؟

قلت : إن كان مما يمكن علمه فله فوائد

منها الحث للعلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه فإن استدعاء الهمم لمعرفة ذلك من أعظم القرب

ومنها ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات إذ لو كان القرآن كله محكما لا يحتاج إلى تأويل ونظر لاستوت منازل الخلق ولم يظهر فضل العالم على غيره

وإن كان مما لا يمكن علمه فله فوائد

منها ابتلاء العباد بالوقوف عنده والتوقف فيه والتفويض والتسليم والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة كالمنسوخ وإن لم يجز العمل بما فيه وإقامة الحجة عليهم لأنه لما نزل بلسانهم ولغتهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وأفهامهم دل على أنه نزل من عند الله وأنه الذي أعجزهم عن الوقوف على معناه .

الإتقان في علوم القرآن ٢/٥-٣٢

ثانيا : مقدمه ومؤخره

وهو قسمان

الأول ما أشكل معناه بحسب الظاهر فلما عرف أنه من باب التقديم والتأخير اتضح

وهو جدير أن يفرد بالتصنيف وقد تعرض السلف لذلك في آيات

أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا قال هذا من تقاديم الكلام يقول لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة

وأخرج عنه أيضا في قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى قال هذا من مقاديم الكلام يقول لولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما

وأخرج عن مجاهد في قوله تعالى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما قال هذا من التقديم والتأخير أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا

وأخرج عن قتادة في قوله تعالى إني متوفيك ورافعك إلي قال هذا من المقدم والمؤخر أي رافعك إلي ومتوفيك

الثاني ما ليس كذلك وقد ألف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابه المقدمة في سر الألفاظ المقدمة قال فيه : الحكمة الشائعة الذائعة في ذلك : الاهتمام .

ثم قال : هذه الحكمة إجمالية وأما تفاصيل أسباب التقديم وأسراره فقد ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع

الأول التبرك كتقديم اسم الله تعالى في الأمور ذات الشأن ومنه قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم وقوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول الآية

الثاني التعظيم كقوله ومن يطع الله والرسول إن الله وملائكته يصلون والله ورسوله أحق أن يرضوه

الثالث التشريف كتقديم الذكر على الأنثى نحو إن المسلمين والمسلمات الآية والحر في قوله الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى والحي في قوله يخرج الحي من الميت الآية وما يستوي الأحياء ولا الأموات

ثم ذكر باقيها مفصلة بأمثلتها .

الإتقان في علوم القرآن ٢/٣٣-٣٦

عامه وخاصه

العام لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر ، وصيغ العموم كثيرة منها :

كل مبتدأة نحو : كل من عليها فان ، أو تابعة نحو : فسجد الملائكة كلهم أجمعون

والذي والتي وتثنيتهما وجمعهما نحو والذي قال لوالديه أف لكما فإن المراد به كل من صدر منه هذا القول بدليل قوله بعد أولئك الذين حق عليهم القول والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة للذين أحسنوا الحسنى وزيادة للذين اتقوا عند ربهم جنات واللائي يئسن من المحيض الآية واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا الآية واللذان يأتيانها منكم فآذوهما

وأي وما ومن شرطا واستفهاما وموصولا نحو أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم من يعمل سوءا يجز به

والجمع المضاف نحو يوصيكم الله في أولادكم

والمعرف بأل نحو قد أفلح المؤمنون فاقتلوا المشركين

واسم الجنس المضاف نحو فليحذر الذين يخالفون عن أمره أي كل أمر الله

والمعرف بأل نحو وأحل الله البيع أي كل بيع إن الإنسان لفي خسر أي كل إنسان بدليل إلا الذين آمنوا

إلى غير ذلك

العام على ثلاثة أقسام

الأول الباقي على عمومه وذكر الزركشي في البرهان أنه كثير في القرآن وأورد منه وأن الله بكل شيء عليم إن الله لا يظلم الناس شيئا ولا يظلم ربك أحدا والله خلقكم من تراب ثم من نطفة الله الذي جعل لكم الأرض قرارا

ومنه أيضا قوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية فإنه لا خصوص فيها

الثاني العام المراد به الخصوص

الثالث العام المخصوص وللناس بينهما فروق

ومن أمثلة المراد به الخصوص قوله تعالى الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم والقائل واحد نعيم بن مسعود الأشجعي أو أعرابي من خزاعة .

ومنها قوله تعالى أم يحسدون الناس أي رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة .

وأما المخصوص فأمثلته في القرآن كثيرة جدا وهو أكثر من المنسوخ إذ ما من عام إلا وقد خص

ثم المخصص له إما متصل وإما منفصل

فالمتصل خمسة وقعت في القرآن وهي الاستثناء والوصف والشرط والغاية وبدل البعض من الكل ومن أمثلة ذلك :

والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم ، وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية

وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا

والمنفصل آية أخرى في محل آخر أو حديث أو إجماع أو قياس

ومن أمثلة ما خص بالقرآن قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء خص بقوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية

ومن أمثلة ما خص بالحديث قوله تعالى وأحل الله البيع خص منه البيوع الفاسدة وهي كثيرة بالسنة

ومن أمثلة ما خص بالإجماع آية المواريث خص منها الرقيق فلا يرث بالإجماع ذكره مكي

ومن أمثلة ما خص بالقياس آية الزنا فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة خص منها العبد بالقياس على الأمة المنصوصة في قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب المخصص لعموم الآية ذكره مكي أيضا

وفي بعض ذلك نزاع بين الفقهاء .

الإتقان في علوم القرآن ٢/٤١-٤٦

مجمله ومبينه

المجمل مالم تتضح دلالته وهو واقع في القرآن عند الجمهور وخالف في ذلك الإمام داود الظاهري .

وفي جواز بقائه مجملا أقوال أصحها : لا يبقى المكلف بالعمل به ، بخلاف غيره

وللإجمال أسباب

منها الاشتراك نحو والليل إذا عسعس فإنه موضوع لأقبل وأدبر

ثلاثة قروء فإن القرء موضوع للحيض والطهر

أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح يحتمل الزوج والولي فإن كلا منهما بيده عقدة النكاح

إلى غير ذلك من أسباب الإجمال

وقد يقع التبيين متصلا نحو من الفجر بعد قوله الخيط الأبيض من الخيط الأسود

ومنفصلا في آية أخرى نحو وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة دال على جواز الرؤية ومفسر أن المراد بقوله لا تدركه الأبصار لا تحيط به دون لا تراه .

وقوله فتلقى آدم من ربه كلمات فسره قوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا الآية

وقد يقع التبيين بالسنة مثل وأقيموا الصلاة إنها مجملة لاحتمال الصلاة لكل دعاء

وقيل لا بل يحمل على كل ما ذكر إلا ما خص بدليل

الإتقان في علوم القرآن ٢/٥٠-٥٤

ناسخه ومنسوخه

أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو داود السجستاني وأبو جعفر النحاس وابن الأنباري ومكي وابن العربي

قال الأئمة لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ

ويأتي النسخ بمعنى الإزالة ومنه قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته

وبمعنى التبديل ومنه وإذا بدلنا آية مكان آية

وبمعنى التحويل كتناسخ المواريث بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد

وبمعنى النقل من موضع إلى موضع ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكيا للفظه وخطه .

و النسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكم منها التيسير وقد أجمع المسلمون على جوازه وأنكره اليهود ظنا منهم أنه بداء كالذي يرى الرأي ثم يبدو له وهو باطل لأنه بيان مدة الحكم كالإحياء بعد الإماتة وعكسه والمرض بعد الصحة وعكسه والفقر بعد الغنى وعكسه وذلك لا يكون بداء فكذا الأمر والنهي

واختلف العلماء فقيل لا ينسخ القرآن إلا بقرآن لقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها قالوا ولا يكون مثل القرآن وخيرا منه إلا قرآن

وقيل بل ينسخ القرآن بالسنة لأنها أيضا من عند الله قال تعالى وما ينطق عن الهوى وجعل منه آية الوصية الآتية

ولا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي ولو بلفظ الخبر أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد

الرابعة النسخ أقسام

أحدها نسخ المأمور به قبل امتثاله وهو النسخ على الحقيقة كآية النجوى

الثاني ما نسخ مما كان شرعا لمن قبلنا كآية شرع القصاص والديه أو كان أمر به أمرا جمليا كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالكعبة وصوم عاشوراء برمضان وإنما يسمى هذا نسخا تجوزا

الثالث ما أمر به لسبب ثم يزول السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح ثم نسخ بإيجاب القتال وهذا في الحقيقة ليس نسخا بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى < أو ننسأها > فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بآية السيف وليس كذلك بل هي من المنسأ بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعله يقتضي ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ أنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله .

والنسخ في القرآن على ثلاثة أضرب

أحدها ما نسخ تلاوته وحكمه معا قالت عائشة كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن مما يقرأ من القرآن رواه الشيخان

الضرب الثاني ما نسخ حكمه دون تلاوته وهذا الضرب هو الذي فيه الكتب المؤلفة وهو على الحقيقة قليل جدا وإن أكثر الناس من تعداد الآيات فيه فإن المحققين منهم كالقاضي أبي بكر بن العربي بين ذلك وأتقنه

ومن أمثلة المنسوخ

قوله تعالى كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت الآية منسوخة قيل بأية المواريث وقيل بحديث ألا لا وصية لوارث وقيل بالإجماع حكاه ابن العربي

قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية قيل منسوخة بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقيل محكمة و لا مقدرة

وقوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله منسوخة بقوله بعده لا يكلف الله نفسا إلا وسعها

قال ابن الحصار إنما يرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن صحابي يقول آية كذا نسخت كذا

قال وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به من علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر

قال ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده صلى الله عليه وسلم والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد .

الضرب الثالث ما نسخ تلاوته دون حكمه .

وقد أورد بعضهم فيه سؤالا وهو ما الحكمة في رفع التلاوة مع بقاء الحكم وهلا بقيت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها

ومن أمثلته عن زر بن حبيش قال قال لي أبي بن كعب كم أي تعد سورة الأحزاب قلت اثنتين وسبعين آية أو ثلاثة وسبعين آية قال إن كانت لتعدل سورة البقرة وإن كنا لنقرأ فيها

آية الرجم قلت وما آية الرجم قال إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم

الإتقان في علوم القرآن ٢/٥٤-٥٦

مشكله وموهم الاختلاف والتناقض

المراد به ما يوهم التعارض بين الآيات وكلامه تعالى منزه عن ذلك كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافا وليس به في الحقيقة فاحتيج لإزالته كما صنف في مختلف الحديث وبيان الجمع بين الأحاديث المتعارضة وقد تكلم في ذلك ابن عباس وحكى عنه التوقف في بعضها

فعن سعيد بن جبير قال جاء رجل إلى ابن عباس فقال رأيت أشياء تختلف علي من القرآن فقال ابن عباس ما هو أشك قال ليس بشك ولكنه اختلاف قال هات ما اختلف عليك من ذلك قال أسمع الله يقول ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال ولا يكتمون الله حديثا فقد كتموا وأسمعه يقول فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم قال وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين حتى بلغ طائعين ثم قال في الآية الأخرى أم السماء بناها ثم قال والأرض بعد ذلك دحاها وأسمعه يقول كان الله ما شأنه يقول وكان الله

فقال ابن عباس أما قوله ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فإنهم لما رأوا يوم القيامة وأن الله يغفر الذنوب ولا يغفر شركا ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره جحده المشركون رجاء أن يغفر لهم فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فختم الله على أفواههم فتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا

وأما قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فإنه إذا نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون

وأما قوله خلق الأرض في يومين فإن الأرض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الأرض

وأما قوله والأرض بعد ذلك دحاها يقول جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا

وأما قوله كان الله فإن الله كان ولم يزل كذلك وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير لم يزل كذلك

فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرت لك وإن الله لم ينزل شيئا إلا وقد أصاب الذي أراد ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

أخرجه بطوله الحاكم في المستدرك وصححه وأصله في الصحيح

الإتقان في علوم القرآن ٢/٥٧-٦٠

نكتفي بهذا القدر ونستكمل بقية هذا القسم في المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى .

الأسئلة :

المجموعة الأولى: ضع علامة (صح) أمام الجملة الصحيحة

١- خواتم السور مثل فواتح السور في الحسن (**صح**)

٢- من أسباب الإجمال الاشتراك (**صح**)

٣- المعنى الرابط بين الآيات هو المرجع في باب تناسب الآيات والسور(**صح**)

٤- الآيات المشتبهات هي التي لا يفهم معناها (**خطأ**)

٥- قول من قال لا يوجد في القرآن متشابه وإنما كله محكم هو الصحيح في المسألة (**خطأ**)

٦- من الحكمة في إنزال المتشابه إظهار التفاضل بين العالم وغيره (**صح**)

٧- التشريف من أسباب التقديم في القرآن(**صح**)

٨- قوله تعالى:{إن الله بكل شيء عليم} من العام الباقي على عمومه (**صح**)

٩- من أسباب الإجمال في القرآن الاشتراك في اللفظ (**صح**)

١٠- آية الرضعات العشر مما نسخ تلاوته وحكمه (**صح**)

المجموعة الثانية من الأسئلة

ضع خطا تحت الإجابه الصحيحة

١- من الثناء على الله في فواتح السور(حروف التهجي، النداء، التحميد)

٢- علم تناسب السور والآيات (لم يؤلف فيه، أكثروا من التصنيف فيه، قل اعتناء المفسرين به لدقته)

٣- كتاب ملاك التأويل للغرناطي من أحسن ما ألف في (الآيات المشتبهات، مقدم القرآن ومؤخره، العام والخاص)

٤- تقسيم القرآن إلى محكم ومتشابه (لاحكمة فيه ، للتحدي ، لابتلاء العباد بالوقوف عنده)

٥- قوله تعالى: {إني متوفيك ورافعك}من (الظاهر والمؤول، المقدم والمؤخر، العام والخاص)

٦- قوله تعالى: {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم...}من (العام المراد به الخصوص، العام المخصوص، العام الباقي على عمومه)

٧- المجمل:(مالم تتضح دلالته، ما أشكل معناه بحسب الظاهر، لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر)

٨- يأتي النسخ بمعنى (التبديل، التثبيت، التخصيص)

٩- قوله تعالى:{وأحل الله البيع } خص بـ (القرآن، السنة، القياس)

١٠- النسخ على (ثلاثة أضرب، خمسة أضرب، ضربين)

المجموعة الثالثة من الأسئلة

ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملإ الفراغ

١- .... هو أن يتأنق في أول الكلام لأنه أول ما يقرع السمع (فواتح السور ، الابتداء بالحمد ، حسن الابتداء)

٢- من أنواع خواتم السور .... (الدعاء ، التهجي ، المتشابه اللفظي)

٣- ...... من الكتب المؤلفة في تناسب الآيات والسور (نظم الدرر ، البحر المحيط ، ملاك التأويل)

٤- المقصود بـ(متشابه النظم) هو...(مالم تتضح دلالته، إيراد القصة الواحدة في صور شتى، ما أشكل بحسب الظاهر)

٥- من موضوعات علوم القرآن التي لم يؤلف فيها كتاب مستقل .... (مقدمه ومؤخره، مجمله ومبينه، عامه وخاصه)

٦- من صيغ العموم... (كل ، في ، نحن)

٧- قوله تعالى {والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم ..} من العام المخصص بـ .... (الوصف، الشرط، الاستثناء)

٨- ...... هو أحد العلماء الذين نفوا وقوع المجمل في القرآن الكريم (أبو جعفر بن الزبير، داود الظاهري ، السيوطي)

٩- أنكر اليهود النسخ لظنهم أنه يقتضي .... (مخالفة العقل، مخالفة شريعتهم ، البداء)

١٠- توهم التعارض في القرآن .... (لا وجود له ، من علومه الهامة ، وسوسة شيطانية سببه قلة العلم)

المحاضرة الثامنة

ذكر طرف من العلوم التي عني بها هذا الفن (٧-٨)

****

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد

فما زال الحديث عن قسم علوم القرآن المتعلق بالأحكام المتعلقة بالألفاظ ومن ذلك :

أولا : مطلقه ومقيده :

المطلق الدال على الماهية بلا قيد وهو مع المقيد كالعام مع الخاص قال العلماء متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلا فلا بل يبقى المطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب

والضابط أن الله إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقا نظر فإن لم يكن له أصل يرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به وإن كان له أصل غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر فالأول مثل اشتراط العدالة في الشهود على الرجعة والفرق والوصية في قوله وأشهدوا ذوي عدل منكم وقوله شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم وقد أطلق الشهادة في البيوع وغيرها في قوله وأشهدوا إذا تبايعتم فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم

والعدالة شرط في الجميع

وكذلك ما اشترط في كفارة القتل من الرقبة المؤمنة وإطلاقها في كفارة الظهار واليمين والمطلق كالمقيد في وصف الرقبة

فمذهب الشافعي حمل المطلق على المقيد في الجميع

ومن العلماء من لا يحمله ويجوز إعتاق الكافر في كفارة الظهار واليمين .

والثاني مثل تقييد الصوم بالتتابع في كفارة القتل والظهار وتقييده بالتفريق في صوم التمتع وأطلق كفارة اليمين وقضاء رمضان فيبقى على إطلاقه من جوازه مفرقا ومتتابعا لا يمكن حمله عليهما لتنافي القيدين وهما التفريق والتتابع ولا على أحدهما لعدم المرجح

الإتقان في علوم القرآن ٢/٨٢-٨٣

ثانيا : منطوقه ومفهومه

المنطوق ما دل عليه اللفظ في محل النطق فإن أفاد معنى لا يحتمل غيره فهو النص نحو فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة.

وقد نقل عن قوم من المتكلمين أنهم قالوا بندور النص جدا في الكتاب والسنة وقد بالغ إمام الحرمين وغيره في الرد عليهم .

أما إذا أفاد معنى مع احتمال غيره احتمالا مرجوحا فهو الظاهر نحو فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الباغي يطلق على الجاهل وعلى الظالم وهو فيه أظهر وأغلب ونحو ولا تقربوهن حتى يطهرن فإنه يقال للانقطاع طهر وللوضوء والغسل وهو في الثاني أظهر

فإن حمل على المرجوح لدليل فهو تأويل ، ويسمى المرجوح المحمول عليه مؤولا كقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة فإنه يستحيل حمله على الظاهر لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة فيحمل على الخضوع وحسن الخلق

وقد يكون مشتركا بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز ويصح حمله عليهما جميعا ومن أمثلته ولا يضار كاتب ولا شهيد فإنه يحتمل لا يضارر الكاتب والشهيد صاحب الحق بجور في الكتابة والشهادة و لا يضارر بالفتح أي لا يضرهما صاحب الحق بإلزامهما مالا يلزمهما وإجبارهما على الكتابة والشهادة .

ثم إن توقفت صحة دلالة اللفظ على إضمار سميت دلالة اقتضاء نحو واسأل القرية أي أهلها .

وإن لم تتوقف ودل اللفظ على ما لم يقصد به سميت دلالة إشارة كدلالة قوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم على صحة صوم من أصبح جنبا إذ إباحة الجماع إلى طلوع الفجر تستلزم كونه جنبا في جزء من النهار

والمفهوم ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق وهو قسمان مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة

فالأول ما يوافق حكمه المنطوق فإن كان أولى سمي فحوى الخطاب كدلالة فلا تقل لهما أف على تحريم الضرب لأنه أشد .

وإن كان مساويا سمي لحن الخطاب أي معناه كدلالة إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما على تحريم الإحراق لأنه مساو للأكل في الإتلاف

والثاني ما يخالف حكمه المنطوق وهو أنواع

مفهوم صفة ، وشرط ، وغاية ، وحصر .

واختلف في الاحتجاج بهذه المفاهيم على أقوال كثيرة ورجح كثير من أهل العلم أنها كلها حجة بشروط وتفصيل ذلك في كتب الأصول .

الإتقان في علوم القرآن ٢/٨٤-٨٦

ثالثا : وجوه مخاطباته

قال ابن الجوزي في كتابه النفيس : الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجها ، وقال غيره على أكثر من ثلاثين وجها

أحدها خطاب العام والمراد به العموم كقوله الله الذي خلقكم

والثاني خطاب الخاص والمراد به الخصوص كقوله يا أيها الرسول بلغ

الثالث خطاب العام والمراد به الخصوص كقوله يا أيها الناس اتقوا ربكم لم يدخل فيه الأطفال والمجانين

الرابع خطاب الخاص والمراد العموم كقوله يا أيها النبي إذا طلقتم النساء افتتح الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم والمراد سائر من يملك الطلاق

الخامس خطاب الجنس كقوله يا أيها النبي

السادس خطاب النوع نحو يا بني إسرائيل

السابع خطاب العين نحو وقلنا يا آدم اسكن

وقد ذكر السيوطي رحمه الله جملة كبيرة من أنواع الخطاب في القرآن الكريم مع أمثلتها من أراد الاستزادة فليرجع إليها .

الإتقان في علوم القرآن ٢/٨٨ _ ٩١

ننتقل الآن إلى القسم الأخير من تقسيمات البلقيني لعلوم القرآن وهو ما لا يدخل تحت الحصر ويندرج تحته جملة من العلوم ومنها :

الأسماء والكنى والألقاب ، والمبهمات ، وأسماء من نزل فيهم القرآن

أولا : الأسماء والكنى والألقاب :

فمن ذلك أسماء الأنبياء والمرسلين وفي القرآن منهم خمس وعشرون هم مشاهيرهم

آدم أبو البشر ذكر قوم أنه أفعل وصف مشتق من الأدمة ولذا منع الصرف

قال الجواليقي أسماء الأنبياء كلها أعجمية إلا أربعة آدم وصالح وشعيب ومحمد

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال إنما سمى آدم لأنه خلق من أديم الأرض

وقال قوم هو اسم سرياني أصله آدام بوزن خاتام عرب بحذف الألف الثانية

وقال الثعلبي التراب بالعبرانية آدام فسمى آدم به

وقال ابن أبي خيثمة عاش تسعمائة سنة وستين سنة

وقال النووي في تهذيبه اشتهر في كتب التواريخ أنه عاش ألف سنة

نوح قال الجواليقي أعجمي معرب

زاد الكرماني ومعناه بالسريانية الساكن وفي نسخة الشاكر

وقال الحاكم في المستدرك إنما سمى نوحا لكثرة بكائه على نفسه واسمه عبد الغفار

وفي المستدرك عن ابن عباس قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون

وفيه عنه مرفوعا بعث الله نوحا لأربعين سنة فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا

وذكر ابن جرير أن مولد نوح كان بعد وفاة آدم بمائة وستة وعشرين عاما

وفي التهذيب للنووي أنه أطول الأنبياء عمرا

إدريس قيل إنه قبل نوح

قال ابن إسحاق كان إدريس أول بني آدم أعطي النبوة وهو أخنوخ

وقال وهب بن منبه إدريس جد نوح الذي يقال له خنوخ وهو اسم سرياني

وقيل عربي مشتق من الدراسة لكثرة درسه الصحف

وفي المستدرك عن ابن عباس قال كان فيما بين نوح وإدريس ألف سنة

إبراهيم قال الجواليقي هو اسم قديم ليس بعربي وقد تكلمت به العرب على وجوه أشهرها إبراهيم وقالوا إبراهام وقرئ به في السبع

وهو اسم سرياني معناه أب رحيم وقيل مشتق من البرهمة وهي شدة النظر حكاه الكرماني في عجائبه

وهو ابن آزر واسمه تارح بمثناة وراء مفتوحة وآخره حاء مهملة

قال الواقدي ولد إبراهيم على رأس ألفي سنة من خلق آدم

وحكى النووي وغيره قولا أنه عاش مائة وخمسة وسبعين

إسماعيل قال الجواليقي ويقال بالنون آخره قال النووي وغيره هو أكبر ولد إبراهيم

إسحاق ولد بعد إسماعيل بأربع عشرة سنة وعاش مائة وثمانين سنة

وذكر أبو علي بن مسكويه في كتاب نديم الفريد أن معنى إسحاق بالعبرانية الضحاك

يوسف في صحيح ابن حبان من حديث أبي هريرة مرفوعا إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

وفي المستدرك عن الحسن أن يوسف ألقي في الجب وهو ابن اثنتي عشرة سنة ولقي أباه بعد الثمانين وتوفي وله مائة وعشرون

وفي الصحيح أنه أعطى شطر الحسن

قال بعضهم وهو مرسل لقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات

وقيل ليس هو يوسف بن يعقوب بل يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب

ويشبه هذا ما في العجائب للكرماني في قوله ويرث من آل يعقوب أن الجمهور على أنه يعقوب بن ماثان وأن امرأة زكريا كانت أخت مريم بنت عمران بن ماثان قال والقول بأنه يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم غريب

انتهى

قال السيوطي : وما ذكر أنه غريب هو المشهور والغريب الأول ونظيره في الغرابة قول نوف البكالي إن موسى المذكور في سورة الكهف في قصة الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل بل موسى بن منشى بن يوسف وقيل ابن إفرائيم بن يوسف وقد كذبه ابن عباس في ذلك .

وأشد من ذلك غرابة ما حكاه النقاش والماوردي أن يوسف المذكور في سورة غافر من الجن بعثه الله رسولا إليهم وما حكاه ابن عساكر أن عمران المذكور في آل عمران هو والد موسى لا والد مريم .

إلى غير ذلك من أسماء للأنبياء والرسل عليهم السلام

الإتقان في علوم القرآن ٢/٣٦٢-٣٦٥

وفيه من أسماء الملائكة

جبريل وميكائيل وفيهما لغات جبريل بكسر الجيم والراء بلا همز وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز وجبرائيل بهمزة بعد الألف وجبراييل بياءين بلا همز وجبرئيل بهمزة وياء بلا ألف وجبرئل وقرئ بها

وقرئ ميكاييل بلا همز وميكئل وميكال

أخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس قال جبريل عبد الله وميكاييل عبيد الله وكل اسم فيه إيل فهو معبد لله

وأخرج عن عبد الله بن الحارث قال إيل الله بالعبرانية

وقرأ أبو حيوة فأرسلنا إليها روحنا بالتشديد وفسره ابن مهران بأنه اسم لجبريل حكاه الكرماني في عجائبه

وهاروت وماروت أخرج ابن أبي حاتم عن علي قال هاروت وماروت ملكان من ملائكة السماء وقد أفرد السيوطي في قصتهما جزءا

الرعد ففي الترمذي من حديث ابن عباس أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم

أسماء المتقدمين من غير الأنبياء والرسل

إلى غير ذلك من أسماء الملائكة كما أن فيه من أسماء المتقدمين غير الأنبياء والرسل

عمران أبو مريم وقيل أبو موسى أيضا وأخوها هارون وليس بأخي موسى كما في حديث أخرجه مسلم

وعزيز وتبع وكان رجلا صالحا كما أخرج الحاكم وقيل نبي حكاه الكرماني في عجائبه

ولقمان وقد قيل إنه كان نبيا والأكثر على خلافه وأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا

ويوسف الذي في سورة غافر

وتقي في قوله : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا   قيل إنه اسم رجل كان من أمثل الناس أي إن كنت في الصلاح مثل تقي حكاه الثعلبي وقيل اسم رجل كان يتعرض للنساء وقيل إنه ابن عمها أتاها جبريل في صورته حكاهما الكرماني في عجائبه

وغير ذلك

وفيه من أسماء النساء

مريم لاغير لنكتة سبق ذكرها في نوع الكناية ومعنى مريم بالعبرية الخادم

وقيل المرأة التي تغازل الفتيان حكاهما الكرماني

وقيل إن بعلا في قوله   أتدعون بعلا   اسم امرأة كانوا يعبدونها حكاه ابن عسكر

إلى غير ذلك من أسماء مثل أسماء القبائل والبلدان والكفار والجن والنساء والأصنام والكواكب والحيوانات والطيور ونحوها قد ذكرها مفصلة السيوطي رحمه الله تعالى .

أما الكنى فليس في القرآن منها غير أبي لهب واسمه عبد العزى ولذلك لم يذكر باسمه لأنه حرام شرعا وقيل للإشارة إلى أنه جهنمي

وأما الألقاب فمنها إسرائيل لقب يعقوب ومعناه عبد الله وقيل صفوة الله

أخرج ابن جرير عن ابن عباس أن إسرائيل كقولك عبد الله

وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن أبي مجلز قال كان يعقوب رجلا بطيشا فلقى ملكا فعالجه فصرعه الملك فضرب على فخذيه فلما رأى يعقوب ما صنع به بطش به فقال ما أنا بتاركك حتى تسميني اسما فسماه إسرائيل قال أبو مجلز ألا ترى أنه من أسماء الملائكة

وفيه لغات أشهرها بياء بعد الهمزة ولام وقرئ إسراييل بلا همز

قال بعضهم ولم يخاطب اليهود في القرآن إلا ب   يا بني إسرائيل   دون   يا بني يعقوب لنكتة وهو أنهم خوطبوا بعبادة الله وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم وتنبيها من غفلتهم فسموا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله تعالى فإن إسرائيل اسم مضاف إلى الله في التأويل ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره به قال يعقوب وكان أولى من إسرائيل لأنها موهبة بمعقب آخر فناسب ذكر اسم يشعر بالتعقيب

ومنها المسيح لقب لعيسى ومعناه قيل الصديق وقيل الذي ليس لرجله أخمص وقيل الذي لا يمسح ذا عاهة إلا برئ وقيل الجميل وقيل الذي يمسح الأرض أي يقطعها وقيل غير ذلك

ومنها إلياس قيل إنه لقب إدريس أخرج ابن إبي حاتم بسند حسن عن ابن مسعود قال إلياس هو إدريس وإسرائيل هو يعقوب وفي قراءته < وإن إدراس لمن المرسلين > < سلام على إدراسين >

ومنها ذو الكفل قيل إنه لقب إلياس وقيل لقب اليسع وقيل لقب يوشع وقيل لقب زكريا

ومنها ذو القرنين واسمه إسكندر وقيل عبد الله بن الضحاك بن سعد وقيل المنذر بن ماء السماء وقيل غير ذلك

ولقب ذا القرنين لأنه بلغ قرني الأرض المشرق والمغرب وقيل لأنه ملك فارس والروم وقيل كان على رأسه قرنان أي ذؤابتان وقيل كان له قرنان من ذهب وقيل كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل غير ذلك .

ومنها فرعون واسمه الوليد بن مصعب وكنيته أبو العباس

وقيل إن فرعون لقب لكل من ملك مصر

أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال كان فرعون فارسيا من أهل إصطخر

ومنها تبع قيل كان اسمه أسعد بن ملكي كرب وسمى تبعا لكثرة من تبعه

وقيل إنه لقب ملوك اليمن سمي كل واحد منهما تبعا أي يتبع صاحبه كالخليفة يخلف غيره

الإتقان في علوم القرآن ٢/٣٧١-٣٨٢

ثانيا : المبهمات

أفرده بالتأليف السهيلي ثم ابن عساكر ثم القاضي بدر الدين بن جماعة

وللسيوطي فيه تأليف لطيف جمع فوائد الكتب المذكورة مع زوائد أخرى على صغر حجمه جدا

قلت ومن أجمع ما كتب فيه تفسير مبهمات القرآن لأبي عبد الله البلنسي وهو كتاب كبير مطبوع في مجلدين .

وكان من السلف من يعتني به كثيرا

قال عكرمة : طلبت الذي خرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة

وللإبهام في القرآن أسباب

الاستغناء ببيانه مع موضع آخر كقوله صراط الذين أنعمت عليهم فإنه مبين في قوله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

الثاني أن يتعين لاشتهاره كقوله وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ولم يقل حواء لأنه ليس له غيرها

ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه والمراد نمروذ لشهرة ذلك لأنه المرسل إليه قيل وقد ذكر الله فرعون في القرآن باسمه ولم يسم نمروذ لأن فرعون

الثالث : قصد الستر عليه ليكون أبلغ في استعطافه نحو ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا الآية هو الأخنس بن شريق وقد أسلم بعد وحسن إسلامه

الرابع ألا يكون في تعيينه كبير فائدة نحو أو كالذي مر على قرية واسألهم عن القرية

الخامس التنبيه على العموم وأنه غير خاص بخلاف ما لو عين نحو ومن يخرج من بيته مهاجرا

السادس تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم نحو ولا يأتل أولوا الفضل والذي جاء بالصدق وصدق به إذ يقول لصاحبه والمراد الصديق في الكل

السابع تحقيره بالوصف الناقص نحو إن شانئك هو الأبتر

ثم إن علم المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأي فيه وهو على قسمين

القسم الأول فيما أبهم من رجل أو امرأة أو ملك أو جني أو مثنى أو مجموع عرف أسماء كلهم أو من أو الذي إذا لم يرد به العموم

ومن ذلك : قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة هو آدم وزوجه حواء بالمد لأنها خلقت من حي

وإذ قتلتم نفسا اسمه عاميل

وابعث فيهم رسولا منهم هو النبي صلى الله عليه وسلم

ووصى بها إبراهيم بنيه هم إسماعيل وإسحاق ومدين وزمران وسرح ونفش ونفشان وأميم وكيسان وسورح ولوطان ونافش

والأسباط   أولاد يعقوب إثنا عشر رجلا يوسف وروبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ودان ونفتالي بفاء ومثناة وكاد ويأشير وإيشاجر وريالون وبنيامين

ومن الناس من يعجبك قوله   هو الأخنس بن شريق

ومن الناس من يشري نفسه   هو صهيب

إذ قالوا لنبي لهم   هو شمويل وقيل شمعون وقيل يوشع

منهم من كلم الله   قال مجاهد موسى

ورفع بعضهم درجات   قال محمد

الذي حاج إبراهيم في ربه   نمروذ بن كنعان

أو كالذي مر على قرية   عزير وقيل أرمياء وقيل حزقيل

امرأة عمران   حنة بنت فاقوذ

وامرأتي عاقر   هي أشياع أو أشيع بنت فاقود

مناديا ينادي للإيمان   هو محمد صلى الله عليه وسلم

إلى الطاغوت   قال ابن عباس هو كعب بن الأشرف أخرجه أحمد

وإن منكم لمن ليبطئن   هو عبد الله بن أبي

ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا   هو عامر بن الأضبط الأشجعي وقيل مرداس والقائل ذلك نفر من المسلمين منهم أبو قتادة

الذي ينهى عبدا   هو أبو جهل والعبد هو النبي صلى الله عليه وسلم

إن شانئك   هو العاصي بن وائل وقيل أبو جهل وقيل عقبة بن أبي معيط وقيل أبو لهب وقيل كعب بن الأشرف

امرأته   امرأة أبي لهب أم جميل العوراء بنت حرب بن أمية

القسم الثاني في مبهمات الجموع الذين عرفت أسماء بعضهم

مثل قوله : وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله   سمي منهم رافع بن حرملة

سيقول السفهاء   سمي منهم رفاعة بن قيس وقردم بن عمر وكعب بن الأشرف ورافع بن حرملة والحجاج بن عمرو والربيع بن أبي الحقيق

وإذا قيل لهم اتبعوا   الآية سمي منهم رافع ومالك بن عوف
يسألونك عن الأهلة   سمي منهم معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم
يسألونك ماذا ينفقون   سمي منهم عمرو بن الجموح
يسألونك عن الخمر   سمي منهم عمر ومعاذ وحمزة
ويسألونك عن اليتامى   سمي منهم عبد الله بن رواحة
ويسألونك عن المحيض   سمي منهم ثابت بن الدحداح وعباد بن بشر وأسيد بن الحضير مصغر
ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب   سمي منهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد
الحواريون   سمي منهم فطرس ويعقوبس ويحنس وأندرايس
الإتقان في علوم القرآن ٢/٣٨١-٣٩٥

ثالثا : أسماء من نزل فيهم القرآن
قال السيوطي : رأيت فيهم تأليفا مفردا لبعض القدماء لكنه غير محرر وكتاب أسباب النزول والمبهمات يغنيان عن ذلك وروى ابن أبي حاتم عن عباد بن عبد الله قال قال علي ما في قريش أحد إلا ونزلت فيه آية قيل له ما نزلت فيك قال   ويتلوه شاهد منه
ومن أمثلته ما أخرجه أحمد وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال نزلت في أربع آيات يسألونك عن الأنفال   ووصينا الإنسان بوالديه حسنا   وآية تحريم الخمر وآية الميراث
وأخرج ابن أبي حاتم عن رفاعة القرظي قال نزلت   ولقد وصلنا لهم القول   في عشرة أنا أحدهم
وأخرج الطبراني عن أبي جمعه جنيد بن سبع وقيل حبيب بن سباع قال فينا نزلت   ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات   وكنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين
الإتقان في علوم القرآن ٢/٤٠٣

إلى هنا انتهت أقسام البلقيني رحمه الله وبقي القسم الذي اقترحناه وهو ما يتعلق بشرف القرآن ويندرج تحته مما ذكر السيوطي رحمه الله أبوابا كثيرة سوف نعرض لبعضها في المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى .

الأسئلة :

المجموعة الأولى: ضع علامة (صح) أمام الجملة الصحيحة

١- المطلق هو الذي يدل على الماهية بلا قيد **(صح)**

٢- من أمثلة المقيد قوله تعالى : {وأشهدوا إذا تبايعتم} **(خطأ)**

٣- قال بعض المتكلمين : النص كثير في القرآن والسنة . ووافقهم إمام الحرمين **(خطأ)**

٤- مالا يدخل تحت الحصر هو أول تقسيمات البلقيني **(خطأ)**

٥- المنطوق ما دل عليه اللفظ في محل النطق **(صح)**

٦- يا أيها النبي إذا طلقتم النساء من خطاب الخاص المراد به العموم **(صح)**

٧- والأسباط أولاد يعقوب وهم اثنا عشر رجلا **(صح)**

٨- من أسباب الإبهام في القران الاستغناء ببيانه في موضع آخر **(صح)**

٩- قوله : يرثني ويرث من آل يعقوب المشهور أن المراد منه يعقوب بن إسحق عليهما السلام **(صح)**

١٠- علم المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأي فيه **(صح)**

المجموعة الثانية : ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة

١- قوله تعالى{ وأشهدوا ذوي عدل منكم }(مطلق ، مقيد ، مبين)

٢- الصحيح في لفظة آدم أنه (سرياني ، عبراني ، عربي)

٣- من أشهر من اهتم من العلماء بعلم الأسماء والكنى والألقاب (الجواليقي ، ابن حجر ، ابن كثير)

٤- الإمام الكرماني ذكر كثيرا من غرائب الأقوال ضمن كتابه في (الأسماء والكنى ، المبهمات ، عجائب القرآن)

٥- واخفض لهما جناح الذل من الرحمة (مؤول ، ظاهر ، مشترك)

٦- من أسماء الملائكة المذكورة في القرآن (السجل ، الرعد ، الخضر)

٧- من الكنى في القرآن : أبو لهب وذلك (إكراما له ، لأنه لا يعرف بغيره ، لأن اسمه محرم شرعا)

٨- معنى إسرائيل (عبد الله، الملك، المبجل)

٩- الإبهام في قوله تعالى:{أنت وزوجك} سببه (أنه مبين في موضع آخر، أنه المتعين للشهرة ، قصد التستر)

١٠- من أسماء من نزل فيهم القرآن (بلال ، أبو سلمة ، سعد بن أبي وقاص)

المجموعة الثالثة:ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملأ الفراغ

١- الظاهر ما أفاد معنى مع احتمال غيره احتمالا....(راجحا ، مرجوحا ، مساويا)

٢- ما يوافق حكمه المنطوق يسمى ......(فحوى الخطاب، لحن الخطاب، مفهوم الموافقة)

٣- قوله تعالى:{ الله الذي خلقكم} من أمثلة الخطاب..... (العام، الخاص ، العام المراد به الخصوص)

٤- قوله تعالى: {يا أيها النبي}من أمثلة خطاب..... (الجنس، النوع، العين)

٥- أسماء الأنبياء كلها ..... إلا أربعة (عربية ، أعجمية ، مذكورة في القرآن)

٦- من الألقاب المذكورة في القرآن .... (يعقوب ، آدم ، زيد)

٧- .... هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم (محمد ﷺ ، يوسف عليه السلام ، يعقوب عليه السلام)

٨- من غرائب ما قيل في قوله تعالى : {إن كنت تقيا} أن تقيا ....(جني ، ملك ، ابن عم مريم)

٩- أفرد السيوطي جزءا في ....(هاروت وماروت، جبريل وميكائيل، محمد وعيسى)

١٠- من أجمع ما كتب في مبهمات القرآن كتاب .... (البلنسي ، ابن القيم، ابن الجزري)

المحاضرة التاسعة

ذكر طرف من العلوم التي عني بها هذا الفن (٨-٨)

****

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد

فسوف نأتي في هذه المحاضرة بإذن الله على المتبقي من مباحث علوم القرآن ومما يمكن أن يذكر تحت قسم ما لا يدخله الحصر أمثال القرآن وأقسامه وجدله وربما دخل تحت القسم الذي اقترحناه وسيأتي بعد ذلك وهو المتعلق بشرف القرآن وفضله مع شيء من التكلف وعلى كل سنذكر طرفا عن هذه العلوم الثلاثة :

أما أمثال القرآن :

فقد أفرده بالتصنيف الإمام أبو الحسن الماوردي قال تعالى   ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون   وقال تعالى   وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون

وقد عده الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته المبينة لاجتناب معصيته

ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد

و أمثال القرآن قسمان ظاهر مصرح به وكامن لا ذكر للمثل فيه :

فمن أمثلة الأول قوله تعالى   مثلهم كمثل الذي استوقد نارا   الآيات ضرب فيها للمنافقين مثلين مثلا بالنار ومثلا بالمطر

وأما الكامنة فقال الماوردي سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول سمعت أبي يقول سألت الحسين بن الفضل فقلت إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن فهل تجد في كتاب الله   خير الأمور أوساطها   قال نعم في أربعة مواضع قوله تعالى   لا فارض

ولا بكر عوان بين ذلك وقوله تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا

قلت فهل تجد في كتاب الله من جهل شيئا عاداه قال نعم في موضعين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم

قلت فهل تجد في كتاب الله احذر شر من أحسنت إليه قال نعم وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله

قلت فهل تجد في كتاب الله ليس الخبر كالعيان قال في قوله تعالى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي

قلت فهل تجد في الحركات البركات قال في قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة

إلخ .

وقد عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب بابا في ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل وهذا هو النوع البديعي المسمى بإرسال المثل وأورد من ذلك قوله تعالى

ليس لها من دون الله كاشفة

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

الآن حصحص الحق إلخ

الإتقان في علوم القرآن ٢/٣٤٣-٣٤٧

وأما أقسام القرآن

فقد أفردها ابن القيم بالتصنيف في مجلد سماه التبيان في أقسام القرآن وهو مطبوع متداول والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده حتى جعلوا مثل والله يشهد إن المنافقين لكاذبون قسما وإن كان فيه إخبار بشهادة لأنه لما جاء توكيدا للخبر سمي قسما

وقد نزل القرآن بلغة العرب ومن عادتها القسم إذا أرادات أن تؤكد أمرا

ولا يكون القسم إلا باسم معظم وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع

ومن ذلك : قل إي وربي

والباقي كله قسم بمخلوقاته كقوله تعالى والتين والزيتون والصافات والشمس والليل والضحى فلا أقسم بالخنس

فإن قيل كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله

أجيب عنه بأوجه

أحدها أنه على حذف مضاف أي ورب التين ورب الشمس وكذا الباقي

الثاني إن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون

الثالث أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لأنها تدل على بارئ وصانع .

وهذا الأخير أقوى وأرجح .

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال إن الله يقسم بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله .

وقال أبو القاسم القشيري القسم بالشيء لا يخرج عن وجهين إما لفضيلة أو لمنفعة فالفضيلة كقوله وطور سينين وهذا البلد الأمين والمنفعة نحو والتين والزيتون

الإتقان في علوم القرآن ٢/٣٥٠-٣٥٦

وأما جدل القرآن

فأفرده بالتصنيف نجم الدين الطوفي

وقد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين

وزعم الجاحظ أن المذهب الكلامي لا يوجد منه شيء في القرآن ورد عليه بأنه مشحون به وتعريف المذهب الكلامي أنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له فيه

ومنه نوع منطقي تستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة فإن الإسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا أن من أول سورة الحج إلى قوله وأن الله يبعث من في القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات .

ثم ذكر تفصيل ذلك

ومن الأنواع المصطلح عليها في علم الجدل السبر والتقسيم ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى ثمانية أزواج من الضأن اثنين الآيتين فإن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى رد تعالى ذلك عليهم بطريق السبر والتقسيم فقال إن الخلق لله خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا وأنثى فمم جاء تحريم ما ذكرتم أي ما علته لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة أو اشتمال الرحم الشامل لهما أو لا يدرى له علة وهو التعبدي بأن أخذ ذلك عن الله تعالوالأخذ عن الله تعالى إما بوحي وإرسال رسول أو سماع كلامه ومشاهدة تلقى ذلك عنه وهو معنى قوله أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها

والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراما والثاني يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراما والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معا فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه وبواسطة رسول كذلك لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وسلم وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال

ومنها القول بالموجب ومنها التسليم ومنها الإسجال ومنها الانتقال ومنها المناقضة وغير ذلك مما هو مذكور في موضعه مع أمثلته من القرآن .

الإتقان في علوم القرآن ٢/٣٥٦-٣٦٠

والآن نشرع في القسم الذي اقترحنا إضافته إلى أقسام البلقيني وهو ما يتعلق بشرف القرآن وهو أنواع فمن ذلك أسماؤه وأسماء سوره وجمعه وكتابته وترتيبه وخواصه وآداب حامله وتاليه وفضائله العامة وفضائل سوره وفضل حفاظه وقارئيه .

وقد ذكر السيوطي من ذلك أبوابا

في معرفة أسمائه وأسماء سوره

وفي جمعه وترتيبه

وفي عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه

وفي آداب تلاوته

وفي كيفية تحمله

في فضائل القرآن

وفي أفضل القرآن وفاضله

وفي خواصه

وفي رسوم الخط وآداب كتابته

وفي إعجاز القرآن

أولا : معرفة أسمائه وأسماء سوره :

قال الجاحظ سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل فسمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا وبعضه سورة كقصيدة وبعضها آية كالبيت وآخرها فاصلة كقافية

وقال الإمام أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيذلة في كتاب البرهان اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما

سماه كتابا ومبينا في قوله   حم والكتاب المبين

وقرآنا وكريما   إنه لقرآن كريم

وكلاما   حتى يسمع كلام الله

ونورا   وأنزلنا إليكم نورا مبينا

وهدى ورحمة   لهدى ورحمة للمؤمنين

وفرقانا   نزل الفرقان على عبده

إلخ كلامه ولا يسلم ذلك له فجل ما ذكره إنما هو أوصاف لا أسماء .

والسورة تهمز ولا تهمز فمن همزها جعلها من أسأرت أي أفضلت من السؤر وهو ما بقي من الشراب في الإناء كأنها قطعة من القرآن .

ومن لم يهمزها فمن باب تسهيل الهمز وقيل من سور البناء لارتفاع منزلتها كارتفاعه أو لأنها كالقطعة من القرآن كما يبنى السور منزلة فوق منزلة . وقيل غير ذلك .

وكره بعض أهل العلم أن يقال سورة كذا لما رواه ابن مردويه عن أنس بن مالك قال : قال النبي ﷺ : لا تقولوا : سورة البقرة ، ولا سورة آل عمران ، ولا سورة النساء ، وكذا القرآن كله ، ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة ، والتي يذكر فيها آل عمران ، وكذا القرآن كله . وهو حديث ضعيف والصواب جواز ذلك وقد جاءت أحاديث مرفوعة في الصحيحين وغيرهما صريحة في الجواز .

قال السيوطي : وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار .

وقد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير وقد يكون لها اسمان فأكثر من ذلك

ومن ذلك الفاتحة فلها أسماء كثيرة منها

فاتحة الكتاب وأم الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني وغير ذلك .

والمائدة تسمى أيضا العقود

والأنفال بدر

وبراءة التوبة

وينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به . وقد اهتم أهل العلم بذلك وهناك مباحث تتعلق بهذا الأمر كما توجد مباحث تتعلق بإعراب أسماء السور تنظر في موضعها .

وقد قسم القرآن إلى أربعة أقسام وجعل لكل قسم منه اسم فيما أخرجه أحمد وغيره من حديث واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت مكان التوراة السبع الطول وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل

ويأتي الحديث عنها قريبا إن شاء الله .

الإتقان ١٤٦/٢-١٥٦

ثانيا : جمعه وترتيبه

قال الخطابي إنما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر .

وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور

وقال الحاكم : جمع القرآن ثلاث مرات

إحداها بحضرة النبي ﷺ

الثانية بحضرة أبي بكر الصديق

روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت قال أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن فقلت لعمر كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وهو والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد قال أبو بكر إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح به صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره لقد جاءكم رسول حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر

والجمع الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود

والنصارى فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة

قال أبو حاتم السجستاني : كتب سبعة مصاحف فأرسل إلى مكة وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا

وأما ترتيب الآيات فالإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيبها توقيفي لا شبهة في ذلك

وقد نقل الإجماع غير واحد منهم الزركشي .

وأما النصوص فكثيرة ذكرها السيوطي رحمه الله .

وقال ابن الحصار ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف .

وأما ترتيب السور فهل هو توقيفي أيضا أو هو باجتهاد من الصحابة ؟ فيه خلاف فجمهور العلماء على الثاني

وقال الكرماني : ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب وعليه كان صلى الله عليه وسلم يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين وكان آخر الآيات نزولا واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين

قال الزركشي : والخلاف بين الفريقين لفظي لأن القائل بالثاني يقول إنه رمز إليهم بذلك ليعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته ولهذا قال مالك إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم فآل الخلاف إلى أنه هل هو بتوقيف قولي أو بمجرد استناد فعلي بحيث بقي لهم فيه مجال للنظر .

وقال أبو جعفر النحاس المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث واثلة أعطيت مكان التوراة السبع الطوال الحديث

قال فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنه من ذلك الوقت وإنما جمع في المصحف على شيء واحد لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأليف القرآن .

وهناك أدلة أخرى تؤيد هذا القول وهو أرجح والله أعلم .

أما السبع الطوال فأولها البقرة وآخرها يونس وليس فيها الأنفال والتوبة .

والمئون ما وليها سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها

والمثاني ما ولي المئين لأنها ثنتها أي كانت بعدها

والمفصل ما ولي المثاني من قصار السور سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة وقيل لقلة المنسوخ منه واختلف في أوله على اثني عشر قولا أرجحها ق للحديث الوارد في ذلك .

الإتقان في علوم القرآن ١/١٦٠-١٧٤

ثالثا : عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه

أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به وقيل وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة وقيل في مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة لأنه لم يكتب المعوذتين وفي مصحف أبي ست عشرة لأنه كتب في آخره سورتي الحفد والخلع .

وكل ذلك لا يلتفت إليه وتفصيل ذلك في محله .

والفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سورا كثيرة ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله .

وأما عد الآي فأفرده جماعة من القراء بالتصنيف ونظمه من المتأخرين الشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله .

قال الزمخشري الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه ولذلك عدوا الم آية حيث وقعت و المص ولم يعدوا المر و الر وعدوا حم آية في سورها و طه و يس ولم يعدوا طس .

وقد ذكر السيوطي أدلة تؤيد ذلك تنظر .

قال بعضهم : سبب اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة .

قال الداني : أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك فمنهم من لم يزد ومنهم من قال ومائتا آية وأربع آيات وقيل وأربع عشرة وقيل وتسع عشرة وقيل وخمس وعشرون وقيل وست وثلاثون

قال أبو عبد الله الموصلي في شرح قصيدته ذات الرشد في العدد : اختلف في عد الآي أهل المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة ولأهل المدينة عددان عدد أول وهو عدد أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح وعدد آخر وهو عدد إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري وأما عدد أهل مكة فهو مروي عن عبد الله بن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب وأما عدد أهل الشام فرواه هارون بن موسى الأخفش وغيره عن عبد الله بن ذكوان وأحمد بن يزيد الحلواني وغيره عن هشام بن عمار ورواه ابن ذكوان وهشام عن أيوب بن تميم القارئ عن يحيى بن الحارث الذماري قال هذا العدد الذي نعده عدد أهل الشام مما رواه المشيخة لنا عن الصحابة ورواه عبد الله بن عامر اليحصبي لنا وغيره عن أبي الدرداء وأما عدد أهل البصرة فمداره على عاصم بن العجاج الجحدري وأما عدد أهل الكوفة فهو المضاف إلى حمزة بن حبيب الزيات وأبي الحسن الكسائي وخلف بن هشام قال حمزة أخبرنا بهذا العدد ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب .

يترتب على معرفة الآي وعدها وفواصلها أحكام فقهية

نذكر منها على سبيل المثال : اعتبارها فيمن جهل الفاتحة فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات

أما كلمات القرآن فعدها قوم سبعة وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعا وثلاثين كلمة وقيل غير ذلك وسبب الاختلاف في عد الكلمات أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم واعتبار كل منها جائز وكل من العلماء اعتبر أحد ذلك .

وأما عد حروفه فالخلاف فيه كبير وقال السيوطي : الاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته.

وقال السخاوي لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان والقرآن لا يمكن فيه ذلك .
الإتقان في علوم القرآن ١/١٧٧-١٩٠

أما الأبواب في آداب تلاوته وفي كيفية تحمله وفي فضائل القرآن وفي أفضل القرآن وفاضله وفي خواصه فسوف نفردها بالمحاضرات القادمة إن شاء الله تعالى بعد مراجعة ما سبق فلا نطيل بالحديث عنها .

رابعا : مرسوم الخط وآداب كتابته :
أفرده بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين منهم أبو عمرو الداني
وألف في توجيه ما خالف قواعد الخط منه أبو العباس المراكشي كتابا سماه عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل بين فيه أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها .
قال ابن فارس الذي نقوله إن الخط توقيفي لقوله تعالى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ن والقلم وما يسطرون وإن هذه الحروف داخلة في الأسماء التي علم الله آدم
قال السيوطي : وقد ورد في أمر أبي جاد ومبتدأ الكتابة أخبار كثيرة ليس هذا محلها وقد بسطتها في تأليف مفرد
قال أشهب سئل مالك هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء فقال لا إلا على الكتبة الأولى
رواه الداني في المقنع ثم قال ولا مخالف له من علماء الأمة .
وقال الإمام أحمد يحرم مخالفة مصحف الإمام في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك
وقال البيهقي في شعب الإيمان من كتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به هذه المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئا فإنهم كانوا أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة منا فلا ينبغي أن يظن بأنفسنا استدراكا عليهم

وينحصر أمر الرسم في الحذف والزيادة والهمز والبدل والفصل وما فيه قراءتان فكتبت إحداهما وتفصيل ذلك في محله .

ويستحب كتابة المصحف وتحسين كتابته وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخط دون مشقة وتعليقه فيكره وكذا كتابته في الشيء الصغير

وأخرج أبو عبيد في فضائله عن عمر أنه وجد مع رجل مصحفا قد كتبه بقلم دقيق فكره ذلك وضربه وقال عظموا كتاب الله

وكان عمر إذا رأى مصحفا عظيما سر به

وأخرج عبد الرزاق عن علي أنه كان يكره أن تتخذ المصاحف صغارا

وتحرم كتابته بشيء نجس وأما بالذهب فهو حسن

وتكره كتابته على الحيطان والجدران وعلى السقوف أشد كراهة

وهناك أحكام تتعلق بنقطه وشكله وأخذ الأجرة على كتابته وبيعه وشرائه وتحليته بالذهب والفضة والقيام له وتقبيله وتطييبه إلى غير ذلك .

الإتقان في علوم القرآن – ٢/٤٤٢-٤٥٨

خامسا : إعجاز القرآن

أفرده بالتصنيف خلائق منهم الخطابي والرماني وأشهر ما صنف فيه كتاب إعجاز القرن للقاضي أبي بكر الباقلاني قال ابن العربي :لم يصنف مثله . وهو مطبوع متداول .

والمعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا أخرجه البخاري .

وقد تحدى الله العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا كما قال تعالى فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ثم تحداهم بعشر سور منه في

قوله تعالى أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ثم تحداهم بسورة في قوله أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله الآية ثم كرر في قوله وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الآية فلما عجزوا عن معارضته والإتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن فقال قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا هذا وهم الفصحاء اللد وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعا للحجة

ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه بل عدلوا إلى العناد تارة وإلى الاستهزاء أخرى فتارة قالوا سحر وتارة قالوا شعر وتارة قالوا أساطير الأولين كل ذلك من التحير والانقطاع ثم رضوا بتحكيم السيف في أعناقهم وسبي ذراريهم وحرمهم واستباحة أموالهم وقد كانوا آنف شيء وأشده حمية فلو علموا أن الإتيان بمثله في قدرتهم لبادروا إليه لأنه كان أهون عليهم .

وقد زعم النظام أن إعجازه بالصرفة أي أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات .

وقد بين فساد هذا القول غير واحد بعدة أوجه منها :

قوله : قل لئن اجتمعت الإنس والجن الآية فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم .

ومنها أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وإنما يكون بالمنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه .

ومنها شهادة العرب أنفسهم له بأنه معجز لا يشبه كلام البشر كما ثبت في غير رواية .

وقيل غير ذلك .

وأما وجوه إعجازه فمن ذلك ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة .

ومنها الإخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها

ومنها الإخبار عما في الضمائر من غير أن يظهر ذلك بقول أو فعل .

ومنها ما فيه من النظم والتأليف والترصيف .

ومنها كونه خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه في كلامهم

ومنها كون قارئه لا يكل وسامعه لا يمل وإن تكررت عليه تلاوته

ومنها شمولية أحكامه وكونه جامعا لعلوم يطول شرحها ويشق حصرها

ومنها صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في حال آخر .

وغير ذلك مما ذكره أهل العلم وزاد في العصور الأخيرة ما يسمى بالإعجاز العلمي والإعجاز العددي وغيره وقد ذكرنا في بداية المحاضرات طرفا من الإعجاز العلمي نقلا عن الزرقاني رحمه الله والأمثلة على ذلك كثيرة .

واختلف في قدر المعجز من القرآن والمختار أنه سورة قصيرة أو ما يقوم مقامها من الآيات .

الإتقان في علوم القرآن ٢/٣١١-٣٢٤

ويلاحظ أن السيوطي قد أدرج في علوم القرآن ما يتعلق بعلم التفسير كعلم مستقل فذكر بابا في معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة إليه

وآخر في شروط المفسر وآدابه

وثالثا في غرائب التفسير

وأخيرا في طبقات المفسرين

وتفصيل ذلك في علوم القرآن يجعل علم التفسير بشموليته جزءا من هذه العلوم واستقلاليته عنها أولى والله أعلم . وقد ذكرنا طرفا من هذه العلوم في بداية محاضرات التفسير فمن أراد الإلمام بشيء عنها فليراجع ما ذكرناه .

الإتقان في علوم القرآن ٢/٤٦٠-٥٠٢

كما أدرج فيه بعض العلوم المستنبطة من القرآن وقد سبق تعليق الزرقاني على ذلك في أول محاضرة وذكر فيه ما حواه من فنون العلم التي نهلت كل طائفة منها ما يناسبها وذكر فيه احتوائه على أنواع الصناعات وعلوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر

والمقابلة والنجامة وغير ذلك ونقل عن بعضهم قوله : ما من شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله حتى أن بعضهم استنبط عمر النبي ﷺ ثلاثا وستين سنة من قوله في سورة المنافقين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها فإنها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده .

قال السيوطي : وأنا أقول : قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض ... إلخ كلامه مفصلا رحمه الله .

الإتقان في علوم القرآن ٢/٣٣٠-٣٣٩

أما ما ذكره أهل العلم مما بيناه في المحاضرة الأولى من أقسام لعلوم القرآن تختلف عما استعرضناه خلال هذه المحاضرات المباركة فهي في حقيقة الأمر ليست علوما للقرآن بالمعنى المقصود في الدراسة وإنما هي تقسيم موضوعي لتفسير القرآن وما دل عليه من معان وهذا في الواقع غير مراد بعلمنا هذا والله الموفق .

وبعد هذا الاستعراض المختصر لجل علوم القرآن نبدأ بعون الله وتوفيقه الحديث التفصيلي عن موضوعات المقرر وموعدنا المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى مع مراجعة شاملة لما سبق في المحاضرات الفائتة نتبعها بإذن الله بحديث مفصل عن آداب تالي القرآن .

(ملاحظة : تم فصل المراجعة في كتيب لطيف أسميناه خلاصة البيان لأصناف علوم القرآن)

الأسئلة :

المجموعة الأولى: ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة

١- من فوائد ضرب الأمثال في القرآن الكريم التذكير والوعظ (صح)

٢- أمثال القرآن نوعان صريح وكامن (صح)

٣- نزل القرآن بلغة العرب ومن عاداتهم القسم ولهذا ورد القسم فيه (صح)

٤- بداية سورة الحج مثال حي على وجود الجدل في القرآن الكريم (صح)

٥- لابد وأن يكون للسورة أكثر من اسم (خطأ)

٦- من فوائد تقطيع القرآن سورة سورة أن يكون أنشط للقارئ (صح)

٧- أفرد الإمام أبو عمرو الداني في مرسوم الخط مصنفا (صح)

٨- أكثر معجزات بني إسرائيل كانت عقلية لفرط ذكائهم (خطأ)

٩- الإخبار عن قصص الأولين لا علاقة له بإعجاز القرآن (خطأ)

١٠- ألف الباقلاني والرماني في إعجاز القرآن (صح)

المجموعة الثانية ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة

١- سميت السورة من السؤر وهو (ما بقي من الشراب في الإناء ، الشرف العظيم ، قمة البلاغة)

٢- علم أقسام القرآن أفرده بالتصنيف (الماوردي، النحاس، ابن القيم)

٣- السبب في جمع القرآن في عهد عثمان (الاختلاف في القراءة ، كثرة القتل في القراء ، حاجة عامة الناس إلى المصاحف)

٤- قوله تعالى : الآن حصحص الحق . من النوع البديعي المسمى (إرسال المثل ، الجدل المنطقي ، الإسجال)

٥- سورة بدر هي سورة (آل عمران ، محمد ، أنفال)

٦- الأسماء المشهورة للسور أخذت من (الأحاديث والآثار ، استنباط العلماء ، الألفاظ النبوية)

٧- الاستبدال بسبع آيات لمن لا يحفظ الفاتحة في الصلاة عند بعض العلماء يدل على أهمية (عد الآي ، معرفة عدد الكلمات ، الفقه)

٨- قوله تعالى:{قل لئن اجتمعت الإنس والجن...} (رد على القائلين بالصرفة، مؤيد له ، محايد)

٩- القدر المعجز من القرآن (سورة قصيرة ، آية واحدة ، كلمة)

١٠- الإخبار بما في الضمائر من وجوه (فضائل القرآن، أمثال القرآن، إعجاز القرآن)

المجموعة الثالثة: ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملإ الفراغ

١- عد الشافعي ....مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن (أمثال القرآن ، فضائل القرآن ، ترتيب القرآن)

٢- القصد من القسم : ....الخبر (تحقيق ، تكذيب ، تبيين)

٣- من أمثلة قسم الله بمخلوقاته قوله تعالى....: {لعمرك ، قل إي وربي ، كلا إذا دكت الأرض دكا كدا)

٤- ...... من الأنواع المصطلح عليها في علم الجدل (أمثال القرآن ، أقسام القرآن ، السبر والتقسيم)

٥- يعتبر التخوف من ......أحد أسباب عدم جمع القرآن في عهد النبوة (النسخ، الترتيب ، التعليق)

٦- تم جمع القرآن .... مرات (ثلاث ، أربع ، خمس)

٧- قال الداني : أجمعوا على أن عدد آيات القرآن .... آية ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك (ستة آلاف ، سبعة آلاف ، عشرة آلاف)

٨- الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب .... توقيفي (السور، الآيات ، السبع الطوال)

٩- قال الإمام أحمد وغيره : .... مخالفة مصحف الإمام في واو أو ياء أو ألف (يحرم ، يجوز ، يكره تنزيها)

١٠- معنى الصرفة.....(سلب القدرة، منح القدرة، تخويف).

المحاضرة العاشرة

فضائل القرآن

****

الحمد لله والصلاة السلام على رسول الله

أما بعد فحديثنا في هذه المحاضرة سيكون أول حديث تفصيلي عن بعض علوم القرآن وهو عن فضائل القرآن وهو علم هام من أجل العلوم لارتباطه بكتاب الله عز وجل ارتباطا وثيقا ومن مميزاته أنه يرغب في تلاوة كتاب الله ويحث على حفظه والعمل به ولذا دخل الوضاعون من هذا الباب فوضعوا له الأحاديث لترغيب الناس وشغلهم بالقرآن

ومن ذلك حديث فضائل القرآن الطويل الموضوع على أبي رضي الله عنه :

أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات والعقيلي من طريق بزيع بن حسان أبي الخليل قال حدثنا علي بن زيد بن جدعان وعطاء بن أبي ميمونة كلاهما عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبي من قرأ فاتحة الكتاب أعطي من الأجر .... فذكر سورة سورة وثواب تاليها إلى آخر القرآن .

ثم أخرجه ابن الجوزي من طريق آخر عن أبي أيضا بلفظ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض علي القرآن في السنة التي مات فيها مرتين وقال : إن جبريل عليه السلام أمرني أن أقرأ عليك القرآن وهو يقرئك السلام ، فقال أبي : فقلت لما قرأ علي رسول الله صلى الله عليه وسلم : كما كانت لي خاصة ، فخصني بثواب القرآن مما علمك الله وأطلعك عليه ، قال : نعم ياأبي ، أيما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أعطي من الأجر كأنما قرأ ثلثي القرآن وذكر في كل سورة ثواب تاليها إلى آخر القرآن ،

قال ابن الجوزي : وقد فرق هذا الحديث أبو إسحق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه مايخصها وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك ، ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أصحاب الحديث ، وإنما عجبت من أبي بكر بن أبي داود كيف فرقه على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن وهو يعلم أنه حديث محال ، ولكن شره جمهور المحدثين فإن من عادتهم تنفيق حديثهم ولو بالبواطيل ، وهذا قبيح منهم لأنه قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من حدث عني حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ،

قال : وهذا حديث فضائل السور مصنوع بلا شك ، وقال : نفس الحديث يدل على أنه مصنوع فإنه قد استنفذ السور وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة لا يناسب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد روى فضائل السور أيضا ميسرة بن عبد ربه ، قال عبد الرحمن بن مهدي لميسرة : من أين جئت بهذه الأحاديث : من قرأ كذا فله كذا ، قال : وضعته أرغب الناس فيه .

وروى ابن الجوزي والعقيلي من طريق علي بن الحسين قال سمعت ابن المبارك يقول في حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة كذا فله كذا ، قال ابن المبارك : أظن الزنادقة وضعته .

وروى ابن الجوزي أيضا من طريق محمود بن غيلان قال سمعت مؤملا يقول حدثني شيخ بفضائل سور القرآن الذي يروى عن أبي بن كعب فقلت للشيخ من حدثك فقال حدثني رجل بالمدائن وهو حي فصرت إليه فقلت من حدثك فقال حدثني شيخ بواسط وهو حي فصرت إليه فقال حدثني شيخ بالبصرة فصرت إليه فقال حدثني شيخ بعبادان فصرت إليه فأخذ بيدي فأدخلني بيتا فإذا فيه قوم من المتصوفة ومهم شيخ فقال هذا الشيخ حدثني فقلت ياشيخ من حدثك فقال لم يحدثني أحد ولكنا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا وجوههم إلى القرآن .

قال ابن الصلاح : ولقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم.

كما أن هذا العلم يرشد المسلم إلى ما يكثر به حسناته ويمحو سيئاته بعمل يسير .

وهو يوجه المسلم إلى السلاح الذي يحارب به الشيطان ويعينه على مجابهة من أراد به الضر من الجان .

ويلفت نظر المسلم إلى التداوي بكتاب الله من الأمراض الجسدية كما أنه شفاء من الأمراض النفسية .

ويعلم المسلم مدى منزلة النبي ﷺ ومدى كرامة هذه الأمة على ربها حيث اختصهم بهذا الكتاب العظيم .

وأول من صنف في هذا العلم الشافعي رحمه الله في كتاب سماه منافع القرآن ثم أكثر العلماء من التصنيف في ذلك باسم فضائل القرآن أو ثواب القرآن ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام

وابن زنجويه وابن الضريس وابن أبي شيبة والفريابي والنسائي وغيرهم كثير وقد طبع جل هذه الكتب وتداولها الناس .

قال السيوطي : وقد صح فيه أحاديث باعتبار الجملة وفي بعض السور على التعيين ووضع في فضائل القرآن أحاديث كثيرة ولذلك صنفت كتابا سميته خمائل الزهر في فضائل السور حررت فيه ما ليس بموضوع .ا.هـ

وكثير ممن صنف في فضائل القرآن لا يقتصر في كتابه على فضائل السور والآيات وإنما يكون تصنيفه شاملا لما يتعلق بهذا العلم .

كما صنف في فضائل بعض السور على وجه الخصوص الحافظ أبو نعيم في فضل سورة الإخلاص وتلاه الحافظ أبو محمد الخلال في نفس السورة وقد طبع كتابه بتحقيقي وصنف السيوطي في فضائل سورتي القدر والإخلاص وصنف تلميذه الحسيني في فضل سورة الإخلاص كذلك .

كما أفرد بعض أهل العلم لذلك أبوابا في كتبهم ويظهر ذلك في كتب التفسير المسندة وكتب الحديث . وكذلك اهتم بهذا الجانب بعض كتب التفسير غير المسندة فمنهم من أكثر من ذكر فضائل السور والآيات حتى ذكر الموضوع منها كالزمخشري والبيضاوي وغيرهما كما تقدم ذكره عن الواحدي ، ومنهم من أفرد كتابا كاملا في أول تفسيره أو في آخره وهو الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .

وقد من الله علي بتأليف كتاب جامع في هذا الفن إلا أنه مقتصر على فضائل السور والآيات وسميته موسوعة فضائل سور وآيات القرآن وهو مرجع هام لمن رام الاطلاع في هذا الفن وطبع منه مجلدان في الأحاديث الثابتة وأما قسم الضعيف والموضوع فلم يطبع بعد وقد اختصرت القسم الثابت في كتيب صغير سميته الأحاديث الثابتة في فضائل سور وآيات القرآن وهو مطبوع متداول .

وفضائل القرآن تنقسم إلى قسمين :

الأول : في فضله إجمالا : ويندرج تحته أمور منها :

فضله بصفة شاملة وفضل حملته ، فضل آياته وسوره دون تعيين .

والثاني : فضل سور وآيات مخصوصة ويندرج تحته بعض أنواع العلوم التي أفردها السيوطي ومن ذلك ما سماه مفردات القرآن وهو غير الغريب وما سماه خواص القرآن
ونحن في هذه المحاضرة بإذن الله سوف نتحدث عما ورد عن الأمر الأول من القسم الأول وهو فضل القرآن بصفة شاملة وفضل حملته .

ومن أعظم فضائل القرآن أنه الآية العظمى والمعجزة الكبرى الدالة على رسالة النبي ﷺ التي تحدى بها الإنس والجن فقال تعالى : قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .
وقال تعالى : أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم
وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة .
قال ابن كثير : وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء وعلى كل كتاب أنزله الله وذلك أن معنى الحديث : ما من نبي إلا أعطي أي من المعجزات ما آمن عليه البشر أي ماكان دليلا على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من البشر ثم لما مات الأنبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه . وأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ فإنما كان معظم ما آتاه الله وحيا منه إليه منقولا إلى الناس بالتواتر ففي كل حين هو كما أنزل فلهذا قال فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا وكذلك وقع .
ووجوه إعجاز القرآن كثيرة فمن ذلك ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة .
ومنها الإخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها
ومنها الإخبار عما في ضمائر أصناف من الناس من غير أن يظهروا ذلك بقول أو فعل .
ومنها ما فيه من النظم والتأليف والترصيف وحسن البيان.
ومنها كونه خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه في كلامهم

ومنها كون قارئه لا يكل وسامعه لا يمل وإن تكررت عليه تلاوته

ومنها شمولية أحكامه وكونه جامعا لعلوم يطول شرحها ويشق حصرها

ومنها صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في حال آخر .

وغير ذلك مما ذكره أهل العلم وزاد في العصور الأخيرة ما يسمى بالإعجاز العلمي والإعجاز العددي وغيره .

فقد أخرج أحمد والترمذي والدارمي وغيرهم من طريق الحارث الأعور عن علي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتن قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم هو الحبل المتين وهو الذكر الحكيم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم .

وهذا حديث ضعيف جدا من أجل الحارث الأعور إلا أنه كما قال ابن كثير : كلام حسن صحيح . قال : على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ ... فذكره نقلا عن كتاب أبي عبيد في الفضائل وقد أخرجه أيضا ابن أبي شيبة وابن الضريس وغيرهما وإسناده فيه إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف .

ومن فضائل القرآن العظيمة نزول السكينة على من يقرؤه وغشيان الرحمة له والتفاف الملائكة حوله وذكر الله له في الملأ الأعلى .

لما رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعا ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده .

وسيأتي في فضائل السور والآيات أحاديث في نزول الملائكة لقراءة القرآن .

وأخرج مسلم من حديث جابر بن عبد الله مرفوعا : فإن خير الحديث كتاب الله ... وذلك في خطبته ﷺ .

وأخرج الشيخان من حديث أبي موسى مرفوعا مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها .

قال ابن كثير : إن طيب الرائحة دار مع القرآن وجودا وعدما فدل على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والفاجر .

وروى البزار وغيره عن أبي سعيد أيضا مرفوعا قال : يقول الله تعالى : من شغله القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين وقال رسول الله ﷺ : إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه .

وهذا في إسناده ضعف ولكن له شواهد ولذا حسنه بعضهم لشواهده .

كما أن الله تعالى جعل القرآن شفاء فقال سبحانه :

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين

وقال : قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء

ويقول : يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

وأخرج ابن ماجه وغيره من حديث ابن مسعود مرفوعا : عليكم بالشفاءين العسل والقرآن . وهو حديث حسن .

وأخرج أيضا من حديث علي خير الدواء القرآن

وأخرج أبو عبيد عن طلحة بن مصرف قال :كان يقال إذا قرئ القرآن عند المريض وجد لذلك خفة .

وأخرج البيهقي في الشعب عن واثلة بن الأسقع أن رجلا شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وجع حلقه قال : عليك بقراءة القرآن .

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أشتكي صدري قال اقرأ القرآن لقول الله تعالى وشفاء لما في الصدور .

وهذه الأحاديث على ما فيها من ضعف إلا أنه سيأتي ما يشهد لمعناها في فضائل السور والآيات خاصة في فضل الفاتحة إن شاء الله تعالى .

قال النووي في شرح المهذب : لو كتب القرآن في إناء ثم غسله وسقاه المريض فقال الحسن البصري ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي لا بأس به وكرهه النخعي قال ومقتضى مذهبنا أنه لا بأس به فقد قال القاضي حسين والبغوي وغيرهما لو كتب على حلوى وطعام فلا بأس بأكله.انتهى

وصرح بعضهم بالجواز في مسألة الإناء مع تصريحه بأنه لا يجوز ابتلاع ورقة فيها آية لكن أفتى ابن عبد السلام بالمنع من الشرب أيضا لأنه تلاقيه نجاسة الباطن . قال السيوطي : وفيه نظر.

وسيأتي جواز شرب الماء المقروء فيه القرآن في فضل المعوذات وكذا يأتي عن جعفر الصادق جواز ذلك في فضائل آية الكرسي .

وأخرج أحمد وغيره من حديث عقبة بن عامر مرفوعا : لو كان القرآن في إهاب ما أكلته النار.

قال أبو عبيد أراد بالإهاب قلب المؤمن وجوفه الذي قد وعى القرآن

وقال أبو يعلي بعد روايته للحديث : قال أبو عبد الرحمن وهو الراوي عن ابن لهيعة بإسناده هذا الحديث : ففسره أن من جمع القرآن ثم دخل النار فهو شر من الخنزير .

وقال ابن الأنباري معناه أن النار لا تبطله ولا تقلعه من الأسماع التي وعته والأفهام التي حصلته كقوله في الحديث الآخر أنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء أي لا يبطله ولا يقلعه من أوعيته الطيبة ومواضعه لأنه وإن غسله الماء في الظاهر لا يغسله بالقلع من القلوب .

وقال المناوي : لو كان القرآن في إهاب ما أكلته النار وفي رواية ما مسته النار أي لو صور القرآن وجعل في إهاب وألقي في النار ما مسته ولا أحرقته ببركته فكيف بالمؤمن المواظب لقراءته ولتلاوته واللام في النار للجنس والأولى جعلها للعهد والمراد بها نار جهنم أو النار التي تطلع على الأفئدة أو النار التي وقودها الناس والحجارة ذكره القاضي وقيل هذا كان معجزة للقرآن في زمنه كما تكون الآيات في عصر الأنبياء وقيل المعنى من علمه الله القرآن لم تحرقه نار الآخرة فجعل جسم حافظ القرآن كإهاب له وقال التوربشتي إنما ضرب المثل بالإهاب

وهو جلد لم يدبغ لأن الفساد إليه أسرع ولفح النار فيه أنفذ ليبسه وجفافه بخلاف المدبوغ للينه والمعنى لو قدر أن يكون في إهاب ما مسته النار ببركة مجاورته للقرآن فكيف بمؤمن تولى حفظه والمواظبة عليه والمراد نار الله الموقدة المميزة بين الحق والباطل قال الطيبي : وتحريره أن التمثيل وارد على المبالغة والفرض كما في قوله قل لو كان البحر مدادا ، أي ينبغي ويحق أن القرآن لو كان في مثل هذا الشيء الحقير الذي لا يؤبه به ويلقى في النار ما مسته فكيف بالمؤمن الذي هو أكرم خلق الله وقد وعاه في صدره وتفكر في معانيه وعمل بما فيه كيف تمسه فضلا عن أن تحرقه ...

قال الحافظ العراقي وفيه ابن لهيعة . قال المناوي : لكنه يتقوى بتعدد طرقه فقد رواه أيضا عن حبان عن سهل بن سعد ورواه البغوي في شرح السنة وغيره

وأخرج أبو يعلى والطبراني من حديث أبي هريرة القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه

وأخرج الدارمي من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا القرآن أحب إلى الله من السموات والأرض ومن فيهن .

وأخرج أبو عبيد عن أنس مرفوعا القرآن شافع مشفع وماجد مصدق من جعله إمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار

وأخرج ابن أبي شيبة من حديث أبي شريح الخزاعي أن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا

وأخرج من حديث أبي ذر إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه يعني القرآن

كما أن ما ورد في فضل أمة الإسلام يمكن أن يدرج في فضل هذا القرآن العظيم حيث قال ابن كثير بعد أن ذكر حديثا من ذلك الباب :

وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم القرآن الذي شرفه الله على كل كتاب أنزله وجعله مهيمنا عليه وناسخا له وخاتما له .

ولكننا لن نطيل بذكر هذه الأحاديث ويكفي من ذلك الإشارة .

ومن فضائل حملة القرآن :

ما رواه مسلم في صحيحه عن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال من استعملت على أهل الوادي فقال ابن أبزى قال ومن

ابن أبزى ؟ قال مولى من موالينا . قال فاستخلفت عليهم مولى ؟ ! قال إنه قارئ لكتاب الله عز وجل وإنه عالم بالفرائض قال عمر أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين .

ومن ذلك تقديم النبي ﷺ الأحفظ لكتاب الله في ثلاثة أمور :

في الإمارة كما سيأتي في فضل سورة البقرة فقد قدم أحفظهم على الرغم من صغر سنه كما سيأتي ذكره .

وقد تقدم الحديث في ولاية ابن أبزى .

وفي الإمامة في الصلاة حيث قال : يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله .

وفي الدفن حيث قال في قتلى أحد : وقدموا أكثرهم قرآنا .

ومن فضائل حامل القرآن وتاليه :

أن الله يستمع له استماعا خاصا يليق بجلاله ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة قال : ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن .

وقوله : ما أذن يعني ما استمع . ويتغنى أي يجهر به بصوت جميل حسن .

وقد جاء في حديث رواه ابن ماجه عن فضالة بن عبيد ــ قال فيه ابن كثير سنده جيد وقال البوصيري : إسناد حسن ــ عن رسول الله ﷺ قال : لله أشد أذَنا إلى الرجل حسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته .

ويشهد لهذا الحديث حديث أبي هريرة المتقدم فهو في معناه .

وقال تعالى : إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور .

وروى البخاري وغيره عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال ياليتني أوتيت ما أوتي فلان فعملت مثل ما عمل ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل .

وروى البخاري وغيره أيضا من حديث عثمان عن النبي ﷺ قال : خيركم ــ وفي لفظ إن أفضلكم ــ من تعلم القرآن وعلمه .

قال ابن كثير : وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل وهم الكمل في أنفسهم المكملون لغيرهم.

وكان ممن طبق هذا الحديث أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي المقرئ الإمام حيث قعد يعلم الناس القرآن لأجل هذا الحديث سبعين سنة من عهد عثمان رضي الله عنه وحتى إمارة الحجاج .

وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث عائشة الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام والبررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران .

وأخرج الطبراني في الصغير من حديث أنس : من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار يحل حلاله ويحرم حرامه حرم الله لحمه ودمه على النار وجعله رفيق السفرة الكرام البررة حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له

وأخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس من قرأ القرآن في سبيل الله كتب مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

ومن ذلك ما أخرجه أحمد وغيره بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو مرفوعا : يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها .

وأخرج أحمد وغيره أيضا عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ : يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه .

وهو حديث حسن له شواهد ومنها ما تقدم .

وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة : يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده يا رب ارض عنه فيرضى عنه ويقال له اقرأ وارقه ويزاد له بكل آية حسنة .

وأخرج أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : إن لله أهلين من الناس قيل من هم يارسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته

وهو حديث ثابت حسنه وجود إسناده وصححه جماعة من أهل العلم .

وروى أحمد والترمذي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب .

قال الترمذي : حسن صحيح . وصححه الحاكم . وهو حسن لشواهده .

والقرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة وقد وردت في ذلك أحاديث منها :

ما رواه أحمد والحاكم وغيرهما عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان .

وهو حديث حسن وقال الحاكم : على شرط مسلم وسكت الذهبي .

بل إنه قد وردت أحاديث في فضل حامل القرآن وإن لم يعقله أو يقم به ومن ذلك ما رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة قال : بعث رسول الله ﷺ (بعثا وهم) ذوو عدد ، فاستقرأهم فاستقرأ كل واحد منهم ــ يعني ما معه من القرآن ــ فأتى على رجل من أحدثهم سنا ، فقال : ما معك يا فلان ؟ فقال : معي كذا وكذا وسورة البقرة ، فقال : أمعك سورة البقرة ؟ قال : نعم . قال : اذهب فأنت أميرهم . فقال رجل من أشرافهم : والله ما منعني أن أتعلم (سورة) البقرة إلا (أني خشيت) أن لا أقوم بها . فقال رسول الله ﷺ : تعلموا القرآن فاقرؤوه ، (وأقرئوه) فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه ، وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان ، ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك .

هذا لفظ رواية الترمذي ثم قال : هذا حديث حسن .

وهذا الحديث حسن في الشواهد والمتابعات وصححه ابن خزيمة وابن حبان وفي إسناده مولى أبي أحمد قال الحافظ ابن حجر : مقبول . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وسكت الذهبي . وقد ضعفه الألباني .

وروى أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني أقرأ القرآن فلا أجد قلبي يعقل عليه فقال رسول الله ﷺ إن قلبك حشي الإيمان وإن العبد يعطى الإيمان قبل القرآن .

وعنه أيضا أن رجلا جاء بابن له فقال : يا رسول الله إن ابني يقرأ المصحف بالنهار ويبيت بالليل فقال رسول الله ﷺ : ما تنقم ؟ إن ابنك يظل ذاكرا ويبيت سالما .

وفي إسنادهما ابن لهيعة وفيه كلام مشهور على إمامته وفضله .

وأخرج الطبراني والحاكم وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا قال : من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه ومن قرأ القرآن فرأى أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم ما صغر الله وصغر ما عظم الله وليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه أو يغضب فيمن يغضب أو يحتد فيمن يحتد ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن .

وفي لفظ : ولا يجهل مع من يجهل وفي جوفه كلام الله .

وفي إسناده ضعف ورواه البيهقي موقوفا على عبد الله بإسناد رجاله ثقات .

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ما من رجل يعلم ولده القرآن إلا توج يوم القيامة بتاج في الجنة

وأخرج أبو داود وأحمد والحاكم من حديث معاذ بن أنس من قرأ القرآن فأكمله وعمل به ألبس والده تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا

وأخرج الترمذي وابن ماجه وأحمد من حديث علي من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار .

وأخرج الطبراني من حديث ابن عمر ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ولا ينالهم الحساب هم على كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم به قوما وهم به رضوان الحديث .

وأخرج الطبراني من حديث أنس حملة القرآن عرفاء أهل الجنة .

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث جابر من جمع القرآن كانت له عند الله دعوة مستجابة إن شاء عجلها في الدنيا وإن شاء ادخرها في الآخرة

وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله به من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب

وأخرج الديلمي من حديث علي حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله

وأما فضل قراءته وقراءة آياته فقد وردت فيه أحاديث عدة منها :

وأخرج مسلم وغيره من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان قلنا نعم قال فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان .

ما أخرجه البزار عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره .

وفي إسناده ضعف ويشهد له ما يأتي من روايات في البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة .

وأخرج أحمد والترمذي من حديث شداد بن أوس ما من مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلا وكل الله به ملكا يحفظه فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهب متى يهب

وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة من تعلم آية من كتاب الله استقبلته يوم القيامة تضحك في وجهه

وأخرج ابن ماجه من حديث أبي ذر لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة

وفي الباب أحاديث أخرى إلا أن جلها أسانيده واهية وفيما ذكرناه كفاية والحمد لله رب العالمين .

(الإتقان في علوم القرآن ٢/٤٠٤-٤٠٦، ٤١٦ ، ٤٤٠-٤٤١

البرهان ١/٤٣٢ - ٤٣٤

فضائل القرآن لابن كثير

موسوعة فضائل سور وآيات القرآن ١/٧-١٢

فيض القدير ٥/٣٢٤)

الأسئلة :

المجموعة الأولى: ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة

١- أخطأ الواحدي وغيره من المفسرين في ذكرهم حديث أبي في فضائل القرآن **(صح)**

٢- علم فضائل القرآن يرشد المسلم إلى ما يكثر به حسناته ويمحو سيئاته بعمل يسير **(صح)**

٣- لا يعتبر إعجاز القرآن فضيلة من فضائله (**خطأ**)

٤- القرآن شفاء من الأسقام والأمراض (**صح**)

٥- البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره ويقل شره (**صح**)

٦- الله سبحانه أشد استماعا لحسن الصوت بالقرآن من الذي يستمع للمغنية (**صح**)

٧- يرتقي حافظ القرآن في درجات الجنة بعدد ما يحفظ من آي القرآن (**صح**)

٨- الحسد الذي هو بمعنى الغبطة في القرآن الكريم لا يجوز للمسلم (**خطأ**)

٩- لا يجوز التغني بالقرآن لأن الغناء حرام (**خطأ**)

١٠- فضل هذه الأمة مرتبط بفضل القرآن (**صح**)

المجموعة الثانية:ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة

١- سبب وضع بعض الوضاعين في فضائل القرآن هو (ترغيب الناس في القرآن ، سهولة الوضع فيه ، خفاؤه على حفاظ الحديث)

٢- حديث أبي بن كعب الطويل في فضائل القرآن أخرجه (البخاري في صحيحه ، أحمد في مسنده ، ابن الجوزي في الموضوعات)

٣- خير هذه الأمة (متعلم القرآن ومعلمه ، قارئ القرآن ، حافظ القرآن)

٤- ابن زنجويه، وابن الضريس، ممن ألفا في (فضائل القرآن ، فضائل الآيات ، إعجاز القرآن)

٥- من العبادات التي تشفع للعبد يوم القيامة مع القرآن (الصلاة ، الحج ، الصيام)

٦- من المفسرين من كتب في فضائل القرآن في أول كتابه في التفسير أو آخره مثل (ابن كثير، القرطبي ، الطبري)

٧- أجمع المؤلفات في فضائل السور والآيات كتاب (موسوعة الطرهوني ، فضائل القرآن لابن كثير ، خمائل الزهر للسيوطي)

٨- ضعف حديث علي رضي الله عنه في وصف القرآن بسبب راويه (الحارث الأعور، الحارث المصيصي ، عاصم الأحول)

٩- قال صلى الله عليه وسلم في قتلى أحد عند لحدهم : قدموا أكثرهم (قرآنا، سنا، علما)

١٠- ألف كل من أبي نعيم والخلال كتابا مستقلا في فضائل (آية الكرسي ، يس ، الإخلاص)

المجموعة الثالثة: ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملأ الفراغ

١- يؤم القوم.....لكتاب الله (أعلمهم، أفقههم، أقرؤهم)

٢- روي في الحديث أن من قرأ القرآن فأكمله وعمل به ألبس والده .... يوم القيامة (تاجا مضيئا ، حلة سيراء ، سوارا من ذهب)

٣- الماهر بالقرآن مع..... (السفرة الكرام ، النبيين ، الشهداء والصالحين)

٤- أهل...... هم أهل الله وخاصته (القرآن، الفقه، الحديث)

٥- الإمام.......هو أول من صنف في فضائل القرآن (مجاهد، الشافعي، أبو عمرو الداني)

٦- قراءة ثلاث آيات في الصلاة خير لصاحبها من ثلاث ..... (خلفات سمان ، تمرات ، شياه)

٧- أعظم معجزات النبي ﷺ .... (القرآن، انشقاق القمر ، الإسراء والمعراج)

٨- مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل.... (الريحانة، التمرة ، الأترجة)

٩- استحق المولى وصغير السن ... بسبب القرآن (الولاية ، المال ، التقديم في المجلس)

١٠- الذي ليس في جوفه شيء من القرآن ك......(البيت الخرب، الحنظلة ، التمرة)

المحاضرة الحادية عشرة

فضائل السور والآيات ١

****

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد

فنستكمل بعون الله ما بدأناه من حديث عن فضائل القرآن وموعدنا في هذه المحاضرة مع عرض لما ثبت في فضائل وخصائص سورة الفاتحة والبقرة

فمما ثبت سورة الفاتحة :

- أرسل اللهُ ملَكا لم ينزلْ إلى الأرض قط ، فنزل من باب من السماء لم يُفتَحْ قطُّ ، فأتى النبي ﷺ فبشَّرَه بأنها نورٌ أوتيه لم يؤتَه نبيٌّ قبلَه وأنه لن يقرأَ بحرفٍ منها إلا أعطيه :

عن ابن عباسٍ رضي الله عنه قال : " بينما جبريلُ قاعدٌ عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسَه فقال : هذا بابٌ من السماء فُتح اليومَ لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملَك فقال :هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلَّم وقال : أبشِرْ بنورَيْنِ أوتيتَهما لم يُؤتَهما نبيٌّ قبلَك ؛ فاتحةِ الكتاب وخواتيمِ سورة البقرة ، لن تقرأَ بحرفٍ منهما إلا أعطيته ".

- أُنزِلَتْ من كنزِ العرشِ :

عن أبي أمامةَ رضي الله عنه قال : أربعُ آياتٍ من كنزِ العرشِ ليس ينزل منه شيءٌ غيرُهن غيرُ أمِّ الكتابِ فإنه يقول : ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ ، وآية الكرسي ، وخاتمة سورة البقرة ، والكوثر.

- رن إبليس – لعنه الله – حين نزلت :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : رنَّ إبليسُ حين أُنزلت فاتحة الكتاب .

- لم يُنْزِلْ اللهُ في التوراةِ ولا في الإنجيلِ ولا في الزبورِ ولا في الفرقانِ مثلَها ، وهي السبعُ المثاني والقرآنُ العظيمُ :

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج على أُبي بن كعب ، فقال رسول الله ﷺ : " يا أُبي ، وهو يصلي ، فالتفت أُبَيّ ولم يُجِبْهُ ، وصلى أبي فخفَّف ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : ما منعك يا أبي أن تجيبني إذ دعوتُك .

فقال : يا رسولَ الله إني كنت في الصلاة . قال : أفلم تجد فيما أوحي إلي أن ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ قال : بلى ، ولا أعود إن شاء الله . قال : تُحبُّ أن أعلِّمَكَ سورةً لم ينزل في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في الفرقان مثلَها . قال : نعم يا رسول الله . قال : إني لأرجو أن لا تخرجَ من ذلك الباب حتى تعلَمها . فقام رسول الله ﷺ وقمتُ معه ، فجعل يحدثني ويدي في يده ، فجعلت أتبطأ كراهية أن يخرجَ قبل أن يخبرني بها ، فلما دنوتُ من الباب قلت : يا رسول الله ، السورة التي وعدتني ؟ قال :كيف تقرأ في الصلاة ؟ قال : فقرأ أمَّ الكتاب فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلُها . وإنها سبعٌ من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته " .

وفي لفظ : وهي السبع المثاني التي قال الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ .

- الحمد لله أم القران وأم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم :

وعن أبي هريرةَ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " أمُّ القرآن هي السبع المثاني ، والقرآنُ العظيم".

وفي لفظ (وهي القرآن العظيم) ، وفي لفظ (الحمد لله أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني) .

- أعظم سورة في القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم :

وعن أبي سعيدِ بنِ المعَلّى ﷺ قال : "كنت أصلي في المسجد ، فمر بي رسول الله ﷺ ، فدعاني فلم آته حتى صليت ، ثم أتيته . فقال : ما منعك ألا تأتيَني ؟ فقلت : يا رسولَ الله إني كنت أصلي . فقال : ألم يقل اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا

دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ ثم قال لي : ألا أعلمُك أعظمَ سورة في القرآن قبل أن أخرجَ من المسجد . فذهب رسول الله ﷺ ليخرجَ فذكَّرتُه . وفي لفظ (ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج ، قلت له : ألم تقل لأعلِّمَنَّك سورة هي أعظم سورة في القرآن قال : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ هي السبع المثاني ، والقرآن العظيم الذي أوتيته " .

- الفاتحةُ أفضلُ القرآنِ :

وعن أنسٍ ﷺ قال : "كان النبيُّ ﷺ في مسيرٍ له فنزل ونزل رجلٌ إلى جانبه فالتفت إليه النبي ﷺ فقال : ألا أخبرك بأفضل القرآن قال : فتلا عليه : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ " .

- الفاتحةُ خيرُ سورةٍ في القرآنِ :

عن عبدِ الله بنِ جابرٍ ﷺ قال : انتهيتُ إلى رسولِ الله ﷺ وقد أهراقَ الماءَ فقلتُ : السلام عليك يا رسولَ الله . فلم يردَّ عليَّ ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله . فلم يرد علي . فقلت : السلام عليك يا رسول الله . فلم يرد علي . فانطلق رسولُ الله يمشي ، وأنا خلفَه حتى دخلَ على رَحْلِه ، ودخلت أنا المسجدَ ، فجلست كئيباً حزيناً ، فخرج رسولُ الله ﷺ وقد تطهر فقال : " عليك السلامُ ورحمة الله ، وعليك السلام ورحمة الله ، وعليك السلام ورحمة الله" ، ثم قال : " ألا أخبرك يا عبدَ الله بن جابر بخير سورة في القرآن ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تختمها ".

- لا صلاة لمن لم يقرأ بها إماما أو مأموما :

عن عبادةَ بنِ الصامت ﷺ قال : صلى بنا النبيُّ ﷺ صلاةَ الصبح ، فثقلت عليه القراءة ، فلما انصرف قال : " إني لأراكم تقرءونَ وراءَ إمامِكم " . قال : قلنا : أجل والله يا رسولَ الله ، هذًّا . قال : " فلا تفعلوا إلا بأمِّ الكتابِ ، فإنه لا صلاةَ لمن لم يقرأ بها " .

وعن أنس بنِ مالكٍ ﷺ أن النبيَّ ﷺ صلى بأصحابه فلما قضى صلاتَه أقبلَ عليهم بوجهه فقال : " أتقرءون في صلاتكم والإمامُ يقرأ " . فسكتوا . فقالها ثلاث مرات . فقال قائل أو قائلون : إنا لنفعلُ . قال : " فلا تفعلوا ، وليقرأ أحدُكم بفاتحة الكتاب في نفسه ".

وعن عبدِ الله بنِ عمرو بنِ العاص ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " تقرءون خلفي . قالوا : نعم ، إنا لنهذُّ هذًّا . قال : فلا تفعلوا إلا بأم القرآن " .

وعن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ أمره أن يخرج فينادي أن لا صلاةَ إلا بقراءةِ فاتحةِ الكتاب فما زاد

وعن أبي هريرة ﷺ : أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول : " من صلى صلاةً لم يقرأْ فيها بأم الكتاب فهي خِداجٌ ، غير تمام " . قلت : يا أبا هريرةَ إني أكون أحياناً وراءَ الإمام . فغمز ذراعي . وقال : يا فارسي اقرأها في نفسك .

- من انتهى إليها فقد أجزأه :

عن عبدِ الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسولَ الله ﷺ خطب الناسَ فقال : " من صلى صلاةً مكتوبةً فليقرأ بأمِّ القرآن ، وقرآن معها ، فإذا انتهى إلى أم الكتاب فقد أجزأت عنه ، ومن كان مع الإمام فليقرأ إذا سكت ، ومن صلى صلاة فلم يقرأ فيها ، فهي خداج ، فهي خداج ، ثلاث مرات ".

- مناجاة بين العبد وربه وللعبد ما سأل فيها :

عن أبي هريرةَ ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ، هي خداج ، هي خداج ، غير تمام " . قال : فقلت : يا أبا هريرة إني أحيانا أكون وراء الإمام . قال : فغمز ذراعي ، ثم قال : اقرأ بها في نفسك يا فارسي فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : " قال الله تبارك وتعالى : (قسمت الصلاة بيني ، وبين عبدي نصفين ، فنصفها لي ، ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل) قال رسول الله ﷺ : اقرءوا ، يقول العبد : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يقول الله تباك وتعالى : حمدني عبدي ، ويقول العبد ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ يقول الله عز وجل : أثنى علي عبدي ، ويقول العبد ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ يقول الله عز وجل : مجدني عبدي ، فهذا لي . يقول العبد ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال : فهذه الآية بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل .

يقول العبد ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ هؤلاء لعبدي ، ولعبدي ما سأل " .

وفي بعض الطرق ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ وبعدها يقول الله : " فوَّضَ إليَّ عبدي " ، وبعد قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ " أجرها لعبدي ، ولعبدي ما سألَ " وفي بعضها : يا ابن الفارسي .

- الأمرُ بقَوْلِ : آمينَ بعدَها ، وأن الملائكةَ تُؤَمِّنُ مع المؤمنينَ ، وأن من وافَقَ تأمينَهم غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : " إذا قال الإمام ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فقولوا : آمين ، فإن الملائكةَ يقولون : آمين ، وإن الإمام يقول : آمين ، فمن وافق تأمينُه تأمينَ الملائكةِ غُفر له ما تقدم من ذنبه " .

- الأمر بقول آمين بعدها ومن قال آمين بعدها أجابه الله:

عن أبي موسي الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا قال الإمامُ : ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ، فقولوا : آمين ، يُجِبْكم الله " .

- قولُ النبيِّ ﷺ : آمين بعدَها ورفَعَ صوتَه بذلك :

عن وائلِ بنِ حُجْر رضي الله عنه قال : " سمعت النبي ﷺ قرأ ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فقال : آمين يمد بها صوتَه " .

وقد جاء بألفاظٍ منها : فسمعناها ، يجهر ، حتى سمع من خلفه ، وحتى سمعته .

- الرقيةُ بها تَشفي من اللَّدغةِ وهي رقيةٌ مطلقاً :

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما : إن نَفراً من أصحاب النبي ﷺ مروا بماءٍ فيهم لديغ – أو سليم – فعرض لهم رجلٌ من أهل الماء ، فقال : هل فيكم راقٍ ؟ إن في الماء رجلا لديغاً – أو سليماً – فانطلق رجلٌ منهم ، فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ ، فبرأ ، فجاء بالشاء إلى أصحابه ، فكرهوا ذلك وقالوا : أخذت على كتابِ الله أجراً ، فلما قدموا على رسولِ الله ﷺ

، قالوا : يا رسول الله أخذَ على كتاب الله أجراً . قال الرجلُ : يا رسولَ الله ، إنا مررنا بحيٍّ من أحياء العرب فيهم لديغ – أوسليم – فانطلقت ، فرقيته بفاتحة الكتاب على شاء فبرأ ، فقال رسول الله ﷺ : " إن أحقَّ ما أخذتم عليه أجراً كتابَ الله عز وجل " .

- شفاءٌ من السُّمِّ :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وأبي هريرة قالا : قال رسول الله ﷺ : " فاتحة الكتاب شفاءٌ من السم " .

- إذا قُرِئَتْ على معتوهٍ برأ بإذن الله :

عن عمِّ خارجةَ بنِ الصَّلْتِ قال : أقبلنا من عند النبي ﷺ فأتينا على حي من العرب ، فقالوا : أُنبِئْنا أنكم جئتم من عند هذا الرجل – الحبر– بخير فهل عندكم دواءٌ أو رقية — أو شيء – فإن عندنا معتوهاً في القيود قال : فقلنا : نعم . قال : فجاءوا بالمعتوهِ في القيود قال : فقرأ بفاتحةِ الكتاب ثلاثةَ أيام غَدوة ، وعشية ، أجمع بزاقي ثم أتفل . قال : فكأنما نشط من عقال ، قال : فأعطوني جعلا ، فقلت : لا حتى أسأل النبي ﷺ فسألته فقال : " كُلْ ، لَعَمْري من أكلَ برقيةِ باطلٍ ، لقد أكلتَ برقيةِ حقٍّ " . وفي رواية فأعطوه مائة .

- رقى بها النبي ﷺ أحدَ أصحابِه من وَجَعٍ برجلِه تفلاً :

عن السائبِ بن يزيد قال : " عَوَّذني رسول الله ﷺ بفاتحة الكتاب تفلاً ".

- شفاءٌ من كلِّ داءٍ :

عن عبدِ الملك بنِ عُمير قال : قال رسول الله ﷺ : " في فاتحةِ الكتابِ شفاءٌ من كلِّ داءٍ ".

- من قرأها مع المعوذاتِ بعدَ الجمعةِ سبعاً سبعاً في مجلسِه حُفِظَ إلى الجمعةِ الأخرى .

فعن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رضي الله عنهما قالت : من قرأ بعدَ الجمعةِ (الحمد) ، (والمعوذتين) ، (وقل هو الله أحد) سبًعا سبعاً في مجلسه ، حُفظ إلى الجمعةِ الأخرى . قال وكيعٌ : فجرَّبناه فوجدناه كذلك (موقوفٌ بحكمِ المرفوعِ) .

وأما ما ثبت في سورة البقرة

- البيتُ الذي تُقرأ فيه سورةُ البقرة لا يدخلُه الشيطانُ ، بل ينفرُ ويفرُّ منه ، ويخرج إذا كان فيه :

عن أبي هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : " لا تجعلوا بيوتَكم مقابرَ ، إن الشيطانَ ينفِرُ من البيتِ الذي تُقرأ فيه سورةُ البقرة ".

وفي لفظ (يفر) . وفي رواية : " وإن البيتَ الذي تُقرأ فيه البقرةُ لا يدخُلُه الشيطانُ " .

وعن ابنِ مسعودٍ ﷺ قال : إن أصفَرِ البيوتِ الجوف الصّفْرِ من كتابِ الله ، ولا ألفينَّ أحدَكم يضعُ إحدى رجليه على الأخرى ويدعُ أن يقرأ سورةَ البقرة ، فإن الشيطانَ يفرُّ ويخرجُ من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة .

- رأى النبي ﷺ تأخُّراً في أصحابِه يومَ حنينٍ فناداهم يا أصحابَ سورةِ البقرة :

عن العباسِ ﷺ قال : كنتُ مع النبي ﷺ يومَ حنينٍ ، ورسولُ الله على بغلته التي أهداها له فروة الجذامي ، فلما ولى المسلمون قال لي رسول الله ﷺ : " يا عباس ، نادِ أصحابَ الشجرة : يا أصحابَ سورة البقرة " ، فرجعوا كعطفةِ البقرِ على أولادِها فقالوا : يا لبيكَ يا لبيكَ . قال : فاقتتلوا والكفارَ ، وارتفعت أصواتُ الأنصارِ وهم يقولون : يا معشرَ الأنصارِ مرتين ، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا : يا بني الحارث بن الخزرج ، يا بني الحارث بن الخزرج . قال : وتطاولَ رسولُ الله ﷺ وهو على بغلته فقال : " هذا حينَ حَمِيَ الوطيسُ ، وهو يقول : قدما قدما يا عبس ". وأنا آخذٌ بلجامه ، ثم أخذ رسول الله ﷺ حصياتٍ فرماهم بهم . ثم قال : " انهزموا وربِّ الكعبة – وربما قال سفيان : ورب محمد – " قال : فذهبت أنظرُ فإذا القتال لعلى هيئته فيما أرى قال : فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته ، فما زلت أرى حَدَّهم كليلاً وأمرَهم مدبراً حتى هزمهم الله قال : وكأني أنظر إلى النبي ﷺ يركض خلفهم على بغلته .

- تَنَزَّلَتْ الملائكةُ لقراءتها في أمثالِ المصابيح :

وعن أُسيدِ بنِ الحضير ﷺ – وكان من أحسنِ الناس صوتاً بالقرآن – قال : قرأت الليلة بسورةِ البقرة فلما انتهيت إلى آخرها – وفي رواية : بينما هو في مِربده ، على ظهر بيته – وكانت ليلةً مقمرةً وفرسٌ لي مربوطٌ ، ويحيي ابني مضطجعٌ قريباً مني وهو غلامٌ ، فجالَتْ الفرسُ جَوْلَةً فظننتُ أن فرسي تُطلَقُ ، فقمتُ ليس لي همٌّ إلا ابني يحيي فسكَنَتْ الفرسُ ، ثم

قرأتُ فجالتْ الفرسُ ، فقمت ليس لي همٌّ إلا ابني ، ثم قرأت فجالتْ الفرس ، فخشيتُ أن تطأ يحيي فقمت إليها فلما اجترَّه رفعَ رأسَه إلى السماء فرفعت رأسي ، فإذا مثلُ الظلةِ فوقَ رأسي ، في مثلِ المصابيحِ ، فيها أمثالُ السُّرُجِ ، مقبِلٌ من السماء ، عرَجَتْ في الجوِّ ، حتى ما أراها ، فهالني ، فسكتُّ ، فلما أصبحتُ غدوتُ إلى رسولِ الله ﷺ فقلتُ : يا رسولَ الله ، بينما أنا البارحةَ في جوفِ الليل أقرأُ في مِربدي ؛ إذ جالتْ فرسي ، فأخبرتُه ، فقال : " اقرأ أبا يحيي يا ابن حضير (أبا عتيك) أسيد ، فقد أوتيتَ من مزاميرِ داود " . قلت : قد قرأتُ يا رسولَ الله فجالتْ الفرس ، فقمت وليس لي همٌّ إلا ابني ، فقال رسول الله ﷺ : " اقرأ يا ابن حضير (أبا عتيك) أسيد " ، قال : قد قرأتُ ثم جالتْ أيضاً ، فقال رسول الله ﷺ : " اقرأ يا ابنَ حضير " ، قال : والله ما استطعتُ أن أمضيَ - فانصرفتُ ، وكان يحيي قريباً منها ، خشيتُ أن تطأَه - فرفعتُ رأسي ، فإذا كهيئةِ الظُّلَّة ، فيها مصابيحُ (أمثال السرج) (عَرَجت في الجو حتى ما أراها) فهالني ، فقال رسولُ الله ﷺ : " (تلك الملائكة دنَوا لصوتك) (نزلت لقراءة سورة البقرة) ، ولو قرأت حتى تصبح لأصبح الناس ينظرون إليها (ما تستر منهم) (أما إنك لو مضيت لرأيت الأعاجيب) " .

- استحقَّ صاحبَها أن يكونَ أميراً على من هو أكبرُ منه :

عن عثمانَ بنِ أبي العاص ﷺ قال : استعمَلني رسولُ الله ﷺ وأنا أصغرُ الستةِ الذين وَفَدوا عليه من ثقيف ، وذلك أني كنت قرأتُ سورةَ البقرة .

- هي سنامُ القرآنِ :

عن سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : " إن لكلِّ شيءٍ سناماً وإن سنامَ القرآن سورةُ البقرة ، من قرأها في بيته لم يدخلِ الشيطانُ بيتَه " ... الحديث .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله : " إن لكلِّ شيءٍ سناماً وسَنامُ القرآنِ سورةُ البقرة ، فيها آيةٌ سيدةُ آيِ القرآن لا تُقرأ في بيت وفيه شيطانٌ إلا خرج ؛ آية الكرسي ".

- هي الزهراءُ ؛ تأتي يوم القيامة كأنها غياية ، أو غمامة ، أو فرق من طير صواف ، تُحاجُّ عن صاحبها ، وإن أخْذَها بركة ، وتَرْكَها حسرة ، ولا تستطيعها البَطَلَةُ ، وتقدُمُ القرآنَ وأهلَه يومَ القيامة :

عن أبي أمامةَ الباهلي ﷺ قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : " اقرءوا القرآنَ فإنه يأتي يومَ القيامةِ شفيعاً لأصحابِه ، اقرءوا الزهراوَين – البقرةَ وسورةَ آلِ عمران – فإنهما تأتيان يومَ القيامة كأنهما غمامتانِ ، أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقانِ من طيرٍ صوافٍ ، تُحاجّان عن أصحابهما ، اقرءوا سورةَ البقرةَ فإن أخذَها بركةٌ وتركَها حسرةٌ ولا تستطيعُها البطلة " . قال معاوية : بلغني أن البطلةَ السحرة .

- كان من قرأها وآلَ عمران ؛ عُدَّ في الصحابة عظيماً :

عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ : إن رجلاً من بني النجار كان يكتبُ للنبيّ ﷺ وقد كان قرأ البقرة وآل عمران ؛ وكان الرجل إذا قرأ البقرةَ وآلَ عمران جدَّ فينا – يعني عظم- وفي رواية (يُعَدُّ فينا عظيماً) وفي رواية (عُدَّ فينا ذا شأن) ، فكان النبي ﷺ يملي عليه : غفوراً رحيماً ، فيكتب : عليماً حكيماً ، فيقول له النبي : " اكتب كذا وكذا ، اكتب كيف شئت " ، ويملي عليه عليماً حكيماً ، فيقول : أكتب سميعاً بصيراً ؟ فيقول : اكتب ، اكتب كيف شئت ، فارتدَّ ذلك الرجلُ عن الإسلام ، فلحِقَ بالمشركين (بأهل الكتاب) وقال : أنا أعلمكم بمحمدٍ ، إن كنت لأكتبُ ما شئتُ ، (فرفعوه قالوا : هذا كان يكتب لمحمد ، فأعجبوا به ، فما لبث أن قصم الله عنقَه فيهم) ، فمات ذلك الرجل . فقال النبي ﷺ : إن الأرض لم تقبَلْه (فحفروا له فواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذَتْه على وجهها ، ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، ثم عادوا فحفروا له فوارَوه ، فأصبحتْ الأرضُ قد نَبَذَتْه على وجهها ، فتركوه منبوذاً) .

- جلستْ تُؤنِسُ قاتلَ نفسٍ في قبره جمعتين وتدفعُ عنه ، حتى أُمِرَتْ فخرَجَتْ كالسحابةِ العظيمة :

عن أم الدرداءِ رضي الله عنها : إن رجلاً ممن قرأ القرآنَ أغار على جارٍ له فقتله ، وأنه أُقيدَ منه ، فقُتِلَ ، فما زالَ القرآنُ ينسَلُّ منه سورةً سورةً حتى بقيتْ البقرةُ وآلُ عمرانَ جمعةً ثم إن آلَ عمرانَ انسلَّتْ منه وأقامتْ البقرة جمعةً فقيل لها : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ قال : فخرجت كأنها السحابةُ العظيمة .

قال أبو عبيد : أراه يعني أنهما كانتا معه في قبره تَدفعانِ عنه وتُؤنِسانِه ، فكانتا من آخرِ ما بقيَ معه من القرآنِ .

- فيها اسمُ الله الأعظمُ الذي إذا دُعيَ به أجابَ :

عن أبي أمامةَ ﷺ يرفعُه قال : " اسمُ الله الأعظمُ الذي إذا دُعِيَ به أجابَ ؛ في سُوَرٍ ثلاثةٍ : في البقرةِ وآلِ عمرانَ وطه " – يعني الحي القيوم –

- من السبع الأُول التي من أخذها فهو حَبرٌ :

عن عائشةَ رضي الله عنها عن رسولِ الله ﷺ قال : " من أخذَ السبعَ الأولَ من القرآنِ فهو حبرٌ " .

- هي من المثاني الطوالِ التي أُوتيها النبيُّ ﷺ مقابلَ ألواحِ موسى عليه السلامُ :

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : " أوتي موسى الألواحَ ، وأوتيتُ المثاني " .

- من السبعِ الطوالِ التي أوتيها النبيُّ ﷺ مكانَ التوراةِ :

عن واثلةَ بنِ الأسقعِ قال : قال رسول الله ﷺ : " أعطيتُ مكانَ التوراةِ السبعَ الطِّوالَ ، ومكانَ الزبورِ المئينَ ، ومكانَ الإنجيلِ المثاني ، وفُضِّلْتُ بالمفَصَّلِ " .

وقد بينا فيما سبق أن السبع الطوال هي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس . هذا ما ورد في فضل السورة ككل سواء فيها مفردة أم مع غيرها
وقد وردت بعض الفضائل والخصائص لآيات معينة من هذه السورة العظيمة ومن ذلك قوله تعالى :

(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)

- كثيراً ما كان يقرأ بها ﷺ في الركعةِ الأولى من ركعتي الفجرِ :

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما : إنه كثيراً ما كان يقرأ رسولُ الله ﷺ في ركعتي الفجرِ ؛ في الركعةِ الأولى منهما ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ الآية التي في البقرة ، وفي الركعة الآخرة منها ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ .

وقوله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)

- قرأها النبي ﷺ عندما أتى المقامَ في الحجّ :

عن جابرٍ ﷺ : أن رسولَ الله مَكَثَ في المدينةِ تِسعَ سنينَ لم يحجَّ ، فذكرَ الحديثَ بطولِه ، وفيه : حتى إذا فَرَغَ عَمَدَ إلى مَقامِ إبراهيمَ فصلى خلفَه ركعتينِ ثم قرأ ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ ﴾ ... الحديث .

وقوله : (إن الصفا والمروة من شعائر الله)

- قرأها النبيُّ ﷺ عندما أتى الصفا في الحجِ :

عن جابرِ بنِ عبدِ الله ... في حديثِ الحجّ الطويلِ ، وقال فيه : ثم اسْتَلَمَ الحجرَ وخرجَ إلى الصفا ، ثم قرأ ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ ﴾

وكذا ما ورد في فضل وخصائص آية الكرسي

- أُنزِلَتْ من كَنْزٍ من تحتِ العَرْشِ :

عن عليّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ قال : ما أرى أحداً يعقِلُ بلغةِ الإسلامِ ينامُ حتى يقرأَ آيةَ الكرسيِّ ، وخواتيمَ البقرةِ فإنها من كنزٍ تحتَ العرشِ .

- هي أعظمُ آيةٍ في كتابِ الله ، وإن لها لساناً وشفتينِ تُقَدِّسُ الملكَ عندَ ساقِ العرشِ .

عن أُبيّ بنِ كعبٍ قال : قال رسول الله ﷺ : " يا أبا المنذر ، أتدري أيُّ آيةٍ من كتابِ الله معكَ أعظمُ " ؟ قال : قلت : الله ورسولُه أعلم . قال : " يا أبا المنذر ، أتدري أي آيةٍ من كتابِ الله معكَ أعظم " ؟ قال : قلت : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ قال : فضربَ صدري . وقال : " والله لِيَهْنِكَ العلمُ أبا المنذر، والذي نفسي بيده ، إن لها لساناً وشفتينِ تقدِّسُ الملكَ عندَ ساقِ العرشِ " . وفي لفظ : (ليهنئك) .

- من قرأها صباحاً ومساءً حين يأخذُ مَضجَعَه لم يقرَبْه ذكرٌ ولا أنثى من الجنِّ ، ولا يسمعُها شيطانٌ إلا ذَهَبَ :

عن أبي هريرةَ ﷺ أنه كان على تمرِ الصدقة – وفي رواية : وَكَلَني رسولُ ﷺ بحفظِ زكاةِ رمضانَ – فذهبَ يوماً يفتحُ البابَ ، فوجدَ أثَرَ كفٍّ قد أخذَ منه ، (ثم جاء يوماً آخرَ حتى ذكرَ ثلاثَ مراتٍ) ، فذكرَ ذلك للنبي ﷺ فقال : " تريدُ أن تأخُذَه " ؟ قال : نعم . قال : " فإذا فتحتَ البابَ قل : سبحانَ من سَخَّرَكَ لمحمدٍ ﷺ " ، فذهَبَ ففتحَ البابَ ، وقال : سبحانَ من سخَّركَ لمحمد ﷺ . قال أبو هريرة : فقلتُ ؛ فإذا جِنيٌّ قائمٌ بين يديَّ ، فقال له : يا عدوَّ الله ، أنتَ صاحبُ هذا ؟ قال : نعم ، فأخذتُه لأذهبَ به إلي النبي ﷺ ، فقال : إنما أخذتُه لأهلِ بيتٍ فقراءَ من الجنِّ ، (قال : إني محتاجٌ ، وعليَّ عيالٌ ولي حاجةٌ شديدةٌ) ، ولنْ أعودَ ، (فخلَّيْتُ عنه فأصبحتُ ، فقال النبي ﷺ : " يا أبا هريرةَ ، ما فعلَ أسيرُكَ البارحةَ " ؟ قال : قلتُ : يا رسولَ الله شكا حاجةً شديدةً ، وعيالاً فرحمته فخليتُ سبيلَه ، قال : " أما إنه كَذَبَكَ وسيعودُ ") ، قال : فعرفتُ أنه سيعودُ لقولِ رسولِ الله ﷺ إنه سيعودُ ، قال : فعادَ فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : " تريدُ أن تأخذَه " ؟ فقلت : نعم ، فقال : (قال : " فإذا فتحتَ البابَ) قلْ : سبحانَ من سخرَّكَ لمحمد ﷺ " (فذهب ففتحَ البابَ ، فقال : سبحانَ من سخَّرَكَ لمحمدٍ) فقلت : فإذا أنا به فرَصَدْتُه ، فجعلَ يحثو من الطعامِ فأخذتُه) فقال له : يا عدوَّ الله ، زعمتَ أنك لا تعودُ ، لا أدعُكَ اليومَ حتى أذهبَ بك إلى النبي ﷺ ، فأردتُ أن أذهبَ به إلى النبي ﷺ ، (قال : دعني فإني محتاجٌ ، وعليَّ عيالٌ ، لا أعودُ ، فعاهدني ألا يعودَ ، فتركتُه) ، (فرحمته ، فخليتُ سبيلَه ، فأصبحتُ فقال لي رسول الله ﷺ : " يا أبا هريرةَ ما فعل أسيرُك " ؟ قلت : يا رسولَ الله ، شكا حاجةً شديدةً وعيالاً ، فرحمته ، فخليتُ سبيلَه ، قال : " أما إنه قد كَذَبَكَ وسيعودُ ") ، ثم عادَ فذكرتُ ذلك

للنبي ﷺ فقال : " تريد أن تأخذه " ؟ فقلت : نعم . فقال : " قل سبحانَ من سخَّرَكَ لمحمد ﷺ " ، (فرصدته في الثالثةِ ، فجعلَ يحثو من الطعامِ) فقلت ، فإذا أنا به ، فقلت : عاهَدْتَني فكذبتَ وعُدْتَ ، لأذهبنَّ بك إلى النبي ﷺ : إنك تزعُمُ لا تعودُ ، ثم تعودُ ، فقال : خلِّ عني أعلمُكَ كلماتٍ (ينفعك الله بها) إذا قلتَهنَّ لم يقربْكَ (صغيرٌ ولا كبيرٌ) ، ذكرٌ ولا أنثى من الجن ، قلت : وما هؤلاءِ الكلمات ؟ قال : (إذا أويتَ إلى فراشِكَ فاقرأ آيةَ الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ حتى تختمَ الآيةَ ، فإنكَ لن يزالَ عليكَ من الله حافظٌ ، ولا يقْرَبَنَّكَ شيطانٌ حتى تُصبِحَ) ، اقرأْها عندَ كُلِّ صباحٍ ومساءٍ . قال أبو هريرةَ : فخليتُ عنه ، (فأصبحتُ فقال لي رسول الله ﷺ : " ما فعلَ أسيرُكَ البارحةَ " ؟) فذكرتُ ذلك للنبي ، (قلت : يا رسولَ الله ، زَعَمَ أنه يعلمُني كلماتٍ ينفعني الله بها فخلَّيتُ سبيلَه ، قال : " ما هي " ؟ قلت : قال لي : إذا أويتَ إلى فراشِكَ فاقرأ آيةَ الكرسيِّ من أولها حتى تختمَ الآية ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ ، وقال لي : لنْ يزالَ عليكَ من الله حافظٌ ، ولا يقربُكَ شيطانٌ حتى تصبحَ . وكانوا أحرصَ شيءٍ على الخير) ، فقال النبي ﷺ لي : " أَوَ ما علمتَ أنه كذلك ، (أما إنه صَدَقَكَ وهو كذوبٌ ، تعلمُ من تخاطبُ مذ ثلاثَ ليالٍ يا أبا هريرةَ " ؟ قال : لا . قال : " ذاك شيطانٌ ") .

- من قرأها دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ لم يَمْنَعْهُ من دخولِ الجنةِ إلا الموت :

عن أبي أمامةَ ﷺ قال : قال رسولُ الله ﷺ : " من قرأ آيةَ الكرسيِّ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ لم يمنعْه من دخولِ الجنةِ إلا أن يموتَ " .

وكذلك ما ورد في فضلُ خواتيمِ البقرة

- أعطيَها النبي ﷺ لما بَلَغَ سدرةَ المنتهى ليلةَ المعراج :

عن ابن مسعودٍ ﷺ قال : لما أُسرِيَ برسولِ الله ﷺ انتهى إلى سِدرةِ المنتهى ، وهي في السماءِ السادسةِ ، إليها ينتهي ما يُعرَجُ به من الأرض ، فيُقبَضُ منها ، وإليها ينتهي ما يَهبِطُ من فوقِها ، فيُقبض منها ، قال : ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ ، قال : فَراشٌ

من ذَهَبٍ . قال : فأعطِيَ رسولُ الله ﷺ ثلاثاً ؛ أعطِيَ الصلواتِ الخمسَ ، و أعطِيَ خواتيمَ سورةِ البقرةِ ، وغُفِرَ لمن ماتَ لا يشركُ بالله من أمتهِ شيئاً المقحِمات .

- أرسَلَ اللّهُ ملَكا لم ينزِلْ إلى الأرضِ قط ، فنزل من بابٍ من السماء لم يُفتحْ قط ، فأتى النبي ﷺ فبشَّره بأنها نورٌ لم يؤتَه نبيٌّ قبله وأنه لن يقرأَ بحرف منها إلا أعطيه :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما جبريلُ قاعدٌ عند النبي ﷺ ... الحديثَ المتقدمَ في فضلِ الفاتحةِ

- أنزلت من كنزٍ تحتَ العرشِ ، لم يُعطَ أحدٌ منه قبلَ النبي ﷺ ولا يُعطى أحدٌ منه بعدَه ، وهو مما فُضّلنا به :

عن حذيفةَ ﷺ قال : قال رسولُ الله ﷺ : " فُضِّلْنا على الناسِ بثلاثٍ ؛ جُعلَتْ الأرضُ كلُّها لنا مسجداً ، وجعلت تربتُها لنا طَهوراً ، وجُعلت صفوفُنا كصفوفِ الملائكةِ ، وأوتيتُ هؤلاءِ الآياتِ آخرَ سورةِ البقرةِ من كنزٍ تحتَ العرشِ ، لم يُعْطَ أحدٌ منه قبلي ولا يعطى منه أحدٌ بعدي " .

- أُنزِلَتا من كتابٍ كتبه الله قبلَ أن يخلقَ السماواتِ والأرضَ بألفي عامٍ ولا تُقرءآن في دارٍ ثلاثَ ليالٍ فيقربها شيطانٌ :

عن النعمانِ بنِ بشيرٍ ﷺ قال : قال رسولُ الله ﷺ : " إن الله تبارك وتعالى كتبَ كتاباً قبلَ أن يخلقَ السمواتِ والأرضَ بألفيْ عامٍ ، فأنزلَ منه آيتينِ خَتَمَ بهما سورةَ البقرةِ ، فلا تُقرآنِ في دارٍ ثلاثَ ليالٍ فيقربها شيطانٌ " .

- كانتا فَرَجاً للمسلمينَ واستجابَ اللهُ لهم فيهما :

وعن أبي هريرةَ ﷺ قال : لما نزل على رسولِ الله ﷺ ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴾ ؛ فاشتدَّ ذلك على صحابةِ رسولِ الله ﷺ فأتوا رسولَ الله ﷺ ثم جَثَوا على الرُّكَبِ فقالوا : يا رسولَ الله ،

كُلِّفْنا من الأعمالِ ما نُطيقُ ؛ الصلاةَ والصيامَ والجهادَ والصدقةَ ، وقد أُنزلَ عليكَ هذه الآيةُ ، ولا نطيقُها ، فقال رسولُ الله : " أتريدونَ أن تقولوا كما قالَ أهلُ الكتابينِ من قبلِكم : سمعنا وعصينا ، بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانكَ ربَّنا وإليكَ المصير " ، فلما أقرَّ بها القومُ وذلَّت بها ألسنتُهم ؛ أنزلَ الله ﷻ في إثرِها ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ قال عفان : قرأها سلام أبو المنذر- يفرق – ﴿ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ فلما فعلوا ذلك نَسَخَها الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾ ، قال : نعم . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ ﴾ ، قال : نعم ، ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ ﴾ ، قال : نعم . ﴿ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ . قال : نعم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ ﴾ قال : دخل في قلوبهم منه شيء -لم يدخلْ قلوبهم من شيء – فقالوا للنبي ﷺ فقال : قولوا سمعنا وأطعنا وسلَّمنا . فألقى الله الإيمانَ في قلوبهم فأنزلَ الله ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾ قال : قد فعلت ، ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ ﴾ . قال : قد

فعلت . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ . قال : قد فعلت .

- من قرأهما في ليلة كفتاه :

عن أبي مسعودٍ عقبةَ بنِ عمرو البدريِّ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال : " من قرأ بالآيتينِ من آخرِ سورةِ البقرةِ في ليلةٍ كَفَتَاه " .

- إذا تُلِيَتْ مع آيةِ الكرسيِّ لا يدخلُ الشيطانُ البيتَ تلكَ الليلةِ :

عن أبي الأسودِ الدؤلي قال : قلتُ لمعاذٍ : أخبرني عن قصةِ الشيطانِ حينَ أخذتَه ... فذكرَ الحديث ، وفيه : وآيةُ ذلك على ألا يقرأَ أحدٌ منكم آيةَ الكرسيِّ وخاتمةَ البقرةِ فدخلَ أحدٌ منا بيتَه تلكَ الليلة .

هذا ما ثبت وأما ما لم يثبت فكثير أيضا وفي الصحيح غنية عن الضعيف والموضوع ونكتفي بهذا القدر في هذه المحاضرة والله الموفق .

أسئلة :

المجموعة الأولى: ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة

١- أعظم سورة في القرآن سورة الفاتحة (صح)

٢- من أسماء سورة البقرة السبع المثاني (خطأ)

٣- خير سور القرآن البقرة لأن بها آية الكرسي (خطأ)

٤- سورة الإخلاص هي سورة المناجاة بين العبد وبين ربه (خطأ)

٥- سورة الفاتحة رقية شرعية (صح)

٦- فاتحة الكتاب شفاء من السم (صح)

٧- أصفر البيوت الجوف الصفر من كتاب الله (صح)

٨- من فضائل سورة البقرة تنزل الملائكة في أمثال المصابيح (صح)

٩- سنام القرآن سورة الفاتحة (خطأ)

١٠- في سورة البقرة اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أجاب (صح)

المجموعة الثانية: ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة

١- من الآيات الأربع التي هي من كنز العرش (الفاتحة، الأنعام، الكهف)

٢- من أسماء سورة الفاتحة (السبع الطوال، السبع المثاني ،المفصل)

٣- السورة التي قرأها صحابي على معتوه فبرأ هي (البقرة ، الجن ، الفاتحة)

٤- يسن قول آمين بعد (قراءة الفاتحة ، قراءة كل سورة، خواتيم البقرة)

٥- نادى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم حنين (أصحاب البقرة، أصحاب النبي الخاتم ، أصحاب القرآن)

٦- من أخذ السبع الأول من القرآن فهو (حبر، ذكي، مؤمن)

٧- ثبت أن اسم الله الأعظم في (ثلاث سور، خمس سور، سبع سور)

٨- يقابل ألواح موسى في القرآن (المفصل، المثاني، السبع الطوال)

٩- كثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في ركعتي الفجر (وأتموا الحج والعمرة لله..، قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى...)

١٠- آيتان في آخر سورة من قرأهما في ليلة كفتاه هما (آخر آيتين من البقرة، آخر آيتين من التوبة، آخر آيتين من المؤمنون)

المجموعة الثالثة:ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملأ الفراغ

١- من فضل سورة ....أن ابليس رن عند نزولها(البقرة، الفاتحة، الأنعام)

٢- أم القرآن وأم الكتاب من أسماء سورة .... (البقرة، الإخلاص، الفاتحة)

٣- لا تصح الصلاة إلا ... (بفاتحة الكتاب، بالتشهد الأول، بسورة الإخلاص)

٤- في الحديث إن أحق ما أخذتم عليه أجرا... (الفاتحة، الرقية، كتاب الله)

٥- ...... خير سورة في القرآن (الإخلاص ، الفاتحة ، البقرة)

٦- من قال آمين بعد الفاتحة (غفر له ، أجابه الله ، دخل الجنة)

٧- سورتا.......يعد حافظهما عظيما في الصحابة (البقرة وآل عمران، النحل والروم، يونس والعنكبوت)

٨- الزهراوان هما....... (النساء وآل عمران، البقرة والمائدة، البقرة وآل عمران)

٩- قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في الحج عندما أتى الصفا......(الحج أشهر معلومات ...، واذكروا الله في أيام معدودات، إن الصفا والمروة من شعائر الله)

١٠-آية ....لها لسان وشفتان تقدس الملك عند ساق العرش (آمن الرسول... ، قولوا آمنا بالله... .، آية الكرسي)

والله ولي التوفيق

المحاضرة الثانية عشرة

فضائل السور والآيات ٢

***

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد

أما بعد

فحديثنا اليوم عما ثبت في فضائل وخصائص السور ابتداء من آل عمران وحتى الإسراء وسوف نفصل شيئا في هذه المحاضرة في عزو الأحاديث حيث إن جل ما ذكرناه في المحاضرة الفائتة تعرضنا له في التقديم لعلوم القرآن وفي مادة التفسير

أما سورة آل عمران فقد تقدم في فضل سورة البقرة أن رسول الله ﷺ سماها الزهراءُ وهي تأتي يومَ القيامةِ كأنها غيايةٌ أو غمامةُ أو فرقٌ من طيرٍ صوافٍّ تحاجُّ عن صاحبِها وتقدم القرآنَ وأهلَه يومَ القيامةِ

وأنه من قرأها والبقرةَ عُدَّ في الصحابةِ عظيماً :

وأنها جلستْ تُؤنِسُ قاتلَ جارهِ في قبرِهِ وتدفعُ عنه جمعةً :

وأن فيها اسُم الله الأعظمُ الذي إذا دُعِيَ به أجاب :

وأنها من السَّبعِ الأُوَلِ التي مَنْ أخذها فهو حبرٌ :

وأنها من السبعِ الطِّوالِ التي أوتيها النبي ﷺ مكانَ التوراة :

هذه هي فضائل سورة آل عمران إجمالا وأما آياتها فمن السنة أن يقرأ المسلم بقوله تعالى (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) في الركعة الثانية من سنة الفجر الراتبة وقد تقدم ذكر هذا الحديث في فضل قوله تعالى (قولوا آمنا بالله ....) من سورة البقرة .

ومن الآيات ذات الفضل المخصوص من سورة آل عمران قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) فهي من الآيات التي يسن للمسلم أن يقرأها إذا خطب للحاجة :

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أوتي النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الخير وخواتمه أو قال : فواتح الخير فعلمنا خطبة الصلاة وخطبة الحاجة في النكاح وغيره ؛ خطبة الصلاة :

التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله ، وخطبة الحاجة : أن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ثم تصل خطبتك بثلاث آيات من كتاب الله :

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)

ثم تتكلم بحاجتك .

هذا حديث صحيح أخرجه أحمد وابن ماجة وأبو داود والترمذي والنسائي وابن الجارود والحاكم وغيرهم وروى النسائي وغيره بعضه عن أبي موسى الأشعري .

وأما خواتيم سورة آل عمران فقد ورد في فضلها ليلة نزولها هذا الحديث العجيب :

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعبيد بن عمير – وكان قد قدم لزيارتها بعد فترة طويلة ومعه عطاء : قد آن لك أن تزور ؟ فقال : يا أمه أقول كما قال الأول : زر غبا تزدد حبا فقالت : دعونا من بطالتكم هذه . فقال لها ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسكتت ثم قالت : لما كان ليلة من الليالي قال يا عائشة : ذريني أتعبد لربي قلت : والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرك قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلي قالت : فلم يزل يبكي حتى بل حجره قالت : وكان جالسا فلم يزل يبكي حتى بل لحيته قالت : ثم بكى حتى بل الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ لقد أنزلت علي الليلة آية – وفي لفظ : آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها (إن في خلق السموات والأرض ...... الآية كلها)

وغبا أي يوما بعد يوم والبطالة أي الهزل كما في لسان العرب .

وهذا الحديث صحيح رواه ابن حبان وأبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وعبد بن حميد وغيرهم وقد روي في ذلك أيضا حديث منقطع عن سفيان الثوري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ آخر آل عمران فلم يتفكر فيها ويله يعد بأصابعه عشرا . أخرجه ابن أبي الدنيا .

ومن فضائل العشر الأواخر من آل عمران أنه يستحب قراءتها أو نصفها إذا قام الإنسان من الليل ويستحب النظر إلى السماء عندئذ ، وفي ذلك حديث طويل سوف نذكره كاملا مع زيادات ألفاظه وإن كان الشاهد فيه جزء يسير لفوائده العظيمة

فعن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه بات ليلة عند خالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها فقد بعثه أبوه العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة له بعد العشاء الآخرة وكانت حاجته ذودا من الإبل أعطاه إياها من إبل الصدقة قال ابن عباس : فانطلقت إلى المسجد فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء الآخرة حتى لم يبق في المسجد أحد غيره قال : ثم مر بي فقال : من هذا ؟ قلت : عبد الله . قال فمه ؟ فلما بلغته إياها قال : أي بني بت عندنا هذه الليلة . قلت : أمرني العباس أن أبيت بكم الليلة – وكان في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم عندها في ليلتها قال : فالحق . ثم جاء إلى منزله فقال : افرشوا عبد الله . فصلى ركعتين خفيفتين ركوعهما مثل سجودهما وسجودهما مثل قيامهما . وذلك في الشتاء فصلى أربع ركعات فأتيت بوسادة لهما من أدم محشوة ليفا وتقدم إلي العباس لا تنم حتى تحفظ صلاته فقلت : لأنظرن إلى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : لها إذا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأيقظيني فجاء رسول الله بعد ما أمسى فقال : أصلى الغلام ؟ قالوا : نعم قال : فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها وبت عليها معترضا عند رأسيهما وكانت ميمونة حائضا فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم نام ثم قام فخرج فأتى حاجته فغسل وجهه ويديه ولم يوقظ أحدا ثم قال : نام الغليم ؟ أو كلمة تشبهها وأنا أسمع ثم نام ثم قام فتعار ببصره في السماء فنظر فإذا عليه ليل فقال : بسم الله الملك القدوس ثلاث مرات

ثم تلا هؤلاء الآيات من آل عمران : (إن في خلق السموات والأرض ....) حتى انتهى إلى خمس آيات منها ثم قام إلى شن معلقة فأطلق شناقها ثم صب في الجفنة أو القصعة فأكبه بيده عليها ثم توضأ منها وضوءا خفيفا حسنا بين الوضوءين لم يكثر وقد أبلغ فجعل يصفه ويقلله ثم أوكى القربة فصلى ركعتين خفيفتين قد قرأ فيهما بأم القرآن في كل ركعة ثم سلم ثم أتى فراشه فسبح وكبر حتى نام فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر الليل فجلس يمسح النوم عن وجهه بيديه ثم ذهب فتعار ببصره إلى السماء فقال : سبحان الملك القدوس ثلاثا ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من آل عمران حتى ختم السورة فقضى حاجته ثم رجع إلى البيت فتسوك فأتي القربة فحل شناقها ثم توضأ وضوءا هو الوضوء فأحسن وضوءه فمضمض ثلاثا وغسل وجهه ثلاثا وذراعيه ثلاثا ومسح برأسه وأذنيه ثم غسل قدميه ثلاثا ولم يرق من الماء إلا قليلا ثم حركني فقمت ثم أخذ بردا حضرميا فتوشحه قال : استيقظ الغلام ؟ أقام الغلام ؟ ثم أتى مصلاه ثم قام يصلي متطوعا من الليل فقمت فتمطيت كراهية أن يري أني كنت أرقبه . قال ابن عباس : فقمت فصنعت مثل ما صنع فقمت لما رأيته صنع ذلك إلى الشن فاستفرغت منه ثم توضأت كما رأيته توضأ ثم ذهبت فدخلت عليه البيت فقمت إلى جنبه عن يساره وأنا أريد أن أصلي بصلاته فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا عرف أني أريد أن أصلي بصلاته فوضع يده اليمنى على رأسي فأخذ بذؤابتي برأسي من ورائي حتى أقامني عن يمينه وقال بيده من ورائي فصليت خلفه فأخذ بعضدي من وراء ظهره يعدلني كذلك من وراء ظهري فجرني فجعلني حذاءه وأخذ بأذني اليمنى يفتلها كأنه يوقظني فعرفت أنه فعل ذلك ليؤنسني بيده في ظلمة الليل فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاته خنست فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ليستا بقصيرتين ولا بطويلتين فأطال فيهما القيام والركوع والسجود فجعلت إذا أغفيت يأخذ بشحمة أذني فلما انصرف قال لي: ما شأنك أجعلك حذائي فتخنس ؟ فقلت : أو ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله ؟ قال : فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علما وفهما ثم انصرف فنام فاضطجع حتى نفخ ثم استوى على فراشه ثم قام فخرج فنظر في السماء ثم تلا هذه الآية – يعني آية آل عمران – ثم رجع

فتسوك وتوضأ ثم قام فصلى ركعتين حتى صلى ثماني ركعات ثم أوتر بخمس : ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ، لم يجلس بينهن لم يسلم إلا في آخرهن فصلى إحدى عشرة ركعة بالوتر قيامه فيهن سواء حرزت قيامه في كل ركعة بقدر يا أيها المزمل فتتامت صلاته ثلاث عشرة ركعة وكان إذا رفع رأسه بين السجدتين قال : رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني وارزقني واهدني ثم احتبى حتى إني لأسمع نفسه راقدا ثم اضطجع ثم نام حتى نفخ وكان إذا نام نفخ حتى يسمع غطيطه أو خطيطه حتى إذا أضاء الفجر قام فصلى ركعتين خفيفتين ولما صلى ركعتي الفجر اضطجع حتى نفخ حتى أتاه المؤذن بلال فقال : الصلاة يا رسول الله فقام معه إلى الصلاة وهو يقول : آخر كلمة في دعائه : اللهم اجعل لي في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في بصري نورا واجعل في سمعي نورا واجعل عن يميني نورا وعن شمالي نورا واجعل لي من فوقي نورا واجعل من تحتي واجعل لي من أمامي نورا واجعل من خلفي نورا واجعل لي نورا واجعلني نورا اللهم أعظم لي نورا واجعل في نفسي نورا اللهم أعطني نورا ونورا في قبري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا في عصبي ونورا في مخي واجعل لي يوم القيامة نورا وزدني نورا وزدني نورا وزدني نورا ثم خرج فصلى الصبح ولم يتوضأ .

هذا الحديث العظيم أخرجه البخاري ومسلم وقد ألحقت فيه زيادات جاءت عند غيرهما كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم بأسانيد صحيحة .

ولم يتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه تنام عينه ولا ينام قلبه .

وقد روى النسائي وابن نصر وغيرهما بإسناد صحيح عن رجل من الأنصار قال : قلت وأنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لأرقبن رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة حتى أرى فعله ... فذكر قراءته خمسا من العشر الأواخر من آل عمران ثم وضوءه وصلاته وذكر تكرار ذلك ثلاث مرات .

وروي نحو ذلك أيضا عن صفوان بن المعطل وعن الفضل بن العباس وروى ابن السني وغيره عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ عشر آيات من آخر آل عمران كل ليلة.

وروى الدارمي عن عثمان أنه قال : من قرأ آخر آل عمران في ليلة كتب له قيام ليلة .

وأما سورة النساء فمن فضائلها أنها من السبع الأول التي من أخذها فهو حبر وهي من السبع الطوال التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم مكان التوراة

ومن الآيات المفضلة في سورة النساء قوله تعالى في أولها (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)

فهي من الآيات التي يقرؤها المسلم إذا خطب للحاجة وقد تقدم الحديث في ذلك

وهذه الآية العظيمة خطب بها النبي صلى الله عليه وسلم خطبة حث فيها الصحابة رضي الله عنهم على الصدقة كما في حديث جرير بن عبد الله البجلي الذي أخرجه مسلم في صحيحه وغيره .

ومن الآيات المفضلة أيضا في سورة النساء قوله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا) فيستحب البكاء عندها تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر اقرأ علي القرآن ، فقلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : إني أشتهي أن أسمعه من غيري قال : فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا) رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي- وفي رواية : رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده - فرفعت رأسي فنظرت إليه فرأيت عينيه تسيل قال :شهيدا عليهم مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد . وقال لي : حسبك ، من سره أن يقرأ القرآن كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد . أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من طرق كثيرة عن ابن مسعود .

ورواه الحاكم من حديث عمرو بن حريث وهو صحابي صغير وزاد فيه أنه لما سكت عبد الله قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : تكلم . فحمد الله في أول كلامه وأثنى على الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد شهادة الحق وقال : رضينا بالله ربا وبالإسلام

دينا ورضيت لكم ما رضي الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رضيت لكم ما رضي ابن أم عبد . وهو حديث حسن صححه الحاكم وسكت الذهبي .

ورواه البغوي في معجم الصحابة عن محمد بن فضالة الأنصاري بنحوه وذكر أن تلك الحادثة كانت في مسجد بني ظفر وبحضرة معاذ بن جبل وناس من الصحابة .

وأما سورة المائدة فمن فضائلها أنها من السبع الأول

ومن الآيات المفضلة في سورة المائدة قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)

فمن عظم فضل هذه الآية تمنى اليهود أن لو نزلت عليهم فاتخذوا يومها عيدا فأراد الله أن يكون نزولها يوم اجتماع عيدين للمسلمين يوم عرفة ويوم الجمعة :

عن طارق بن شهاب قال : قال رجل من اليهود لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين إنكم تقرءون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت هذه الآية (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال عمر : والله إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية عل رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة التي نزلت فيها وأين أنزلت وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت : نزلت عشية عرفة وفي يوم الجمعة وإنا والله بعرفة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد.

هذا الحديث متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وله طرق أخرى عن عمر .

وقد حدثت حادثة مشابهة لذلك مع ابن عباس رضي الله عنهما فإنه تلا يوما هذه الآية وعنده رجل من اليهود فقال اليهودي : لو أنزل علينا هذه لاتخذنا يومها عيدا فقال ابن عباس : لقد أنزلت في يوم عيدين اثنين في يوم الجمعة يوم عرفة .

أخرجه الترمذي والطيالسي وأبو عبيد وغيرهم وهو حديث صحيح .

وتلا معاوية بن أبي سفيان هذه الآية يوما على المنبر حتى ختمها فقال : نزلت يوم عرفة في يوم جمعة . مشيرا بذلك لفضلها . أخرجه الطبري والطبراني وإسناده حسن .

وجاء نحو ذلك أيضا عن جابر بن سمرة وعن علي رضي الله عنهما . ومن التابعين عن السدي والشعبي وقتادة رحمهم الله تعالى .

وأما قوله تعالى (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)

فهذه الآية العظيمة قام بها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة كاملة يرددها حتى أصبح واستشفع بها لأمته فأعطي ما طلب وفي هذا مصداق لقوله جل وعلا : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وهو الشفاعة كما ثبت ذلك في أحاديث عدة .

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقرأ بآية حتى أصبح (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فلما أصبح قلت : يارسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت ؟ قال : إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله لمن لايشرك بالله عز وجل شيئا .

هذا الحديث حديث حسن أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه ومسدد وابن نصر والحاكم وغيرهم .

وروى أحمد عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردد آية حتى أصبح .

وروى أيضا الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة .

ولما أتى الحافظ ابن كثير في تفسيره على هذه الآية قال : ولهذه الآية شأن عظيم ونبأ عجيب وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بها ليلة حتى الصباح .

وقد ثبت تأسي بعض الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فروى لنا الإمام وكيع في كتابه الزهد عن تميم الداري رضي الله عنه أنه ردد هذه الآية حتى أصبح . وإسناده صحيح .

وورد أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فبكى وقال : أمتي أمتي فوعده الله أن يرضيه في أمته ولا يسوؤه :

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم (رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) وقول عيسى عليه السلام (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فرفع يديه وقال : اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب إلى محمد _ وربك أعلم _ فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام

فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال فقال الله : ياجبريل اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك .
وهذا الحديث العظيم أخرجه الإمام مسلم في صحيحه وكذا رواه النسائي في تفسيره وابن أبي حاتم وغيرهم .
وأما سورة الأنعام وسورة الأعراف فمن فضائلهما أنهما من السبع الأول
ومن عظم فضل سورة الأنعام لما احتوت عليه من توحيد خالص لله عز وجل وإفحام للمشركين بدحض حججهم الواهية أنها لما نزلت سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر أنه شيعها من الملائكة ما سد الأفق :
فعن جابر رضي الله عنه قال : لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق . هذا الحديث إسناده حسن وقد أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين وقال : صحيح على شرط مسلم وكذا أخرجه البيهقي .
وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة فرواه أبو عبيد وغيره عن ابن عباس وفيه أن نزولها كان بمكة ليلا وأن عدد الملائكة سبعون ألفا يجأرون بالتسبيح .
ورواه ابن الضريس عنه وزاد أن النبي صلى الله عليه وسلم خر ساجدا رهبة من تسبيح الملائكة .
ورواه الطبراني وغيره عن أنس وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم
وروي نحوه عن ابن مسعود وأسماء بنت يزيد الأنصارية وابن عمر وعلي وأبي بن كعب وأبي جحيفة وفي حديث علي زيادة لا تصح وهي قوله : ما قرئت على عليل قط إلا شفاه الله .
ورواه جماعة من التابعين مرسلا منهم : مجاهد ومحمد بن المنكدر وعطاء ومعمر وغيرهم .
وإلى هنا ينقطع تسلسل السبع الطوال بسورة الأنفال ومن فضائلها أنها من المثاني التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم مكان الإنجيل كما في حديث واثلة بن الأسقع .
وسورة التوبة وهي من المائين التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم مكان الزبور كما في نفس الحديث .

والمئون من السور هي السور التي بلغت مائة آية فأكثر وهي أحد عشر سورة أولها التوبة ثم هود ويوسف والنحل والإسراء والكهف وطه والأنبياء والمؤمنون والشعراء والصافات وهكذا هي في ترتيب ابن مسعود لمصحفه حسب ما رواه ابن أشتة في كتاب المصاحف .

وأما المثاني فتطلق ويراد بها أربعة أشياء : الفاتحة كما في قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) ، السبع الطوال كما في الأحاديث التي مرت في فضلها ، القرآن كله كما في قوله تعالى (كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) وأما الرابع وهو المراد هنا فهو ما كان من السور دون المائين وليس من المفصل وسوف نتطرق للمفصل فيما بعد إن شاء الله تعالى وعددها ثلاثون سورة .

وقد سميت المثاني بذلك لأنها ثنت المائين أي تلتها ولأنها تثنى أي تتكرر قراءتها أكثر من الطوال والمائين .

وسورة يونس هي سابعة السبع الطوال التي من أخذها فهو حبر بنص حديث عائشة رضي الله عنها وهي مما أوتيه النبي صلى الله عليه وسلم مقابل توراة موسى عليه السلام كما في حديث واثلة وقد تقدم ذلك .

أما كونها سابعة السبع فقد روى ابن الضريس وغيره عن ابن عباس في تفسير السبع المثاني أنها البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس . وإسناده صحيح .

وروى ابن جرير مثله عن سعيد بن جبير بأسانيد غاية في الصحة .

وقد جاء في قصة مقتل عثمان رضي الله عنه مايدل على اشتهار كونها السابعة عند الصحابة رضوان الله عليهم فأخرج ابن حبان عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال : سمع عثمان أن وفد مصر قد أقبلوا فاستقبلهم فلما سمعوا به أقبلوا نحوه إلى المكان الذي هو فيه فقالوا : ادع بالمصحف فدعا بالمصحف فقالوا له : افتح السابعة – وكانوا يسمون سورة يونس السابعة – فقرأها حتى أتى على هذه الآية (قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون) ...... فذكر حديثا طويلا .

وهذا الحديث صححه ابن حبان وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت الذهبي وقال الحافظ ابن حجر : رجاله ثقات سمع بعضهم من بعض .

وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي والحاكم وابن جرير وغيرهم عن يزيد الفارسي وكان من كتاب المصاحف أنه قال : حدثني ابن عباس قال : قلت لعثمان بن عفان ماحملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المائين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر باسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما في السبع الطوال ..... الحديث

قال ابن جرير : فهذا الخبر ينبئ عن عثمان بن عفان رحمة الله عليه أنه لم يكن يتبين أن الأنفال وبراءة من السبع الطول ويصرح عن ابن عباس أنه لم يكن يرى ذلك منها . ا.هـ

وقال السيوطي : وفي رواية صحيحة عند ابن أبي حاتم وغيره عن مجاهد وسعيد بن جبير أنها يونس .

وروى ابن أشتة في المصاحف أن مصحف أبي بن كعب رضي الله عنه كان مرتبا هكذا : الحمد ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة ثم يونس ثم الأنفال ثم براءة .

وكذا في مصحف عبد الله بن مسعود : الطوال : البقرة والنساء وآل عمران والأعراف والأنعام والمائدة ويونس .

وأخرج أبو الشيخ عن محمد بن سيرين رحمه الله قال : كانت سورة يونس تعد السابعة .

ونقل ابن كثير القول بأن سورة يونس هي السابعة أيضا عن مكحول وعطية بن قيس وأبي محمد الفاربي وشداد بن عبيد الله ويحي بن الحارث الذماري . وهو ثابت أيضا عن إسحق بن راهويه .

وسورة هود من المائين التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم مكان الزبور والتي سبق الحديث عنها وهي من السور التي شيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم : فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رجلا قال : يارسول الله شبت قال : شيبتني هود وأخواتها . وهذا حديث صحيح أخرجه الطبراني وابن مردويه قال السيوطي : بسند صحيح .

وهذا الرجل الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم بينه حديث أبي بكر الصديق الذي أخرجه مسدد والحاكم وغيرهما عن ابن عباس قال : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : سألت النبي صلى الله عليه وسلم ما شيبك ؟ قال : سورة هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت .

وهذا أيضا حديث صحيح وقد فصل لنا أخوات هود التي أجملت في حديث عقبة رضي الله عنه .

وهذا الحديث من رواية أبي بكر نفسه ورواه ابن عباس بلفظ : قال أبو بكر : أراك قد شبت يارسول الله . قال : شيبتني هود ... فذكره . وهذه الرواية أخرجها الترمذي وابن سعد والحاكم وغيرهم .

ويبدو أن هذا السؤال قد تكرر فقد روى الترمذي وأبو يعلى وسمويه وغيرهم عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : قالوا : يارسول الله نراك شبت ! قال : شيبتني هود وأخواتها .وهو حديث صحيح كذلك . وممن روى قوله صلى الله عليه وسلم شيبتي هود وأخواتها : عمران بن حصين فيما أخرجه الخطيب وغيره بإسناد جيد .

وقد روي من طرق أخرى فيها ضعف فرواه البيهقي عن أبي سعيد الخدري وفيه أن السائل هو عمر بن الخطاب .

ورواه ابن نصر وابن سعد وغيرهما عن أنس وفيه أن أبا بكر بكى وذكر في أخوات هود القارعة وسأل سائل .

ورواه الدارقطني وأبو الشيخ وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص وفيه أنه هو السائل .

ورواه الطبراني عن سهل بن سعد وذكر في أخوات هود الحاقة . وروي أيضا عن ابن مسعود وأبي هريرة .

ورواه من التابعين مرسلا عكرمة بنحو ذلك . ورواه أبو سلمة بلفظ : قيل يارسول الله نرى في رأسك شيبا قال : مالي لا أشيب وأنا أقرأ هودا وإذا الشمس كورت ؟

ورواه ابن شهاب بنحو ذلك أيضا ورواه محمد بن واسع وقتادة وابن قسيط وأبو إسحق وعطاء .

وجاءت روايتان مرسلتان فيهما بيان السبب الذي أحدث هذا الشيب في رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى ابن سعد عن محمد بن علي الباقر أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أنا أكبر منك مولدا وأنت خير مني وأفضل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شيبتني هود وأخواتها وما فعل بالأمم قبلي .

وروى أبو الشيخ في تفسيره عن أبي عمران الجوني قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : شيبتني هود وأخواتها وذكر يوم القيامة وقصص الأمم .

وحق لأهوال يوم القيامة والقوارع التي قرعت أقوام الأنبياء فأهلكتهم لتكذيبهم أن تشيب صاحب أرق قلب وأنقى قلب وأتقى قلب على ظهر هذه الأرض وقد قال تعالى (فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) وقال (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى)

والخبر عند النبي صلى الله عليه وسلم كالمعاينة لقوة يقينه صلوات الله وسلامه عليه .

أما سورة يوسف وسورة النحل وسورة الإسراء فهي من المائين التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم مكان الزبور كما تقدم ، وسورة الرعد وكذا سورة إبراهيم وسورة الحجر من المثاني التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم مكان الإنجيل ، وفي سورة إبراهيم الآية العظيمة التي تلاها النبي صلى الله عليه وسلم فبكى وقال أمتي أمتي فوعده الله أن يرضيه في أمته ولا يسوؤه وقد سبق هذا الحديث بطوله في فضل سورة المائدة عند قوله تعالى (إن تعذبهم فإنهم عبادك)

وسورة الإسراء من السور التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل ليلة قبل أن ينام على فراشه :

فعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم وكان لا ينام على فراشه حتى يقرأ كل ليلة ببني إسرائيل والزمر .

وهذا الحديث الصحيح أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن خزيمة والحاكم .

وسورة بني إسرائيل هي سورة الإسراء وليس هناك ما يمنع من وجود أكثر من اسم للسورة الواحدة كما سبق أن بيناه في محاضرة فائتة .

ونكتفي بهذا القدر في هذه المحاضرة مع إعادة التنبيه على أننا اقتصرنا على الروايات الثابتة وأما ما لم يثبت فهو كثير جدا ، والله الموفق .

الأسئلة :

المجموعة الأولى: ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة

١- سورة آل عمران هي إحدى الزهراوين (**صح**)

٢- من قرأ آخر آل عمران في ليلة كتب له قيام ليلة (**خطأ**)

٣- يستحب البكاء عند قوله تعالى{فكيف إذا جئنا من كل أمة} تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم (**صح**)

٤- سبح صلى الله عليه وسلم عند نزول سورة الأنعام (**صح**)

٥- سورة الشعراء من السبع الطوال لأن عدد آياتها فوق المائتين (**خطأ**)

٦- قوله تعالى : إن تعذبهم فإنهم عبادك تلاه النبي ﷺ وبكى وقال أمتي أمتي (**صح**)

٧- قوله تعالى : كتابا متشابها مثاني هو المراد من حديث النبي ﷺ : أوتيت المثاني مقابل الإنجيل (**خطأ**)

٨- سورة عم يتساءلون من أخوات هود(**صح**)

٩- سورة يونس قبل الأنفال والتوبة في بعض مصاحف الصحابة (**صح**)

١٠- قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني يراد به السبع الطوال على الراجح (**خطأ**)

المجموعة الثانية:ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة

١- من آيات خطبة الحاجة (<u>يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته</u>، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله)

٢- سورة جلست في قبر قاتل نفس تؤنسه جمعة كاملة (البقرة ، <u>آل عمران</u> ، تبارك)

٣- يسن في ركعتي الفجر قراءة آية (فلما أحس عيسى منهم الكفر.. ، قل آمنا بالله وما أنزل علينا .... ، إن في خلق السموات والأرض ....)

٤- قام صلى الله عليه وسلم ليلة كاملة بـ (ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، <u>إن تعذبهم فإنهم عبادك</u>، أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما)

٥- يقابل الزبور في القرآن (السبع الطوال، <u>المئون</u>، المثاني)

٦- سابعة السبع الطوال هي (الأنفال، التوبة، <u>يونس</u>)

٧- المئون هي السور التي بلغت آياتها (<u>مائة آية</u>، مائتي آية، مائة وخمسين آية)

٨- سورة الصافات من (المثاني، <u>المئين</u> ، السبع الطوال)

٩- من أخوات سورة هود (الواقعة، التغابن، القيامة)

١٠- يقابل الإنجيل في القرآن (المثاني، المئون، المفصل)

المجموعة الثالثة:ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملأ الفراغ

١- يستحب قراءة العشر الأواخر من سورة .....عند القيام من الليل(الكهف، آل عمران، الإسراء)

٢- آية .... ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها (إن في خلق السموات والأرض ، فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك)

٣- نزلت آية إكمال الدين في يوم.... (عرفة ، يوم عيد الأضحى ، يوم عيد الفطر)

٤- قوله تعالى : ..... تمنى اليهود لو أنزل عليهم لاتخذوا يوم نزولها عيدا (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، اليوم أكملت لكم دينكم ، آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون)

٥- من فضل سورة .... أنها شيعها من الملائكة ما سد الأفق (الفاتحة، البقرة، الأنعام)

٦- أول المئين سورة .... (الأنفال، التوبة، هود)

٧- سميت كثير من سور القرآن مثاني لأنها... (يثنى بها في الصلاة، لأن عدد آياتها شفعية، لأنها ثنت المئين)

٨- كان صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة..... كل ليلة قبل أن ينام (الإسراء، البقرة، هود)

٩- سورة بني إسرائيل هي سورة.... (البقرة، الإسراء، الجاثية)

١١- سبب شيب النبي صلى الله عليه وسلم هو... (تقدم السن به، بعض سور القرآن، التفكير في نشر الدعوة)

المحاضرة الثالثة عشرة

فضائل السور والآيات ٣

***

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد

نستكمل حديثنا عن فضائل السور والآيات وفي هذه المحاضرة نستعرض ما ثبت في فضائل السور والآيات من الكهف وحتى سورة ق وهي بداية المفصل

أما سورة الكهف فهي من المائين التي أوتيها النبي ﷺ مكان الزبور وتنزلت السكينة لقراءتها كما حدث لسورة البقرة :

فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : بينما رجل يقرأ سورة الكهف ليلة في الدار إذ رأى دابة تركض أو قال فرسه تركض فنظر فإذا مثل الضبابة أو قال مثل الغمامة قد غشيته فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اقرأ فإن تلك السكينة نزلت للقرآن أو تنزلت على القرآن .

وهذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما والسكينة لها معان عديدة منها الملائكة وهو المراد هنا .

وهي أمان من فتنة الدجال لمن يحفظها فإن من قرأها كما أنزلت عصم من الدجال ومن قرأها يوم الجمعة كان له نورا يوم القيامة ما بينه وبين مكة : فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : من قرأ سورة الكهف كما أنزلت ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه ومن قرأ سورة الكهف يوم الجمعة كان له نورا يوم القيامة من حيث قرأها ما بينه وبين مكة – وفي لفظ – ما بينه وبين البيت العتيق - ومن توضأ ثم قال : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كتب في رق ثم طبع بطابع فلم يكسر إلى يوم القيامة . والرق هو ما يكتب فيه من جلد وغيره ، والطابع الخاتم .

وهذا الحديث أخرجه النسائي وأبو عبيد والدارمي والحاكم وغيرهم وهو حديث صحيح ولا يمكن أن يقول هذا أبو سعيد الخدري إلا بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لا مجال للاجتهاد فيه ولا يتلقى عن أهل الكتاب وقد رواه فعلا جماعة عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله : يوم الجمعة لعله يشمل ليلة الجمعة ويومها لأن اليوم يطلق ويراد به الليل والنهار ويطلق ويراد به النهار فقط وقد وردت رواية للحديث بلفظ ليلة الجمعة ولعلها رواية بالمعنى وإلا فالمحفوظ في الحديث : يوم الجمعة .

ومن ذلك أيضا أن من قرأها يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين :

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين .

وهذا الحديث أخرجه ابن مردويه في تفسيره وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب : إسناده لا بأس به .

وقد تقدم ما يشهد لصحة الجزء المتعلق بحصول النور يوم القيامة وأما المغفرة الحاصلة لما يلم به المسلم بين الجمعتين من صغائر الذنوب فقد ثبتت بإسناد صحيح أيضا عن الأمير الثقة المهلب بن أبي صفرة الذي ولد عام فتح مكة أو قبله بقليل حيث قال : من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة كان له كفارة إلى الجمعة الأخرى .

والمهلب لا يمكن أن يقول ذلك من عند نفسه فروايته هذه في حكم الحديث المرسل وشيوخه المعروف بالأخذ عنهم من الصحابة فروايته هذه تعتبر مما أخذه عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة حديث ابن عمر .

وحديث المهلب هذا أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن بإسناد صحيح .

وروى الضياء في المختارة التي اشترط في أحاديثها الصحة ما يشهد لما تقدم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام وإن خرج الدجال عصم منه . وقد رويت أحاديث أخرى تؤيد ما ذكرناه وفيها زيادات لا تصح ومن ذلك :

ما رواه أحمد وابن السني وغيرهما عن معاذ بن أنس الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نورا ما بين السماء والأرض .

وما رواه الديلمي عن أبي هريرة وابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أعطي نورا من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام ...... وذكر أيضا الوقاية من فتنة الدجال .

وما رواه الديلمي كذلك عن ابن عباس والبراء بن عازب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ عشر آيات من سورة الكهف ملئ من قرنه إلى قدمه إيمانا ومن قرأها في ليلة الجمعة كان له نورا كما بين صنعاء إلى بصرى ومن قرأها في يوم الجمعة قدم أو أخر حفظ إلى الجمعة الأخرى فإن خرج الدجال فيما بينهما عصم منه .

وما رواه ابن مردويه عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم بسورة ملأ عظمتها مابين السماء والأرض ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن قرأ العشر الأواخر منها عند نومه بعثه الله أي الليل شاء ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : سورة أصحاب الكهف .

وأما فضل سورة الكهف في النجاة من فتنة الدجال فقد ورد ذلك في أحاديث عدة منها :

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال : ما شأنكم ؟ قلنا : يارسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال : غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم . إنه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا . قلنا : يارسول الله وما لبثه في الأرض ؟ قال : أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم . قلنا : يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له قدره . قلنا : يارسول الله وما إسراعه في الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم

، ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ، ثم يدعو رجلا ممتلئا شباب فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات _ ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه – فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله .... فذكر الحديث بطوله وفيه قصة يأجوج ومأجوج وقيام الساعة .

هذا الحديث العظيم أخرجه مسلم في صحيحه وكذا الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه وروى أبو داود وابن ماجه وغيرهما عن أبي أمامة الباهلي نحوه مطولا جدا وهو حديث حسن وذكر ابن ماجه بعده أن شيخ شيخه عبد الرحمن المحاربي رحمه الله كان يقول : ينبغي أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب .

وروى الطبراني والحاكم وغيرهما عن نفير بن عامر رضي الله عنه نحوه أيضا وهو حديث حسن.

وقد وردت أحاديث مختصرة تدلل على أن المراد بتلك الفواتح هي العشر آيات الأولى من السورة :

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال ومن حفظ خواتم سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة .

وهذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بدون جزء الخواتم وقد جاءت عند غيره ممن أخرج الحديث كأبي عبيد وابن مردويه وهي زيادة صحيحة

ومن ذلك أيضا الحديث الذي رواه النسائي في اليوم والليلة وأبو يعلى وابن الضريس والروياني وغيرهم عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف فإنه عصمة له من الدجال.

وهذا حديث صحيح على شرط مسلم وله شاهد عن أبي سعيد الخدري مرفوعا ولفظه : ومن قرأ بعشر آيات من آخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه . وقد أخرجه النسائي أيضا والحاكم والبيهقي وهو صحيح الإسناد صححه الحاكم وسكت الذهبي.

وقد تقدم نحو هذا الفضل للعشر الأوائل من سورة الكهف فيما سبق وجاء حديث يجمع بين ذلك وبين فضل آخر للعشر الأواخر منها يدل على أن من حفظها كانت له نورا يوم القيامة .

وهو مارواه أبو عبيد في فضائل القرآن عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: من حفظ عشر آيات من سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضره ومن حفظ خواتم سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة .

وقد أخرجه أيضا ابن الضريس إلا أنه عنده من كلام أبي الدرداء وزاد فيه : من لدن قرنه إلى قدمه .

وهو حديث صحيح مر كلامنا عليه . وهذه الزيادة المذكورة لها شواهد عدة منها مارواه الإمام أحمد عن معاذ بن أنس بلفظ : من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قدمه إلى رأسه . وفي الباب أيضا مارواه ابن مردويه عن عائشة بلفظ : ومن قرأ خاتمتها عند رقاده كان له نورا من لدن قرنه إلى قدمه يوم القيامة . ومارواه الديلمي عن البراء وابن عباس بلفظ : من قرأ عشر آيات من سورة الكهف ملئ من قرنه إلى قدمه إيمانا .

وفي الباب كذلك مارواه البزار عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : من قرأ في ليلة ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه .... الآية﴾ كان له نور من عدن أبين إلى مكة حشوه الملائكة .

وقد رواه أيضا إسحق بن راهويه في مسنده والحاكم وصححه فتعقبه الذهبي بأن فيه رجلا به جهالة . وقال ابن كثير : غريب جدا . وقال الهيثمي : فيه أبو قرة الأسدي لم يرو عنه غير النضر بن شميل وبقية رجاله ثقات . وأقول : فيه أيضا إرسال لأنه من رواية سعيد بن المسيب عن عمر وهي غير متصلة على الأرجح .

أما سورة مريم فهي من المثاني التي أوتيها النبي ﷺ مكان الإنجيل

وسورة طه من المائين التي أوتيها النبي ﷺ مكان الزبور كما أن فيها اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب كما في حديث أبي أمامة رضي الله عنه يرفعه قال: اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاثة سور في البقرة وآل عمران وطه .

وهو حديث صحيح تقدم .

وأما سورة الأنبياء فهي من المائين التي أوتيها النبي ﷺ مكان الزبور

وسورة الحج من المثاني التى أوتيها النبي ﷺ مكان الإنجيل

وهذا قد مر الحديث عنه غير مرة وأما ما لم يسبق ذكره من فضائل سورة الحج وهو من الثابت الصحيح أنها فضلت على سائر السور بسجدتين :

فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله أفضلت سورة الحج على القرأن بسجدتين ؟ قال : نعم فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما.

وهذا الحديث أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود والحاكم وغيرهم وهو حديث حسن وقال أحمد شاكر : حديث صحيح . وله شواهد كثيرة من ذلك مارواه أبو داود والبيهقي عن خالد بن معدان مرسلا ومن الموقوفات عن الصحابة مارواه مالك وابن أبي شيبة وغيرهما عن عمر وماروواه عبد الرزاق عن ابن عمر وعن ابن عباس وقد كان يسجد فيها سجدتين أمة من الصحابة منهم عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وأبو موسى الأشعري وأبو الدرداء وعمار بن ياسر وغيرهم وقال أبو إسحق السبيعي التابعي العالم : أدركت الناس منذ سبعين سنة يسجدون في الحج سجدتين .

أما سور المؤمنون والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان فهي من المائين التي أوتيها النبى ﷺ مكان الزبور .

وسورتا النور والفرقان من المثاني التي أوتيها النبي ﷺ مكان الإنجيل

وسورة السجدة كما أنها من المثاني أيضا كان رسول الله يقرأ بها في صلاة الصبح يوم الجمعة في الركعة الأولى يديم ذلك فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ب (ألم تنزيل) السجدة في الركعة الأولى . وفي الثانية (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)

وهذا حديث متفق عليه وله طريق أخرى عن ابن عباس أخرجها مسلم وغيره وعن ابن مسعود أخرجها ابن ماجه والطبراني وأبو نعيم وغيرهم وهو حديث صحيح قال البوصيري : إسناده صحيح ورجاله ثقات . وروايته نصت على كون النبي ﷺ كان يديم ذلك .

وفي الباب عن علي وسعد بن أبي وقاص وروي عن الشعبي أنه قال : ما شهدت ابن عباس قرأ يوم الجمعة إلا بتنزيل وهل أتى . وقال أبو إسحق : أمنا إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ونحن بالمدينة فصليت وراءه يوم الجمعة صلاة الغداة فقرأ الم تنزيل وهل أتى .

وكان ﷺ لا ينام حتى يقرأ سورة السجدة فعن جابر رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ لاينام حتى يقرأ (الم تنزيل) وتبارك .

أخرجه النسائي ومسدد وعبد بن حميد والحاكم وجماعة وهو حديث صحيح صححه الحاكم وسكت الذهبي وصححه ابن حجر .

وروى أبو يعلى عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة تنزيل السجدة وفي لفظ عند ابن مردويه : لا يدعها في سفر ولا حضر .

وفي الباب عن علي وأنس وغيرهما .

وكان طاوس لاينام حتى يقرأهما وكذا خالد بن معدان رحمهما الله تعالى .

وكان ﷺ يقرأ قوله (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) إلى قوله (عظيما) إذا خطب للحاجة :

فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : أوتي رسول الله ﷺ جوامع الخير ....فعلمنا خطبة الصلاة وخطبة الحاجة في النكاح وغيره ... الحديث .

وهو حديث صحيح قدمنا الكلام عنه في فضل سورة آل عمران . وقد روى ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى والبيهقي في كتاب الزهد الكبير عن عائشة قالت : ما قام رسول الله ﷺ على المنبر إلا سمعته يقول : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا .

ورواه الإمام أحمد في الزهد عم عروة مرسلا .

وروى الروياني في مسنده عن سهل بن سعد قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب أو علمهم لا يدع هذه الآية .

وأما سورة سبأ وفاطر ويس فكلها من المثاني التي أوتيها النبي ﷺ مكان الإنجيل :

والحديث في فضائل سورة يس ذو شجون وسوف نذكر هنا ماصح فيها فقط بعد البحث والتتبع الشديد ومن ذلك أن من قرأها في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة : فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة .

وهذا الحديث حديث حسن أخرجه الدارمي وأبو يعلى وابن السني وابن حبان وجماعة وقد صححه ابن حبان .وقال ابن كثير : إسناد جيد . وقال السيوطي والشوكاني : إسناد على شرط الصحيح .

كما أن له شواهد عن أنس أخرجه ابن عدي وعن جندب أخرجه ابن حبان في صحيحه وعن معقل بن يسار أخرجه أحمد وغيره وفي الباب عن ابن مسعود أخرجه أبو نعيم وعن أبي بن كعب أخرجه القضاعي . وفيه مراسيل عن الحسن وأبي قلابة .

وفي قراءتها ليلا أحاديث أخرى لا تصح منها عن أنس بلفظ : ثم مات مات شهيدا وعن ابن عباس بلفظ : أعطي يسر ليلته حتى يصبح .

وهي قلب القرآن ويسن قراءتها عند المحتضر

فعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : البقرة سنام القران واستخرجت الله لاإله إلا هو الحى القيوم من تحت العرش ويس قلب القرآن لايقرؤها رجل يريد الله تبارك وتعالى والدار الآخرة إلا غفر له – اقرؤوها على موتاكم . يعني : يس .

وحديث معقل بن يسار هذا أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه وأبو داود والطيالسي وابن نصر وابن حبان والحاكم وجماعة . والجزء المذكور منه حسن لوجود شواهد كثيرة له منها ما تقدم في البقرة وقد صححه ابن حبان وقال السيوطي : إسناده صحيح .

أما مايتعلق بكونها قلب القرآن فقد روى البزار عن أبي هريرة عنه ﷺ قال : لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس . وروى ابن مردويه نحوه أيضا.

وفي هذا الباب عن أنس أخرجه الترمذي وابن نصر وغيرهما وعن ابن عباس عند ابن مردويه وعن أبي بن كعب عند القضاعي وغيره وفي مراسيل عن أبي قلابة وعن يحيى بن أبي كثير .

أما مايتعلق بالمغفرة لقارئها فقد تقدم .

وأما قراءتها عند المحتضر والتي يتوهم العامة أن المراد قراءتها على الأموات الذين قد فارقوا الحياة بل ودفن بعضهم فهم يقرؤونها على القبور – وهذا لا شك عمل غير صحيح وليس له أصل – أقول : فقد قال ابن حبان بعد أن أخرج الحديث : أراد به من حضرته المنية لا أن الميت يقرأ عليه .

والذي يوضح ذلك مارواه الإمام أحمد عن صفوان بن عمرو وهو من صغار التابعين يروي عن مشيخة قومه من كبار التابعين وربما بعض الصحابة أنهم حضروا غضيف بن الحارث الثمالي وهو صحابي جليل حين اشتد سوقه يعني وهو في نزعه الأخير فقال : هل منكم أحد يقرأ يس ؟ فقرأها صالح بن شريح السكوني فلما بلغ أربعين منها قبض قال : فكان المشيخة يقولون : إذا قرئت عند ميت خفف عنه بها .

وهذا إسناده صحيح وحسنه الحافظ ابن حجر في الإصابة .

وقد أخرجه أيضا ابن سعد وابن عساكر وله طريق أخرى عند ابن عساكر عن أسد بن وداعة قال : لما حضر غضيف ابن الحارث الموت حضر إخوته فقال : هل فيكم من يقرأ سورة يس ؟ فقال رجل من القوم : نعم . فقال : اقرأ ورتل وأنصتوا . فقرأ ورتل وأسمع القوم فلما بلغ ﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴾ فخرجت نفسه . قال أسد بن وداعة : فمن حضره منكم الموت فشدد عليه الموت فليقرأ يس فإنه يخفف عليه الموت .

ولا شك أن مثل ذلك لا يقال من جهة الرأي بل لا بد فيه من التوقيف فهو مبين صريح لمعنى حديث معقل بن يسار وشاهد قوي له .

وفي الباب عن أبي الدرداء مرفوعا : مامن ميت يموت فيقرأ عنده يس إلا هون الله عليه . أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان والعدني في مسنده وغيرهما . وعن أبي ذر بمثله أخرجه الديلمي وأبو الشيخ . وعن علي بلفظ : ... ولا قرئت عند ميت إلا خففت عنه . أخرجه الحارث في مسنده . وغير ذلك . وفيه من المراسيل عن أبي قلابة : ومن قرأها عند ميت هون عليه .

وقد قرأها عيسى بن المعتمر عند ابن معبد وقال الإمام ابن العربي إمام المالكية : تتأكد قراءة يس وإذا حضرت موت أحد فاقرأ عنده يس فقد مرضت وغشي علي وعددت في الموتى

فرأيت قوما كرش المطر يريدون أذيتي ورأيت شخصا جميلا دفعهم عني حتى قهرهم فقلت : من أنت؟ قال : سورة يس . فأفقت فإذا بأبي عند رأسي وهو يبكي ويقرأ يس وقد ختمها .

ومن فضائل سورة يس ماورد في قوله تعالى ﴿ يس والقرآن الحكيم﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ فقد قرأها رسول الله ﷺ على المشركين وهم على بابه يريدون البطش به فعصمه الله منهم ومضى سالما .

فعن محمد بن كعب القرظي قال : لما اجتمعوا له — أي للنبي ﷺ – وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم على بابه : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها ، قال : وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال : أنا أقول ذلك أنت أحدهم . وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلايرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس ﴿ يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم ﴾ إلى قوله ﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف حيث أراد أن يذهب .... الخ الحديث .

وهذه القصة اشتهر بين الناس أنها في الهجرة والصواب أنها حادثة أخرى غير الهجرة والذي حدث في الهجرة هو خروج النبي ﷺ قبل مبيت علي مكانه ثم جاء أبو بكر فأخبره علي بأن النبي ﷺ انطلق نحو بئر ميمون فلحق به وبات علي مكان النبي ﷺ ولم يعلم المشركون بخروجه ﷺ حتى أصبح الصباح .

وسورة يس مكية بالاتفاق وهي من أواسط المكي وقد نزل آخرها في محاورة بمكة بين النبي ﷺ وأبي بن خلف فأنى ارتباطها بالهجرة ؟

ولم يرد ذكر ذلك في الهجرة إلا في رواية الواقدي عند ابن سعد وهو متهم أما باقي طرق الحديث فأغلبها يدل على كون ذلك في حادثة أخرى وقد فصلت القول فيه في كتابي صحيح السيرة النبوية فلينظر في موضعه .

أما حديث محمد بن كعب القرظي في قراءة النبي ﷺ فاتحة يس على كفار مكة فلم يره منهم أحد فقد أخرجه ابن إسحق والطبري في التاريخ وأبو نعيم في دلائل النبوة وإسناده صحيح

إليه ومحمد بن كعب من كبار التابعين الذين قبل جمهور العلماء مراسيلهم فكيف وقد ذهب البعض إلى أن له إدراكا وقال : ولد في عهد النبي ﷺ ؟

وللحديث طريق أخرى عن عكرمة ولفظه : أن رهطا من المشركين اجتمعوا فقالوا : لو قد رأينا محمدا بطشنا به قال : فأتى عليهم رسول الله ﷺ وهم جميع فأخذ قبضة من تراب فجعل يذرها على رؤوسهم فقرأ ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ حتى بلغ ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ ثم انصرف ... الخ الحديث .

وهو مرسل صحيح أخرجه أبو عمر الدوري في قراءات النبي ﷺ وعبد الرزاق في تفسيره وغيرهما.

فالحديث حسن وله شاهد أخرجه عبد بن حميد عن مجاهد وفيه : اجتمعت قريش .... فذكر حديثا طويلا فيه : وقالوا : نذهب إليه بأجمعنا فلما أرادوا ذلك طلع عليهم رسول الله ﷺ فعمدهم حتى قام على رؤوسهم وقال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم﴾ حتى بلغ ﴿ جعلنا في أعناقهم أغلالا ﴾ فضرب الله بأيديهم على أعناقهم فجعل من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأخذ ترابا فجعله على رؤوسهم ثم انصرف عنهم .

وروي موصولا عن ابن عباس أخرجه ابن مردويه خلا رواية الواقدي بإسناده عن جماعة من الصحابة عند ابن سعد .

وقد أخبرني من جرب تلاوة هذه الآيات عند وجود من يخشى سطوته وبطشه فأمنه الله منهم فلعل أثرها مستمر لمن أخلص لله في تلاوتها . وعلى كل فيسن تلاوتها اقتداء بالنبي ﷺ والله أعلم .

وسورة الصافات من المائين التي أوتيها النبي ﷺ مكان الزبور

أما سورة ص فهي من المثاني التي أوتيها النبي ﷺ مكان الإنجيل وفي قوله تعالى منها ﴿ وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب ﴾ وهو موضع السجود فيها رأى أحد الصحابة رؤيا عجيبة فأخبر النبي ﷺ فعمل بها

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله إني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فقرأت ص فلما أتيت على السجدة سجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها وهي تقول : اللهم اكتب لي بها عندك أجرا وضع

عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود . قال ابن عباس : فقرأ النبي ﷺ سجدة ثم سجد . وفي رواية : فسمعت النبي ﷺ قرأ ص فلما أتى على السجدة سجد . قال ابن عباس : فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة.

فهذا الحديث دال على فوائد عدة منها استحباب السجود في سورة ص عند هذه الآية ومنها استحباب هذا الدعاء عند سجدة ص وغيرها وهو الدعاء الصحيح الوحيد الثابت في سجود التلاوة .

وقد أخرجه جماعة منهم الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وإسناده حسن وقد صححه غير واحد ومنهم الخليلي .

وله شواهد منها ما أخرجه البيهقي في السنن والدلائل وغيره عن أبي سعيد الخدري بلفظ : رأيت في المنام كأني قرأت سورة ص فلما أتيت على السجدة سجد كل شيء رأيت فالدواة والقلم واللوح فغدوت على رسول الله ﷺ فأمر بالسجود فيها . وقد صححه الحاكم .

وأخرجه أبو يعلى والطبراني في الأوسط مطولا وفيه الدعاء بنحوه .

ومنها ما أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة عن أبي موسى الأشعري بنحو القصة والدعاء وفيه مراسيل عن بكر بن عبد الله المزني عند عبد الرزاق وعن الحسن البصري عند ابن عساكر .

وسورة الزمر من المثاني التي أوتيها النبي ﷺ مكان الإنجيل

وكان النبي ﷺ يقرؤها كل ليلة فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ لاينام على فراشه حتى يقرأ كل ليلة ببني إسرائيل والزمر . وسورة بني إسرائيل هي سورة الإسراء وقد مر هذا الحديث عند كلامنا على فضلها .

وأما سورة غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان فكلها من المثاني التي أوتيها النبي ﷺ مكان الإنجيل

كما أن سورة الدخان من القرائن التي كان النبي ﷺ يقرأ بها في صلاة الليل : فعن أبي وائل رحمه الله قال : غدونا على ابن مسعود يوما بعد ما صلينا الغداة فسلمنا بالباب فأذن لنا قال: فمكثنا بالباب هنية قال : فخرجت الجارية فقالت : ألا تدخلون ؟ فدخلنا فإذا هو جالس يسبح فقال : ما منعكم أن تدخلوا وقد أذن لكم ؟ فقلنا : لا ، إلا أنا ظننا أن

بعض أهل البيت نائم قال: ظننتم بآل ابن أم عبد غفلة ؟ قال : ثم أقبل يسبح حتى ظن أن الشمس قد طلعت فقال : ياجارية انظرى هل طلعت ؟ فنظرت فإذا هي لم تطلع فأقبل يسبح حتى اذا ظن أن الشمس قد طلعت قال : ياجارية انظرى هل طلعت ؟ فنظرت فإذا هي قد طلعت فقال : الحمد لله الذى أقالنا يومنا هذا ولم يهلكنا بذنوبنا وجاء رجل من القوم يقال له : نهيك ابن سنان من بنى بجيلة إلى عبد الله فقال : ياأبا عبد الرحمن كيف تقراهذا الحرف ألفا تجده أم ياء؟ ﴿ من ماء غير آسن ﴾ أو : من ماء غير ياسن ؟ قال: فقال عبد الله : وكل القرآن أحصيت غير هذا ؟ قال : إنى لأقرأ المفصل في ركعة وفي رواية : إني قرأت المفصل الليلة كله في ركعة فقال عبد الله : هذّا كهذّ الشعر ؟ ونثرا كنثر الدقل ؟ إن أقواما يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع إن أفضل الصلاة الركوع والسجود إني لأعلم النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن سورتين في كل ركعة ثم قام عبد الله . فجاء علقمة ليدخل عليه فقلنا له : سله عن النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن في كل ركعة فدخل علقمة في إثره ثم خرج فقال : قد أخبرني بها .

وقوله هنية يعني مدة قليلة وأقالنا يعني صفح عنا وآسن يعني متغير والهذ السرعة في القراءة والدقل رديء التمر .

وذكر علقمة القرائن التي أخبره ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يقرأ بها في صلاة الليل سورتين في كل ركعة وهي :

الرحمن والنجم في ركعة واقتربت والحاقة في ركعة والطور والذاريات في ركعة وإذا وقعت و ن في ركعة وسأل سائل والنازعات في ركعة وويل للمطففين وعبس في ركعة والمدثر والمزمل في ركعة وهل أتى ولا أقسم بيوم القيامة في ركعة وعم يتساءلون والمرسلات في ركعة والدخان وإذا الشمس كورت في ركعة . فذكر عشرين سورة من المفصل منها سورة آل حم سورتين سورتين في كل ركعة . وكان أول مفصل ابن مسعود الرحمن .

وهذا حديث متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وله طرق عن ابن مسعود . وقد أخرج أحمد وغيره عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة رضي الله عنها : أكان رسول الله ﷺ يقرن السور ؟ قالت : المفصل . وهو حديث صحيح أصله في صحيح مسلم .

وأما سورة الجاثية والأحقاف ومحمد والفتح فهي من المثاني التي أوتيها النبي ﷺ مكان الإنجيل ، وسورة الفتح اختصت بفضل زائد وهو أنها لما نزلت على النبيﷺ قال: نزلت علي سورة هي أحب الي من الدنيا وما فيها .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فسألته عن شيء ثلاث مرات فلم يرد علي . قال : فقلت لنفسي : ثكلتك أمك ياابن الخطاب نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات فلم يرد عليك . قال : فركبت راحلتي فتقدمت مخافة أن يكون نزل في شيء قال : فإذا أنا بمناد ينادي : ياعمر ، أين عمر ؟ قال : فرجعت وأنا أظن أنه نزل في شيء قال : فقال النبي ﷺ : نزلت علي البارحة سورة هي أحب إلي من الدنيا ومافيها ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ﴾

وحديث عمر في فضل سورة الفتح حديث صحيح أخرجه البخاري وغيره . وقد جاء عن أنس أن قوله تعالى ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ﴾ إلى قوله : ﴿ فوزا عظيما ﴾ نزل مرجعهم من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية فقال : لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعا . وهو حديث متفق عليه وزاد فيه عكرمة رحمه الله : فقرأها عليهم فقالوا هنيئا مريئا يانبي الله قد بين الله لك مايفعل بك فماذا يفعل بنا ؟ فنزلت: ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ حتى ﴿ فوزا عظيما﴾

وفي الباب عن ابن عباس أن النبي ﷺ مافرح بشيء قط فرحه بها أخرجه ابن أبي عاصم وابن الأعرابي وغيرهما . وفيه مراسيل عن قتادة وعكرمة .

وذكر ابن سعد بدون إسناد في قصة الحديبية قال : فلما كانوا بضجنان نزل عليه ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ فقال جبريل عليه السلام : يهنئك يارسول الله . وهنأه المسلمون .

وسورة الحجرات من المثانى التي أوتيها النبى ﷺ مكان الإنجيل وبها تنتهي المثاني ويبدأ المفصل من سورة ق .

أسئلة :

المجموعة الأولى: ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة

١- من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء (صح)

٢- تكفر سورة الكهف لقارئها يوم الجمعة الصغائر مدة أسبوع (صح)

٣- سورة مريم من المثاني (صح)

٤- من السنة أن لا يديم الإمام على قراءة السجدة والإنسان في صلاة فجر الجمعة (خطأ)

٥- قراءة يس في ليلة ابتغاء وجه الله تكفر ذنوب تلك الليلة (صح)

٦- يستحب قراءة يس على قبر الميت (خطأ)

٧- الآيات الأول من يس قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على المشركين وهم ببابه يريدون البطش به (صح)

٨- الصافات من المئين التي هي مكان الزبور(خطأ)

٩- يسن سجود التلاوة عند قوله تعالى:{ وخر راكعا وأناب} (صح)

١٠- سورة الدخان من القرائن التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في الصلاة (صح)

المجموعة الثانية: ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة

١- يسن قراءة الكهف في (يوم الجمعة، قبل النوم، بعد الصلوات المكتوبة)

٢- ورد الترغيب في حفظ العشر الأول والعشر الأواخر من سورة (البقرة، الحشر ، الكهف)

٣- في الحديث أن اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أجاب في سورة (طه، مريم، الأنبياء)

٤- كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في فجر يوم الجمعة (الم السجدة ، حم السجدة ، الجمعة)

٥- سورة الكهف تعتبر من (السبع الطوال ، المئين ، المثاني)

٦- قوله تعالى:{يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا} (من أذكار الصلاة، من خطبة الحاجة، من أوراد الصباح والمساء)

٧- المراد بفواتح الكهف الوارد ذكرها في حديث الدجال (الآيات الثلاث الأولى منها ، الآيات العشر الأولى منها ، قوله : إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح)

٨- من حفظ ..... سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة (أواخر ، فواتح ، أسماء)

٩- سورة ..... أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا وما فيها (محمد ، الكوثر، الفتح)

١٠- قال أبو إسحق السبيعي : أدركت الناس منذ سبعين سنة يسجدون في سورة ..... سجدتين (الأعراف ، الحج ، السجدة)

المجموعة الثالثة : ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملأ الفراغ

١- سورة .....أمان من الدجال (الكهف، الفاتحة، البقرة)

٢- من حفظ خواتيم سورة.... كانت له نورا يوم القيامة (آل عمران، البقرة، الكهف)

٣- فضلت سورة ..... بسجدتين على سائر السور(الكهف، الحج، الم السجدة)

٤- كان صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ ...... (الم السجدة، البقرة، الواقعة)

٥- القاسم المشترك بين المؤمنون والشعراء والعنكبوت أنها من .... (المائين ، المثاني ، القرائن)

٦- سورة......هي قلب القرآن (البقرة، الفاتحة ، يس)

٧- تنزلت السكينة لقراءة سورة ..... (الكهف ، الإسراء ، الصافات)

٨- سورة......مما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤها قبل النوم (الزمر، الصافات، القارعة)

٩- نهاية المثاني هي...... (الحجرات، الفتح، ق)

١٠- سورة الرحمن هي قرينة ...... في قرائن النبي ﷺ في قيام الليل (النجم، الواقعة، الطور)

المحاضرة الرابعة عشرة

فضائل السور والآيات ٤

***

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد

نستكمل حديثنا عن فضائل السور والآيات وفي هذه المحاضرة نستعرض ما ثبت في فضائل السور والآيات من بداية المفصل وحتى بداية المعوذات .

والمفصل سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم وقيل غير ذلك .

وفي تحديد بدايته ثلاثة عشر قولا كلها ضعيفة سوى قول واحد هو الصحيح الثابت وآخر فيه شبهة . والذي يعنينا هنا هو القول الصحيح الثابت وهو بدايته من سورة ق . والمفصل أوتيه النبي ﷺ نافلة ففضل به على سائر الأنبياء .

فعن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله ﷺ : أعطيت مكان السبع التوراة السبع الطوال ومكان الزبور المائين ومكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل . وهو حديث صحيح تقدم الكلام عليه .

والدليل على كون المفصل الذي فضل به نبينا ﷺ على سائر الأنبياء يبدأ من سورة ق ما أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن سعد وغيرهم عن أوس بن حذيفة ﷺ قال : كنت في الوفد الذين أتوا رسول الله ﷺ أسلموا من ثقيف من بني مالك ، أنزلنا في قبة له ، فكان يختلف إلينا بين بيوته وبين المسجد ، فإذا صلى العشاء الآخرة انصرف إلينا فلا يبرح يحدثنا ، ويشتكي قريشًا ويشتكي أهل مكة ، ثم يقول :"لا سواء ، كنا بمكة مستذلين أو مستضعفين فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب علينا ولنا" . فمكث عنا ليلة لم يأتنا ، حتى طال ذلك علينا بعد العشاء قال : قلنا : ما أمكثك عنا يا رسول الله ؟ قال : "طرأ عني حزب من القرآن فأردت أن لاأخرج حتى أقضيه" ، فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا ، قال : قلنا : كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : نحزبه ست سور، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدى عشرة سورة ، وثلاث عشرة سورة ، وحزب المفصل من ق حتى تختم .

وإسناده لابأس به وله طريق أخرى عند ابن سعد بها يصح الحديث وقد احتج به جماعة على ماذكرت منهم ابن كثير رحمه الله .

وسورة ق لها من الفضائل سوى أنها من هذا المفصل أنه يستحب قراءتها على المنبر يوم الجمعة . فعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضى الله عنها قالت : لقد كان تّنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحدا سنتين أو سنة وبعض سنة وما أخذت ق والقرآن المجيد إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس .

وهذا الحديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه وأحمد وغيرهما وله طرق وروي أيضا عن أم صبية خولة بنت قيس الجهنية نحو ذلك . أخرجه ابن سعد ورويت قراءتها عن محمد بن أبي بكر بن حزم وأبيه .

ومن فضائل سورة ق أيضا أن النبى ﷺ كان يقرأ بها فى الركعة الأولى من صلاة العيد : فعن أبي واقد الليثي رضى الله عنه أن عمر ابن الخطاب سأله ماكان يقرأ به رسول الله ﷺ فى الأضحى والفطر؟ فقال : كان يقرأ بـ ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ و ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾

وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه وأحمد ومالك وأصحاب السنن وجماعة غيرهم .

وفي الباب عن عائشة أخرجه الدارقطني والحاكم وفيه مرسل عن الشعبي أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة .

وأما سورة الذاريات والطور والنجم فهن من القرائن التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بها في صلاة الليل كما سبق بيانه في سورة الدخان وذلك سوى أنهن من المفصل المتقدم فضله .

وسورة اقتربت الساعة كما أنها من المفصل أيضا كان النبي ﷺ يقرأ بها فى الركعة الثانية من صلاة العيد ومن القرائن أيضا كما في حديث أبي واقد الليثي المذكور آنفا .

أما سورة الرحمن فهي من المفصل ومن القرائن ويستحب لسامعها أن يقول عندما يأتي القارىء على قوله ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ : لا بشيء من نعمك ربنا نكذب ولك الحمد :

فعن جابر رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ قالوا : لا بشيء من نعمك ربنا نكذب ولك الحمد .

وحديث النبي ﷺ في قراءته سورة الرحمن على الجن حديث حسن أخرجه الترمذي والحاكم وابن أبي الدنيا في كتاب الشكر وأبو الشيخ في العظمة وغيرهم وصححه الحاكم وسكت الذهبي .

وقد روي نحوه عن ابن عمر بلفظ : إن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن أو قرئت عنده فقال : مالي أسمع الجن أحسن جوابا منكم ؟ قالوا : ماذا يارسول الله ؟ فقال : ما أتيت على قول الله ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ إلا قالت الجن : لا بشيء من نعمة ربنا نكذب . وقد أخرجه ابن جرير والبزار والخطيب وغيرهم وصرح السيوطي بتصحيح إسناده .

والتقاء النبي ﷺ بالجن وقراءته عليهم القرآن ثابت في صحيح مسلم وغيره وقد أخذ النبي ﷺ أصحابه فأراهم الموقع الذي التقى بهم فيه وأراهم آثارهم وآثار نيرانهم . وهناك ليلة أخرى التقى بهم فيها وكان معه ابن مسعود وقد رأى أشكالهم وهو حديث طويل له طرق مفصلة في كتابي صحيح السيرة النبوية .

أما سورة الواقعة فقد اشتهر بين الناس في فضلها أنها تنفي الفقر والحديث في ذلك ضعيف لا يثبت ومن ذلك ماروي عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وقد أمرت بناتي أن يقرأنها كل ليلة .

وهذا وغيره مما في معناه من الأحاديث التي تفرد بها المجهولون والكذابون .

وأما الصحيح الثابت في فضلها سوى أنها من المفصل الذي قدمنا أن نبينا ﷺ فضل به على سائر الأنبياء وأنها من القرائن التي كان رسول الله ﷺ يصلي بها في قيام الليل فهي من السور التى شيبت رسول الله ﷺ فعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : سألت النبى ﷺ ما شيبك ؟ قال : سورة هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت . وقد سبق الحديث عنه في فضل سورة هود .

وسورة الحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف لم يصح شيء فيها سوى كونها من المفصل المتقدم فضله غير مرة .

وسورة الجمعة كذلك من المفصل وكان النبي ﷺ يقرأ بها فى الركعة الأولى من صلاة الجمعة فعن النعمان بن بشير رضى الله عنه : أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير ماذا كان يقرأ به رسول الله ﷺ يوم الجمعة على إثر سورة الجمعة ؟ قال : كان يقرأ ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ .

وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه ومالك وأحمد وجماعة وقد روى مسلم أيضا وعبد الرزاق وأحمد وغيرهم أن مروان بن الحكم كان يستخلف أبا هريرة على المدينة فخرج مرة إلى مكة فاستخلفه فصلى بهم الجمعة فقرأ في الركعة الأولى بسورة الجمعة وفي الركعة الثانية إذا جاءك المنافقون فقال عبيد الله بن أبي رافع فأدركت أبا هريرة حين انصرف ومشيت إلى جنبه فقلت : يا أبا هريرة سمعتك تقرأ بسورتين كان علي بن أبي طالب عليه السلام يقرأ في الجمعة بهما بالكوفة قال أبو هريرة : إن حبي أبا القاسم رسول الله ﷺ كان يقرأ بهما في الجمعة.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقرأ في الجمعة سورة الجمعة والمنافقين. أخرجه مسلم وأحمد وأصحاب السنن وغيرهم .

وفي الباب عن أبي عنبة الخولاني عند البزار وغيره ، وعن ابن مسعود عند عبد الرزاق وعن جابر عند ابن مردويه وفيه مراسيل عن أناس من المدينة وطاوس .

وقد قرأ بها علي وأبو هريرة كما سبق وقرأ بها وبسبح عبد الله بن الزبير فيما أخرجه ابن عساكر وقال في سبح : صحف إبراهام وموسى . وهي من القراءات السبع المتواترة قراءة ابن عامر إمام أهل الشام .

ورويت قراءتها عن عمر بن عبد العزيز وأبي بكر بن عمرو .

وسورة المنافقون من المفصل وكان النبي ﷺ يقرأ بها فى الركعة الثانية من صلاة الجمعة : فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقرأ فى الجمعة سورة الجمعة والمنافقون . وقد سبق الحديث عنه

وأما سورة التغابن والطلاق والتحريم فلم يصح فيها شيء سوى كونها من المفصل المتقدم ذكر فضله .

وسورة تبارك من المفصل أيضا ولها فضل آخر عظيم وهو أنها شفعت لصاحبها حتى غفر له : فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: إن سورة فى القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفر له ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾

وهذا حديث حسن أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي في كتاب عذاب القبر وصححه ابن حبان وقال الحاكم : صحيح ولم يخرجاه – يعني البخاري ومسلما – وسكت الذهبي .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهي سورة تبارك . وهذا أيضا حديث حسن أخرجه الطبراني وغيره وصححه الضياء وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : يؤتى الرجل في قبره من قبل رجليه فتقول رجلاه : ليس لكم على ما قبلي سبيل قد كان يقوم علي بسورة الملك ، قال : فيؤتى جوفه فيقول جوفه : ليس لكم على ما قبلي سبيل قد وعى في سورة الملك . قال : فيؤتى رأسه فيقول لسانه : ليس لكم على ما قبلي سبيل قد كان يقوم في بسورة الملك ، فقال عبد الله : كنا نسميها فى عهد رسول الله ﷺ المانعة – فهي المانعة بإذن الله من عذاب القبر ...

وحديث ابن مسعود العظيم في منع صاحب سورة تبارك من عذاب القبر له عدة طرق وهو حديث صحيح أخرجه عبد الرزاق وأبو عبيد والنسائي في اليوم والليلة والبيهقي في إثبات عذاب القبر وصححه ابن حبان والحاكم وسكت الذهبي وماذكرته منه يعتبر في حكم المرفوع إلى رسول الله ﷺ وقد رويت قصة تؤيده في إسنادها شيء من الضعف .

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحتسب أنه قبر ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها ، فأتى النبي ﷺ ، فقال : يارسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها فقال رسول الله ﷺ هي المانعة ، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر .

أخرجه الترمذي وقال : حسن غريب . وأخرجه جماعة منهم ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال .

وروى عبد بن حميد وغيره أيضا عن ابن عباس أنه قال لرجل : ألا أطرفك بحيث تفرح به ، قال الرجل : بلى يا ابن عباس رحمك الله ، قال : اقرأ تبارك الذي بيده الملك واحفظها ، وعلمها أهلك ، وجميع ولدك ، وصبيان بيتك ، وجيرانك ، فإنها المنجية ، وهي المجادلة ؛ تجادل وتخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها ، وتطلب إلى ربها أن ينجيه من النار إذا كانت في جوفه ، وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر . وأخرج بعضه أيضا الطبراني والحاكم .

وروي عن أنس حديث طويل في مجادلتها عن صاحبها وهو حديث منكر أخرجه ابن عساكر وغيره .

وفيه مراسيل كثيرة عن مرة الهمداني وعن زر بن حبيش وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف وعن سعيد الأنصاري وعن الزهري وعن عطاء وعن خالد بن معدان .

ومن فضائل سورة تبارك أيضا أن النبي ﷺ كان لاينام حتى يقرأها

فعن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل وتبارك . وقد تكلمنا عنه في فضل سورة السجدة .

وسورة ن وسأل سائل والحاقة وكذا المزمل والمدثر ولا أقسم بيوم القيامة والإنسان والنازعات وعبس من المفصل ومن القرائن التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بها في صلاة الليل .

وسورة نوح والجن لم يصح فيهما شيء سوى كونهما من المفصل المذكور فضله فى سورة ق .

ومن فضائل سورة الإنسان أيضا أن النبي ﷺ كان يقرأ بها فى صلاة الصبح يوم الجمعة فى الركعة الثانية يديم ذلك .

فعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة يوم الجمعة آلم تنزيل وهل أتى على الإنسان يديم ذلك .

أما سورتا المرسلات وعم يتساءلون فهما من المفصل المتقدم فضله ومن السور التى شيبت رسول الله ﷺ

فعن أبي بكر الصديق قال : سألت رسول الله ﷺ ماشيبك ؟ قال : سورة هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت .

وهما من القرائن التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بها في صلاة الليل .

وسورة التكوير كما أنها من السور التي شيبت رسول الله ﷺ كما تقدم ومن القرائن أيضا فمن سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأها فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت .

أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن نصر وابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال وغيرهم وهو حديث حسن وقال الحاكم : صحيح الإسناد وسكت الذهبي وقال الترمذي والمقدسي : حسن غريب .

وسورة إذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت سوى أنهما من المفصل فمن سره أن ينظر إلى القيامة رأى عين فليقرأهما . وقد تقدم حديث ابن عمر في ذلك .

وسورة المطففين من القرائن التي كان يقرأ بها رسول الله ﷺ في صلاة الليل .

أما سورة البروج والطارق فلم يصح شيء فيهما سوى كونهما من المفصل .

وسبح اسم ربك الأعلى من المفصل وكان ﷺ يقرأ بها في الركعة الأولى من صلاة الجمعة وصلاة العيد وإذا اجتمعا في يوم واحد قرأ بها فى الصلاتين : فعن النعمان ابن بشير رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال : وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضا في الصلاتين .

وهذا حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم في صحيحه وغير واحد .

وعن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ كان يقرأ في الجمعة وفي العيدين بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية .

أخرجه أحمد والطيالسي وأبو داود والنسائي وغيرهم وإسناده صحيح وقد صححه ابن خزيمة وابن حزم وابن حجر وقال الهيثمي : رجاله ثقات .

وفي الباب عن ابن عباس عند الطبراني وغيره وعن ابن مسعود عند عبد الرزاق وعن أنس عند ابن أبي شيبة وعن أبي عنبة الخولاني عند ابن ماجه وفيه مرسل عن عبد الملك بن عمير.

وثبتت قراءة أبي موسى الأشعري بهما في الجمعة وروي أيضا وروي عن عمر بن الخطاب .

وكان النبي ﷺ يقرأ بسورة سبح فى الركعة الأولى من الركعتين قبل الوتر فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقرأ فى الركعتين التي يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الأعلى وقل يأأيها الكافرون ويقرأ في الوتر بقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس .

وهذا حديث صحيح له طرق أخرج أحدها الدارقطني وابن الأعرابي وابن حبان وبعضها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم وغيرهم . وقد صححه ابن حبان وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وسكت الذهبي وحسنه الحافظ ابن حجر .

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى عدم ثبوت قراءة المعوذتين بعد قل هو الله أحد في الوتر وهذا غير صحيح البتة فقد صح حديث عائشة هذا وجاء من طرق خمسة . ولذا قال ابن نصر رحمه الله : فالذي نختاره لمن صلى بالليل في رمضان وغيره أن يسلم بين كل ركعتين ، حتى إذا أراد أن يوتر صلى ثلاث ركعات ، يقرأ في الركعة الأولى بسبح اسم ربك الأعلى ، وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون ، ويتشهد في الثانية ويسلم ، ثم يقوم فيصلي ركعة يقرأ فيها بفاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، والمعوذتين .ا.هـ

وقد جاء هذا الحديث من غير رواية عائشة فعن عبد الله بن سرجس ﷺ أن النبي ﷺ كان يوتر بثلاث يقرأ في الأولى ب﴿سبح اسم ربك﴾ ، وفي الثانية ب﴿قل يا أيها الكفرون﴾ ، وفي الثالثة ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ .

أخرجه أبو نعيم في الحلية وإسناده صحيح لا أعلم له علة وقد أخرجه أيضا ابن السكن في صحيحه .كما روي أيضا عن أبي هريرة أخرجه الطبراني في الأوسط ، وقد ثبت عن مالك بن أنس وأبي مصعب وأبي يونس قراءتهم بذلك في الوتر ورواه ابن الضريس عن عمر بإسناد رجاله ثقات وفيه إرسال .

وقراءة سبح في الركعتين قبل الوتر جاءت أيضا من رواية عبد الرحمن بن أبزى ﷺ بإسناد صحيح أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي وجماعة . وجاءت من رواية ابن عباس بإسناد صحيح كذلك عند أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن نصر في قيام الليل وغيرهم .

وفي الباب أحاديث عن أبي بن كعب عند أحمد وغيره وعن عمران بن حصين عند النسائي وغيره وعن أنس عند ابن عدي وغيره وعن ابن عمر عند ابن الأعرابي وغيره وعن عمر عند

ابن عدي وعن ابن أبي أوفى عند البزار وعن ابن مسعود عند أبي يعلى وغيره وعن غيرهم أيضا من الصحابة وفيما ذكرته كفاية بل وزيادة .

وسورة الغاشية من المفصل الذي فضل به نبينا ﷺ وكان ﷺ يقرأ بها فى الركعة الثانية من صلاة الجمعة وصلاة العيد وإذا اجتمعا في يوم واحد قرأ بها في الصلاتين . وقد تقدمت الأحاديث بذلك .

أما سورة الفجر والبلد والشمس والليل والضحى والشرح والتين والعلق والقدر والبينة فلم يصح فيها شيء سوى كونها من المفصل .

وسورة الزلزلة من المفصل أيضا وهي سورة جامعة فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: أقرئني يارسول الله . قال له : اقرأ ثلاثا من ذات ﴿الر﴾ فقال الرجل: كبرت سني واشتد قلبي وغلظ لساني قال : فاقرأ من ذات ﴿حم﴾ فقال مثل مقالته الأولى فقال : اقرأ ثلثا من المسبحات فقال مثل مقالته فقال الرجل : ولكن أقرئني يارسول الله سورة جامعة فأقرأه ﴿ إذا زلزلت الأرض﴾ حتى اذا فرغ منها قال الرجل والذى بعثك بالحق لأزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله ﷺ أفلح الرويجل أفلح الرويجل ثم قال علي به فجاءه فقال له : أمرت بيوم الأضحي جعله الله عيدا لهذه الأمة فقال الرجل أرأيت إن لم أجد إلا منيحة ابنى أفأضحي بها ؟ قال: لا ولكن تأخذ من شعرك وتقلم أظفارك وتقص شاربك وتحلق عانتك فذلك تمام أضحيتك عند الله.

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص في فضل سورة الزلزلة الذي ذكرناه في الحلقة السابقة حديث حسن أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن السني وابن عبد الحكم في فتوح مصر وغيرهم وقد صححه ابن حبان وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وصححه الذهبي .

ومن فضائلها أيضا أن من قرأها عدلت له بنصف القرآن فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له بربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له بثلث القرآن .

وحديث أنس هذا أخرجه الترمذي وابن خزيمة وأبو يعلى وغيرهم وله طرق وشواهد فهو حديث حسن وقد حسنه الترمذي وصححه ابن خزيمة

وقد جاء مثله عن ابن عباس أخرجه الترمذي وأبو عبيد وجماعة وصححه الحاكم . وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه ابن السني بلفظ : من قرأ في ليلة إذا زلزلت الأرض كانت له كعدل نصف القرآن ...

وفيه مراسيل عن الحسن وعن بكر بن عبد الله المزني وعن الشعبي وإسحق بن أبي فروة وعاصم .

وكان رسول الله ﷺ يقرأ بها فى الركعة الأولى من الركعتين بعد الوتر فعن سعد بن هشام الأنصاري أنه سأل عائشة عن صلاة النبي ﷺ بالليل فقالت : كان رسول الله ﷺ إذا صلى العشاء تجوز بركعتين ثم ينام وعند رأسه طهوره وسواكه فيقوم فيتسوك ويتوضأ ويصلي ويتجوز بركعتين ثم يقوم فيصلي ثمان ركعات يسوي بينهن في القراءة ويوتر بالتاسعة ويصلي ركعتين وهو جالس فلما أسن رسول الله ﷺ وأخذ اللحم جعل الثمان ستا ويوتر بالسابعة ويصلي ركعتين وهو جالس يقرأ فيهما بقل ياأيها الكافرون وإذا زلزلت .

هذا الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها في صلاة النبي ﷺ في الليل وذكرت فيه أنه يصلي بعد الوتر ركعتين وهو جالس يقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وإذا زلزلت . حديث صحيح ثابت أخرجه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما كما أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم بدون الشاهد الذي نريده . وأخرجه إسحق بن راهويه في مسنده مقتصرا على هذا الشاهد فقط .

وقد جاء هذا الحديث عن أبي أمامة أيضا ولفظه : أن النبي ﷺ كان يصلي ركعتين يصليهما بعد الوتر وهو جالس يقرأ فيهما إذا زلزلت الأرض وقل يا أيها الكافرون . أخرجه أحمد وابن نصر والطحاوي وغيرهم وهو حديث حسن وقال فيه الهيثمي : رجاله ثقات .

وفي الباب عن أنس عند البزار والبيهقي وغيرهما .

وأما قوله تعالى في هذه السورة ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ فقد سمعها صحابي فقال: حسبي لا أبالي ألا أسمع من القرآن غيرها فأقره النبي ﷺ فعن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ قال : حسبي لا أبالى أن لاأسمع من القرآن غيرها .

وهو حديث حسن أخرجه أحمد والنسائي في التفسير وابن سعد وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني وغيرهم وصححه الحاكم وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . وله شواهد مرسلة بألفاظ مقاربة ومنها ما أخرجه ابن المبارك عن زيد بن أسلم وما أخرجه سعيد بن منصور عن المطلب بن عبد الله وما أخرجه عبد بن حميد عن قتادة وما أخرجه عبد الرزاق عن الحسن .

وهذه الآية سماها النبي ﷺ آية فاذة جامعة ، والفاذة معناها قليلة النظير والجامعة هي العامة المتناولة لكل خير ومعروف . فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ مامن صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوي بها جنباه وجبينه كلما بردت أعيدت له حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ومامن صاحب إبل لا يؤدي زكاتها وفي رواية حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا بطح لها بقاع قرقر كأوفر ماكانت ولا يفقد منها فصيلا تستن عليه كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ومامن صاحب غنم لا يؤدي زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقر كأوفر ما كانت فتطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها ليس فيها عقصاء ولا جلحاء كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . وفي رواية : قيل يارسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم لايؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها ...الخ . قالوا : فالخيل يارسول الله ؟ قال : الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الخيل ثلاثة فهي لرجل أجر ولرجل ستر ولرجل وزر فأما التي هي له أجر فالرجل يتخذها في سبيل الله ويعدها له فلاتغيب شيئا في بطونها إلا كتب الله له أجرا ولو رعاها في مرج ما أكلت من شيء إلا كتب الله له بها أجرا ولو سقاها من نهر كان له بكل قطرة تغيبها في بطونها أجر حتى ذكر الأجر في أبوالها وأرواثها ولو استنت شرفا أو شرفين كتب له بكل خطوة تخطوها أجر وأما الذي هي له ستر فالرجل يتخذها تكرمًا وتجملا وفي رواية تغنيًا وتعففا ولا ينسى حق ظهورها وبطونها في عسرها ويسرها وأما الذي عليه وزر فالذي يتخذها أشرًا وبطرًا وبذخًا ورياء الناس فذاك الذي هي عليه وزر . قالوا : فالحمر يارسول الله ؟ قال : ماأنزل الله علي فيها شيئًا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن

يعمل مثقال ذرة شرًا يره ﴾ وهذا الحديث العظيم حديث متفق عليه .
وأما سورة العاديات والقارعة والتكاثر والعصر والهمزة والفيل وقريش والماعون والكوثر فلم يصح فيها شيء سوى أنها من المفصل الذي فضل به نبينا محمد ﷺ
وسورة الكافرون من المفصل أيضا وكان النبي ﷺ يقرأ بها فى الركعة
الثانية من الركعتين قبل الوتر فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقرأ فى الركعتين التي يوتر بعدهما بسبح وقل يا أيها الكافرون . وقد سبق الكلام على هذا الحديث .
كما كان رسول الله ﷺ يقرأ بها وبـ قل هو الله أحد في ركعتي النافلة قبل الفجر وبعد المغرب ويقول : نعم السورتان فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت النبي ﷺ أكثر من عشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب ﴿قل ياأيها الكافرون ﴾ و ﴿قل هو الله أحد ﴾
أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم وهو حديث صحيح صححه ابن حبان وحسنه الترمذي وابن حجر وله طرق كثيرة .
وقد روى مسلم وغيره عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقرأ بهما وجاء ذلك عن أنس أيضا فيما رواه البزار والطحاوي وغيرهما . وروى أحمد وابن ماجه وغيرهما عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتين قبل الفجر وكان يقول : نعم السورتان هما يقرأ بهما في ركعتي الفجر قل هو الله أحد وقل ياأيها الكافرون . وهو حديث صحيح له طرق وصححه ابن خزيمة وابن حبان وقال ابن حجر : إسناده قوي .
وفي الباب عن ابن عباس عند الطبراني في الدعاء وعن ابن مسعود عند الترمذي وابن ماجه وغيرهما وعن رجل من الصحابة عند مسدد وعن عبد الله بن جعفر عند الطبراني وعن أبي أمامة عند الخلال في فضل قل هو الله أحد وفيه موقوفات كثيرة .
وسمع النبي ﷺ رجلا يقرأ قل ياأيها الكافرون في الركعة الأولى من ركعتي الفجر فامتدحه فقال: هذا عبد عرف ربه .
فعن جابر بن عبد الله أن رجلا قام فركع ركعتي الفجر فقرأ في الركعة الأولى قل ياأيها الكافرون حتى انقضت السورة فقال النبي ﷺ هذا عبد عرف ربه . وقرأ في الآخرة قل هو الله أحد حتى انقضت السورة فقال النبي ﷺ : هذا عبد آمن بربه .

أخرجه ابن حبان والطحاوي والبيهقي والذهبي في سير أعلام النبلاء وابن حجر في نتائج الأفكار وإسناده صحيح صححه ابن حبان وحسنه ابن حجر .

ويستحب قراءتها عند النوم وهي براءة من الشرك :

فعن نوفل الأشجعي ﷺ قال : دفع إلي النبي ﷺ ابنة أم سلمة وقال : إنما أنت ظئري – والظئر : الذي يعطف على غير ولده المرضع له – قال: فمكث ماشاء الله ثم أتيته فقال: ما فعلت الجارية أو الجويرية ؟ قال : قلت : عند أمها قال : فمجيء ما جئت ؟ قال : قلت : تعلمني ما أقول عند منامي فقال : اقرأ عند منامك ﴿ قل ياأيها الكافرون ﴾ قال : ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك .

وهو حديث صحيح على شرط مسلم أخرجه الإمام أحمد والترمذي وأبو داود وابن الأعرابي وأبو عبيد وغيرهم وله طرق كثيرة وقد صححه ابن حبان والحاكم وسكت الذهبي وقال ابن حجر : إسناده صحيح .

وروي نحوه عن جبلة بن حارثة أخرجه النسائي في اليوم والليلة وعن الحارث بن جبلة أخرجه أحمد وعن خارجة بن جبلة أخرجه أبو نعيم وعن زيد بن حارثة علقه ابن حجر في الإصابة .

وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الإشراك بالله ؟ قل ياأيها الكافرون عند منامكم.

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ : اقرأ قل يا أيها الكافرون عند منامك فإنها براءة من الشرك . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان .

وفي الباب عن البراء أخرجه ابن مردويه .

وعن سعيد بن جبير عند ابن الضريس مرسلا بسند حسن .

وقد روى البزار وغيره عن خباب عن النبي ﷺ أنه لم يأت فراشه قط إلا قرأ قل ياأيها الكافرون وروى أبو نعيم في معرفة الصحابة نحو ذلك أيضا عن عباد بن الأخضر وهي روايات فيها ضعف إلا أنها في معنى ماقدمناه .

وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : كنت أسير مع النبي ﷺ في ليلة ظلماء ذات ريح وركبتي تصيب ركبته أو تمس ركبته فسمع رجل يقرأ ﴿ قل ياأيها الكافرون ﴾ حتى ختمها فقال : قد برىء هذا من الشرك ثم سرنا فسمع آخر يقرأ ﴿ قل هو الله أحد﴾ حتى

ختمها فقال : أما هذا فقد غفر له فقصرت راحلتي لأنظر من الذى قرأ فأبشره بما قال رسول الله ﷺ فما دريت أى الناس هو فنظرت يمينا وشمال فما رأيت أحدا .

وهذا حديث صحيح أخرجه أحمد والنسائي في فضائل القرآن وابن الضريس والدارمي وغيرهم وقال البوصيري : إسناده صحيح .

وروى النسائي نحوه عن ابن مسعود .

وأخرج ابن أبي حاتم عن زرارة بن أوفى قال : كانت هذه السورة تسمى المقشقشة وأخرج البيهقي عن أبي عمرو بن العلاء قال : كانت قل ياأيها الكافرون المقشقشة أي أنها تبرئ من الشرك ويقال : قشقش البعير إذا رمى بجربه .

وروى ابن الضريس عن أبي الجوزاء أنه كان يقول : أكثروا من قراءة قل ياأيها الكافرون وابرءوا منهم .

ومن قرأها عدلت بربع القرآن : فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من قرأ ﴿ إذا زلزلت ﴾ عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ ﴿قل ياأيها الكافرون ﴾ عدلت له بربع القرآن ... الحديث . وقد سبق كلامنا عليه في فضل سورة الزلزلة .

وقد أخرج عبد بن حميد وغيره عن ابن عمر رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ فقرأ قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال : صليت بكم بثلث القرآن وبربع القرآن .

وفي الباب عن سعد بن أبي وقاص عند البزار وعن أبي هريرة عند ابن السني وعن رافع بن خديج عند ابن مردويه وفيه مراسيل عن بكر بن عبد الله المزني وإسحق بن أبي فروة .

وقرأ بها النبي ﷺ فى الركعة الأولى من ركعتي الطواف فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طاف بالبيت فرمل من الحجر الأسود ثلاثا ثم صلى ركعتين قرأ فيهما ﴿ قل ياأيها الكافرون ﴾ و ﴿قل هو الله أحد ﴾ . أخرجه مسلم وجماعة مطولا ومختصرا وهو جزء من حديث جابر الطويل في وصف حجته ﷺ .

وفي الباب عن أبي رافع أخرجه ابن مردويه وفيه مرسل عن ابن الحنفية وآخر عن يعقوب بن زيد التيمي .

وكان ﷺ يقرأ بها فى الركعة الثانية من الركعتين بعد الوتر : فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لما سألها سعد بن هشام عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل : ويصلى ركعتين وهو جالس

يقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وإذا زلزلت . وقد سبق في فضل سورة الزلزلة .

أما سورة النصر والمسد فلم يصح فيهما شيء سوى أنهما من المفصل الذي فضل به نبينا محمد ﷺ على سائر الأنبياء .

ونكتفي بهذا القدر في هذه المحاضرة وموعدنا المحاضرة القادمة مع فضائل المعوذات .

أسئلة :

المجموعة الأولى: ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة

١- المفصل نافلة للنبي صلى الله عليه وسلم لم يعط غيره من الأنبياء (صح)

٢- ثبت أن سورة الواقعة تنفي الفقر والفاقة (خطأ)

٣- سورة الواقعة من السور التي شيبت رسول الله (صح)

٤- سورة الملك هي السورة المجادلة عن صاحبها يوم القيامة (صح)

٥- يسن المواظبة على قراءة سورة الإنسان في الركعة الثانية من فجر يوم الجمعة (صح)

٦- تعدل إذا زلزلت الأرض نصف القرآن (صح)

٧- لم تثبت سورة بعينها تقرأ في ركعتي الطواف (خطأ)

٨- ورد في سورة العصر من الفضل ما لم يرد في غيرها من السور (خطأ)

٩- لم تأت سنة صحيحة في الترغيب في قراءة الكافرون عند النوم (خطأ)

١٠- سورة الكافرون براءة من الشرك (صح)

المجموعة الثانية: ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة

١- سمي المفصل مفصلا (لأنه مفصول عن باقي القرآن، لأنه نزل مفصلا، لكثرة الفصول بين السور بالبسملة)

٢- من فضائل ق أنه ﷺ كان يقرؤها (على الوفود، في صلاة العيد، في قيام الليل)

٣- يستحب قول"لا بشيء من نعمك ربنا نكذب ولك الحمد" عند (تجدد النعمة، قراءة القرآن ، قراءة فبأي آلاء ربكما تكذبان)

٤- في الركعة الثانية من الجمعة يستحب قراءة (المنافقون، الملك، المزمل)

٥- المانعة من عذاب القبر هي (يس، الملك ، سورة القيامة)

٦- من السور التي كان يقرؤها النبي صلى الله عليه وسلم قبل النوم سورة (ن، الحاقة، الملك)

٧- يسن القراءة في أولى الركعتين بعد الوتر بـ (الزلزلة، العاديات، الكافرون)

٨- "حسبي ألاّ أسمع من القرآن غيرها" قالها الصحابي عن سورة (الزلزلة ، الإخلاص ، الملك)

٩- الآية التي وصفت بالفاذة الجامعة هي (فمن يعمل مثقال ذرة....، إن الله يأمر بالعدل والإحسان...، فاتقوا الله ما استطعتم...)

١٠- قال ﷺ " هذا عبد عرف ربه" لمن قرأ في صلاته بـ (الكافرون، آية الكرسي، قل هو الله أحد)

المجموعة الثالثة:ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملأ الفراغ

١- يستحب قراءة .....في خطبة الجمعة على المنبر(ق، الجمعة، آيات الوعد والوعيد)

٢- يسن قراءة ....في الركعة الثانية من صلاة العيد(ق، اقتربت الساعة، سبح)

٣- من السنة قراءة......في الركعة الأولى من الجمعة (الجمعة، المطففين، القيامة)

٤- القراءة في ركعة الوتر بالمعوذات الثلاث مجتمعة ... (سنة ثابتة ، بدعة ، لم يثبت فيها حديث)

٥- سورة من ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى أدخلته الجنة هي...(تبارك الذي بيده الملك ، الحاقة، عم يتساءلون)

٦- في الحديث من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ ......(إذا زلزلت الأرض، إذا الشمس كورت، لا أقسم بيوم القيامة)

٧- يستحب قراءة ....في أول الركعتين في الوتر(الفجر، البلد، سبح)

٨- السورة التي وصفت بأنها جامعة هي.... (النحل، إذا زلزلت الأرض، الإخلاص)

٩- تسن قراءة سورتي.....في راتبتي الفجر والمغرب(الكافرون وقل هو الله أحد، المعوذتان، العصر والكوثر)

١٠- سورة.... تسمى المقشقشة (قل هو الله، التوبة، الكافرون)

المحاضرة الخامسة عشرة

فضائل السور والآيات ٥

***

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد

نستكمل حديثنا عن فضائل السور والآيات وفي هذه المحاضرة نستعرض ما ثبت في فضائل المعوذات .

والمعوذات يراد بها سورة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ، وإذا قيل المعوذتان فإنما يراد بهما قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فقط كما أنه إذا قيل القواقل أضيف للمعوذات قل يا أيها الكافرون .

وللمعوذات فضائل مشتركة وفضائل مستقلة لسورة قل هو الله أحد وللمعوذتين ولسورة الفلق على حدة .

فمن الفضائل المشتركة أنهن جميعا من المفصل الذي فضل به النبي ﷺ

ومنها أن من قرأهن مع الفاتحة بعد الجمعة سبعا سبعا في مجلسه حفظ إلى الجمعة الأخرى : فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : من قرأ بعد الجمعة الحمد والمعوذتين وقل هو الله أحد سبعا سبعا في مجلسه حفظ إلى الجمعة الأخرى . قال وكيع : فجربناه فوجدناه كذلك.

أخرجه ابن الضريس وابن أبي شيبة في مصنفه وأبو عبيد وإسناده صحيح وهو في حكم المرفوع إلى رسول الله ﷺ وفي الباب عن عائشة أيضا أخرجه ابن السني والخلال في فضائل الإخلاص وفيه عن أنس عند القشيري في الأربعين .

وروى أبو عبيد في فضائل القرآن عن ابن شهاب قال : من قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين بعد صلاة الجمعة حين يسلم الإمام قبل أن يتكلم سبعا سبعا كان ضامنا – قال أبو عبيد : أراه قال : على الله – هو وماله وولده من الجمعة إلى الجمعة .

ومن فضائل المعوذات الثلاث أن النبي ﷺ أمر بقراءتها في دبر كل صلاة فعن عقبة بن عامر أنه قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة .

وهذا حديث إسناده صحيح أخرجه أحمد في مسنده والترمذي وأبو داود والنسائي وابن حبان وابن السني وغيرهم وقد حسنه الترمذي وصححه ابن حبان .
ومن فضائلهن مجموعات أيضا أن الله تعالى ماأنزل مثلهن لا في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولافي الفرقان وعلى كل مسلم ألا تأتي عليه ليلة إلا قرأهن : فعن عقبة قال : لقيت رسول الله ﷺ فقال لي : ياعقبة بن عامر صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك قال : ثم أتيت رسول الله ﷺ فقال لي : يا عقبة بن عامر أملك لسانك وابك على خطيئتك وليسعك بيتك قال : ثم لقيت رسول الله ﷺ فقال لي : ياعقبة بن عامر ألا أعلمك سورا ما أنزلت فى التوراة ولا في الزبور ولافي الإنجيل ولافي الفرقان مثلهن ؟ لا يأتي عليك ليلة إلا قرأتهن فيها : قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس . قال عقبة: فما أتت علي ليلة إلا قرأتهن فيها وحق لي أن لا أدعهن وقد أمرني بهن رسول الله ﷺ .
وهذا الحديث العظيم المشتمل على فوائد عدة ونصائح غالية جاء من طرق منها طريق أخرجها الإمام أحمد في مسنده بسند حسن وهذا لفظها ، ومنها طريق أخرجها أيضا أحمد والطبراني وله طريق بلفظ مختصر عند الترمذي في سننه والطبراني وقال الترمذي : حديث حسن .
ومن هذه الفضائل أنهن من أذكار الصباح والمساء الهامة فإن من قرأهن حين يمسى وحين يصبح ثلاثا تكفيه من كل شيء ويستعاذ بهن في المطر والظلمة :
فعن عبد الله بن خبيب قال : خرجنا في ليلة مطيرة مظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ ليصلي لنا فأدركته فقال : قل . فلم أقل شيئا ثم قال : قل . فلم أقل شيئا قال : قل . قلت : يارسول الله وما أقول ؟ قال : قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء .
وهذا حديث إسناده حسن أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وعبد بن حميد وابن سعد وغيرهم وقال عنه الترمذي : حسن صحيح غريب .
كما أنهن رقية من لدغة العقرب فقد لدغت النبي ﷺ عقرب فرقى نفسه بهن : عن علي رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ ذات ليلة يصلي فوضع يده على الأرض فلدغته عقرب فتناولها رسول الله ﷺ بنعله فقتلها فلما انصرف قال : لعن الله العقرب لاتدع مصليا

ولاغيره أو نبيا ولاغيره ثم دعا بملح وماء فجعله في إناء ثم جعل يصبه على أصبعه حيث لدغته ويمسحها ويقرأ قل هو الله أحد ويعوذها بالمعوذتين .

وهذا حديث إسناده حسن أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في شعب الإيمان والطبراني في معجميه الصغير والأوسط وأبو نعيم في كتاب الطب والخلال في كتاب فضل قل هو الله أحد وغيرهم . وروى نحوه ابن عدي في الكامل من حديث ابن مسعود ، ورواه ابن سعد عن القاسم مرسلا بإسناد جيد .

وقد جاءت قصة لدغ العقرب للنبي ولعنه لها من حديث عائشة عند ابن ماجه في سننه ومن حديث أبي هريرة عند ابن عدي في الكامل . وجاء نحو ذلك أيضا عن جبلة بن الأزرق وعن أبي رافع وجاء مرسلا عن أيوب السختياني وإبراهيم بن مرة.

ومن فضائل المعوذات أيضا أن رسول الله ﷺ كان يرقي نفسه بهن قبل نومه كما كان يرقي نفسه وأهله بهن في حال المرض .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه فقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم نفث فيهما يقرأ المعوذات وينفث ثم يمسح بهما ماستطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات وإذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات وكان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث ومسح عنه بيده فلما مرض مرضه الذي مات فيه كان رسول الله ﷺ ينفث على نفسه فلما اشتد وجعه جعلت أنفث عليه بالمعوذات الذي كان ينفث وأمسحه بيد نفسه وفي رواية بيمينه رجاء بركتها لأنها كانت أعظم بركة من يدي وكان يأمرني أن أفعل ذلك . وهذا حديث متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما .

وفي الباب عن أنس رضي الله عنه مقتصرا على قل هو الله أحد أخرجه الدارقطني في الأفراد والخطيب البغدادي في التاريخ .

وعن إبراهيم النخعي أنهم كانوا يستحبون أن يقرؤوا هؤلاء السور كل ليلة ثلاث مرات وفي رواية : كانوا يعلمونهم إذا أووا إلى فراشهم أن يقرؤوا المعوذتين . قال النووي : إسناده صحيح على شرط مسلم . كما روى البخاري عن ابن شهاب الزهري أنه كان يطبق هذا الحديث إذا أتى فراشه .

وقد روى الطبراني قصة عن ابن مسعود يحسن هنا ذكرها فعن أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود عن أبيه أنه رأى في عنق امرأة من أهله سيرا فيه تمائم فمده مدا شديدا حتى قطع السير وقال : إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك ثم قال : التولة والتمائم والرقى لشرك فقالت امرأة : إن إحدانا ليشتكي رأسها فتسترقي فإذا استرقت ظننت أن ذلك قد نفعها فقال عبد الله : إن الشيطان يأتي إحداكن فيخش في رأسها فإذا استرقت خنس فإذا لم تسترق نخس فلو أن إحداكن تدعو بماء فتنضحه في رأسها ووجهها ثم تقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم تقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس نفعها ذلك إن شاء الله .

ونبدأ حديثنا عن فضل قل هو الله أحد خاصة وهذه السورة العظيمة من السور التي حظيت بفضائل جمة وخصائص مهمة ولذا أفردها بالتصنيف العلماء ومنهم الحافظ أبو محمد الحسن بن محمد الخلال المتوفي سنة ٤٣٩هـ حيث صنف فيها كتابه من فضائل سورة الإخلاص ومالقارئها وقد طبع الكتاب بتحقيقي سنة ١٤١٢هـ واشتمل على ثمانية وخمسين حديثا ولم يستوعب كل ماورد في فضلها ونحن إن شاء الله سنقتصر على ذكر الصحيح منها هنا والله المستعان .

وسورة الإخلاص هي سورة التوحيد وهي السورة الوحيدة الخالصة لله سبحانه وتعالى فلا أحكام فيها ولا أخبار ولا ذكر لشيء سوى الله جل وعلا وصفاته وتوحيده وهذه هي أولى فضائلها فهي نسبة الله عز وجل :

فعن أبي بن كعب رضى الله عنه أن المشركين قالوا : يامحمد انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل قل هو الله أحد الله الصمد ...الخ

وهذا حديث إسناده حسن أخرجه أحمد والترمذي وابن جرير في تفسيره وكذا ابن أبي حاتم والحاكم والواحدي في أسباب النزول وغيرهم وقال الحاكم : صحيح الإسناد وسكت الذهبي وصححه أيضا ابن خزيمة .

والحديث له تكملة في تفسير معنى كلمات السورة لعلها من الراوي عن أبي بن كعب أو من هو دونه .

وقد جاء نحوه عن جابر وفيه أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال : انسب لنا ربك فأنزلها الله عز وجل إلى آخرها وهو حديث حسن أخرجه أبو يعلى وابن جرير وأبو نعيم في الحلية وغيرهم .

وفي الباب عن ابن مسعود بلفظ : قالت قريش لرسول الله ﷺ : انسب لنا ربك ...أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ في العظمة .

وأخرج الطبراني والديلمي عن أبي هريرة مرفوعا : لكل شيء نسبة ونسبة الله قل هو الله أحد.

ورويت روايات تؤيد ما ذكرناه من كون سورة الإخلاص هي نسبة الله عز وجل ومن ذلك ماروواه ابن عدي والسهمي في تاريخ جرجان عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : ألا أدلكم على سورة قصيرة ثوابها عظيم وذخرها كريم وهي نسبة ربكم؟ قالوا : بلى . قال : قل هو الله أحد .

وأخرج الخلال في فضل سورة الإخلاص وأبو الشيخ في العظمة عن أنس حديثا طويلا وفيه عن النبي ﷺ قال : وهذه السورة ليس فيها ذكر جنة ولا نار ولا دنيا ولا آخرة ولا حلال ولا حرام انتسب الله إليها فهي له خالصة ... الخ .

وفيه مراسيل عن أبي العالية وعن أبي وائل .

ووردت روايات فيها أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ فسألوه عن نسبة ربه ونعته بنحو ماتقدم عن المشركين ومن ذلك ماروواه ابن أبي عاصم في السنة وغيره أن عبدالله بن سلام قال لرسول الله ﷺ : انعت لنا ربك فجاء جبريل بالسورة .

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس أن اليهود جاءت للنبي ﷺ منهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب فقالوا : يامحمد صف لنا ربك ... فذكر نزولها .

وفيه مراسيل عن قتادة والضحاك وسعيد بن جبير .

وروى الخلال بسند صحيح عن عامر بن عبد قيس قال : من قرأ قل هو الله أحد فلا يقرأ معها شيئا من القرآن استقلالا بها لأنها نسبة الرحمن عز وجل من أولها إلى آخرها .

وأخرج ابن الضريس في فضائل القرآن بإسناد صحيح عن الربيع بن خثيم قال : سورة من كتاب الله يراها الناس قصيرة وأراها عظيمة بحتا لله بحتا ليس بها خلط فأيكم قرأها فلا يجمعن إليها شيئا استقلالا بها فإنها مجزئة .

ومن فضائل سورة الإخلاص العجيبة أن من قرأها عشر مرات بنى له الله قصرا في الجنة ومن استكثر فالله أكثر وأطيب :

فعن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أستكثر يارسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : الله أكثر وأطيب .

وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد وابن السني والطبراني وهو حديث حسن له شاهد عن سعيد بن المسيب مرسلا أن نبي الله ﷺ قال : من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بني له بها قصر في الجنة ومن قرأ عشرين مرة بني له بها قصران في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثة قصور في الجنة فقال عمر بن الخطاب : والله يارسول الله إذن لنكثرن قصورنا فقال رسول الله ﷺ : الله أوسع من ذلك .

وهذا المرسل إسناده في غاية الصحة وقد أخرجه الدارمي في سننه .

وجاء موصولا عن أبي هريرة بنفس اللفظ أخرجه ابن المظفر في الفوائد المنتقاة والغرائب الحسان .

وأخرج الخلال في فضل سورة الإخلاص عن أبي هريرة حديثا طويلا وفيه : ومن قرأها عشر مرار في سوقه أو في حاجته بنى الله له قصرا من لؤلؤة بيضاء على عامود من ياقوت أصفر ...الخ قال : فقال عمر : يارسول الله إذا نستكثر من القصور قال : فأقبل عليه بوجهه وهو يقول : الله أكثر وأطيب ياعمر . يقول ذلك ثلاث مرار . قال : فقال عمر : والله يارسول الله ما أردت بذلك إلا أن لا يتكل الناس فقال : صدقت ياعمر .

وأخرج أيضا عن خليجة الفهري نحو حديث أبي هريرة .

ومما روي في بناء القصور لقراء سورة الإخلاص أيضا ما أخرجه ابن عساكر عن أنس ضمن حديث طويل قال قال رسول الله ﷺ : من قرأ قل هو الله أحد ... كتب له بكل ثلاث منها عدل قراءة القرآن وبني له بكل عشر منها برج في الجنة والبرج قصر ...الخ .

وله طريق آخر مطول جدا أخرجه الإسماعيلي في معجمه

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عمر مرفوعا : من قرأ قل هو الله إحدى عشرة مرة بنى الله له قصرا في الجنة فقال عمر : والله يارسول الله إذن نستكثر من القصور فقال رسول الله ﷺ : فالله أمن وأفضل أو قال : أمن وأوسع . وقد أخرجه أبو موسى المديني من حديث خالد بن زيد . وأخرجه حميد بن زنجويه بلفظ : عشرين مرة .

وفي الباب أحاديث كثيرة أخرى في قراءة قل هو الله أحد وإثابة قارئها بالقصور غير أنها مع ضعفها تختلف في العدد والكيفية ومن ذلك مارواه ابن عدي عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله أحد بنى الله عز وجل له في الجنة قصرين لافصل فيهما ولا وصم .

كما رويت في الباب مراسيل منها عن إسحق بن أبي فروة قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن ومن قرأها عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة فقال أبو بكر الصديق : إذا نستكثر يارسول الله فقال رسول الله ﷺ : الله أكثر وأطيب ردها مرتين . أخرجه الخلال وابن الضريس مطولا . وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن هلال قال : من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بني له برج في الجنة .

ولا يفوتنا أن نذكر أن سورة الإخلاص من السور التي يسن قراءتها في ركعتي الطواف للمعتمر والحاج لما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ضمن حديث الحج الطويل حيث ذكر أن رسول الله ﷺ قرأ فيهما قل يأيها الكافرون وقل هو الله أحد .

ومن فضائل سورة الإخلاص العظيمة أن من دعا بما تضمنته من أسماء فقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب : فعن بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع رجلا يقول : اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . فقال رسول الله ﷺ : لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب .

وهذا الحديث صحيح أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم وله طرق وقال فيه الترمذي : حديث حسن غريب .

واسم الله الأعظم تقدم معنا أنه في ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه وفهم بعض الرواة أنه الحي القيوم وروي غير ذلك في أحاديث لا تتعلق بفضائل السور لا نطيل بذكرها إلا أن الأرجح الذي رجحه جمع من العلماء أن اسم الله الأعظم هو لفظ الجلالة : الله . فهو الذي تجتمع عليه جميع الأحاديث وهو حري بذلك فهو الاسم الوحيد الذي لايشاركه فيه أحد وهو الجامع لجميع الأسماء والصفات وهو الاسم الذي لايمكن أن يثنى أو يجمع لأنه على الأرجح غير مشتق بخلاف غيره من الأسماء .

وفي الباب حديث آخر عن محجن بن الأدرع أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وفيه أن النبي ﷺ دخل المسجد فإذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد وهو يقول : اللهم إني أسألك بالله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم . فقال نبي الله ﷺ : قد غفر له قد غفر له قد غفر له ثلاث مرات .

وهذا الحديث صححه الحاكم على شرط الشيخين وسكت الذهبي .

ومن فضائل سورة الإخلاص أن من أحبها دخل الجنة ومن حبها قراءتها في كل ركعة من الصلاة قبل القراءة بغيرها فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ لهم في الصلاة فقرأ بها افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم يقرأ بسورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه أصحابه فقالوا : إنك تقرأ بهذه السورة ثم لاترى أنها تجزيك حتى تقرأ بسورة أخرى ، فإما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بسورة أخرى قال: ماأنا بتاركها ، إن أحببتم أن أؤمكم بها فعلت وإن كرهتم تركتكم . وكانوا يرونه أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره ، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال : يا فلان ما يمنعك مما يأمر به أصحابك وما يحملك أن تقرأ هذه السورة في كل ركعة ؟ فقال : يارسول الله : إني أحبها . فقال الرسول ﷺ : إن حبها أدخلك الجنة .

وهذا حديث صحيح له طرق أخرجه البخاري معلقا بصيغة الجزم وما أخرجه هكذا يكون صحيحا ولكن ليس على شرطه في كتابه كما قرره الحافظ ابن حجر وأخرجه أيضا أحمد والترمذي وابن نصر وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم . وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب وصححه ابن حبان وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

وروى ابن منده عن ابن عباس أن صاحب هذه القصة هو كلثوم بن الهدم .

كما أن من أحب القراءة بها أحبه الله وهي صفة الرحمن ومن حب القراءة بها قراءتها في كل ركعة بعد القراءة بغيرها : فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال

النبي ﷺ : أخبروه أن الله تعالى يحبه . وهذا حديث متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما .

وسورة الإخلاص سمع النبي ﷺ رجلا يقرأ بها فقال : وجبت له الجنة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلا يقرأ: قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . فقال رسول الله ﷺ : وجبت . فسألته : ماذا يارسول الله ؟ فقال : الجنة . فقال أبو هريرة : فأردت أن أذهب إليه فأبشره ثم فرقت أن يفوتني الغداء مع رسول الله ﷺ فآثرت الغداء مع رسول الله ﷺ ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب .

وهذا الحديث إسناده صحيح وهو من أفراد الإمام مالك أخرجه في الموطأ وكذا أخرجه أحمد والنسائي والترمذي وأبو عبيد والحاكم وغيرهم وقال الترمذي : حسن صحيح . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت الذهبي .

وللحديث شاهد عن أبي أمامة الباهلي أخرجه أحمد والطبراني قال : مر رسول الله ﷺ برجل وهو يقرأ قل هو الله أحد فقال : أوجب هذا . أو : وجبت له الجنة .

وفي الباب أيضا عن أنس قال : كنت عند النبي ﷺ فجاءه رجل من الأنصار فقال : فلان قرأ قل هو الله أحد مائة مرة قال : اذهب فبشره بالجنة .

أخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال .

وكما سمع النبي ﷺ رجلا يقرأ سورة قل هو الله أحد فأوجب له الجنة سمع أيضا رجلا يقرأ بها في الركعة الثانية من ركعتي الفجر فقال هذا عبد آمن بربه :

فعن جابر رضي الله عنه أن رجلا قام فركع ركعتي الفجر فقرأ في الركعة الأولى : قل يا أيها الكافرون حتى انقضت السورة فقال النبي ﷺ : هذا عبد عرف ربه . وقرأ في الآخرة : قل هو الله أحد حتى انقضت السورة فقال النبي ﷺ : هذا عبد آمن بربه .

وهذا حديث إسناده صحيح أخرجه ابن حبان في صحيحه والطحاوي في شرح معاني الآثار والبيهقي في شعب الإيمان والذهبي في سير أعلام النبلاء وابن حجر في نتائج الأفكار وقد صححه ابن حبان وحسنه ابن حجر وقال محقق سير أعلام النبلاء : رجاله ثقات ولم أره في مصدر آخر .

وقراءة قل هو الله أحد في الركعة الثانية من ركعتي الفجر سنة فقد كان النبي ﷺ يقرأ بها وبقل يأيها الكافرون في ركعتي الفجر والمغرب يعني سنتيهما ويقول : نعم السورتان .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد . أخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت النبي ﷺ أكثر من عشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد .

وهذا الحديث الصحيح له طرق كثيرة منها ماأخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة في مصنفيهما والطيالسي في مسند وأحمد والنسائي والترمذي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم . وقد حسنه الترمذي وصححه ابن حبان وحسنه ابن حجر وقال أحمد شاكر : حديث صحيح ليس له علة .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتين قبل الفجر وكان يقول: نعم السورتان هما يقرأ بهما في ركعتي الفجر قل هو الله أحد وقل ياأيها الكافرون . وهذا حديث حسن أخرجه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة وغيرهم. وصححه ابن خزيمة وابن حبان وقال ابن حجر : إسناده حسن .

وروى الترمذي وابن ماجه وابن نصر وغيرهم عن ابن مسعود قال : ماأحصي ماسمعت رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين قبل الفجر وفي الركعتين بعد المغرب بقل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد .

وروى مسدد في مسنده عن رجل من الصحابة قال : سمعتها بضعا وعشرين مرة يقول : نعم السورتان يقرأ بهما في الركعتين الأحد الصمد وقل ياأيها الكافرون .

وروى الحسن بن سفيان في مسنده والخلال في فضل قل هو الله أحد عن أبي أمامة قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى بالحمد وقل ياأيها الكافرون وفي الثانية بالحمد وقل هو الله أحد لا يعداهن .

وفي الباب أحاديث أخرى عن أنس وعبد الله بن جعفر وغيرهما . وروي فعل ذلك عن جمع من الصحابة والتابعين منهم ابن مسعود وابن عباس وابن سيرين وغيرهم .

كما سمع أيضا النبي ﷺ رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال : أما هذا فقد غفر له :

فعن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : كنت أسير مع النبي ﷺ في ليلة ظلماء ذات ريح وركبتي تصيب أو تمس ركبته فسمع رجلا يقرأ قل يا أيها الكافرون حتى ختمها فقال : قد برئ هذا من الشرك ثم سرنا فسمع آخر يقرأ قل هو الله أحد حتى ختمها فقال : أما هذا فقد غفر له . فقصرت راحلتي لأنظر من الذي قرأ فأبشره بما قال رسول الله ﷺ فمادريت أي الناس هو فنظرت يمينا وشمالا فما رأيت أحدا .

وهذا حديث صحيح أخرجه النسائي وابن الضريس والدارمي وغيرهم وقال البوصيري : إسناد صحيح . وجاء نحوه عن ابن مسعود عند النسائي أيضا .

ومن الفضائل العجيبة لسورة قل هو الله أحد أن أحد الصحابة واسمه معاوية بن معاوية كان يقرؤها قائما وقاعدا وراكبا وماشيا فلما توفي نزل جبريل في سبعين ألفا من الملائكة ووضع جناحه على الجبال فتواضعت فصلى عليه النبي ﷺ وهو بتبوك ومعه الملائكة عليهم السلام :

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام وهو بتبوك فقال : يامحمد اشهد جنازة معاوية بن معاوية المزنى قال : فخرج رسول الله ﷺ ونزل جبريل عليه السلام في سبعين ألفا من الملائكة فوضع جناحه اليمين على رؤوس الجبال فتواضعت ووضع جناحه الأيسر على الأرضين فتواضعت حتى نظر مكة والمدينة فصلى عليه رسول الله ﷺ وجبريل والملائكة عليهم السلام فلما فرغ قال : ياجبريل بم بلغ معاوية هذه المنزلة ؟ قال : بقراءته قل هو الله أحد قائما وقاعدا وراكبا وماشيا .

وهذا حديث صحيح أخرجه جمع منهم ابن السني في اليوم والليلة والطبراني وأبو أحمد الحاكم في فوائده وابن عساكر في تاريخ دمشق والخلال في فضائل سورة الإخلاص وإسناده لا مغمز فيه وإن خفي أحد رواته على بعض أهل العلم وهو نوح بن عمرو بن حوي الدمشقي وقد وثقه الإمام أبو زرعة في إسناد ابن السني وله ترجمة جيدة في تاريخ دمشق تدل على معرفة أهل العلم له ونقلهم عنه الحديث والشعر وضبطهم اسمه ونسبه ووفاته وغير ذلك .

وللحديث طريق آخر عن أنس بلفظ : نزل جبرئيل على النبي ﷺ فقال : يامحمد مات معاوية بن معاوية المزني أتحب أن تصلي عليه ؟ قال : نعم فضرب بجناحيه فلم يبق أكمة ولا شجرة إلا تضعضعت فرفع سريره حتى نظر إليه فصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة كل صف

سبعون ألف ملك فقال : ياجبرئيل بم نال معاوية هذه المنزلة ؟ قال : بحب قل هو الله أحد وقراءته إياها جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وعلى كل حال .

وحديث أنس في صلاة النبي ﷺ على معاوية بن معاوية المزني وهو بتبوك حديث حسن لغيره له ثلاث طرق منها ماأخرجه سمويه في فوائده وأبو يعلى وابن الضريس والطبراني والبيهقي في دلائل النبوة وقال ابن حجر في ترجمة أحد رواته : حديثه علم من أعلام النبوة وله طرق يقوي بعضها بعضا .

ومنها ما أخرجه ابن الضريس أيضا وأحمد بن منيع في مسنده وابن أبي الدنيا في كرامات الأولياء وجماعة كثير ، ومنها ماأخرجه ابن مندة .

وفي الباب حديث عن أبي هريرة أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة .

وفيه ثلاثة مراسيل : الأول عن الحسن البصري بنحو حديث أبي أمامة أخرجه البيهقي في شعب الإيمان والبغوي في معجم الصحابة وغيرهما .

والثاني عن الهيثم بن جهم حيث سأله ولده أين كان النبي ﷺ قال : بغزوة تبوك بالشام ومات معاوية بالمدينة ورفع له سريره حتى نظر إليه وصلى عليه . أخرجه البيهقي في دلائل النبوة .

والثالث عن سعيد بن المسيب قال : كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له: معاوية بن معاوية يحبه قال : فخرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو مريض ثقيل فسار رسول الله ﷺ عشرة أيام ثم لقيه جبريل فقال : يامحمد إن معاوية بن معاوية توفي ، فحزن النبي ﷺ حزنا شديدا فقال : يامحمد أيسرك أن أريك قبره ؟ قال : إي والله ياجبريل . قال : فضرب بجناحه اليمين الأرض وجناحه الأيسر الأرض فلم يبق جبل إلا انخفض حتى بدا له قبره فنظر إليه . فقال : يامحمد أيسرك أن تصلي عليه ؟ فقال : إي والله ياجبريل . فاحتمله بجناحه فوضعه بين يدي قبره وكبر رسول الله وجبريل عن يمينه وصفوف الملائكة سبعين ألفا حتى إذا فرغ من صلاته قال : ياجبريل بم نول معاوية بن معاوية من الله هذه المنزلة ؟ قال : بقل هو الله أحد كان يقرؤها قائما وقاعدا وماشيا ونائما ولقد كنت أخاف على أمتك يامحمد حتى نزلت هذه السورة . أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن .

ومن فضائل سورة الإخلاص أن قراءتها مرة واحدة تغفر ذنوب سنة فقد ثبت أن من قرأها خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة ومن قرأها مائتي مرة غفر له ذنوب مائتي سنة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة .

وهذا الحديث الحسن أخرجه الدارمي وابن نصر وأبو يعلى في مسنده وقد ضعفه بعض أهل العلم لوجود تصحيف في اسم أحد رواته واسمه محمد أبو رجاء .

وعن أنس أيضا عن النبي ﷺ قال : من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة غفر له ذنب مائتي سنة.

وهذا الحديث حسن أخرجه ابن الضريس والخطيب البغدادي والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهم من ثلاث طرق عن ثابت البناني عن أنس .

وله طرق أخرى كثيرة مع اختلاف في الألفاظ فقد أخرجه الترمذي وغيره بلفظ : مائتي مرة محي عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين .

وأخرجه ابن السني وبحشل في تاريخ واسط بنحوه وفيه زيادات .

وأخرجه أبو يعلى وابن عدي وغيرهما بلفظ : كتب له ألف وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين .

وأخرجه ابن عدي وأبو نعيم وغيرهما في حديث طويل وفيه : إذا اجتنب خصالا أربعة .

وأخرجه الإسماعيلي في معجمه بلفظ : غفر له ذنوب خمسين سنة إلا الدماء والأموال ... في حديث طويل

وله ألفاظ مطولة أيضا عند الخلال في فضل سورة الإخلاص .

وقد روي في الباب بعض الأحاديث بنفس المعنى أو نحوه ومن ذلك ماأخرجه ابن الضريس عن ابن عباس بلفظ : من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة في أربع ركعات في كل ركعة خمسن مرة غفر له ذنب مائة سنة خمسين مستقبلة وخمسين مستأخرة

وعن البراء : من صلى الغداة في جماعة فقرأ وهو مستقبل القبلة لايشغله شيء قل هو الله أحد مائة مرة ... وفيه : وكلما قال : قل هو الله أحد غفر له ذنب سنة ...الخ الحديث أخرجه ابن أبي حاتم في العلل .

وعن واثلة بن الأسقع نحو حديث البراء أخرجه ابن السني والحاكم في المستدرك والطبراني وغيرهم .وقد روى ابن الضريس حديثا مرسلا عن الحسن إلا أنه بلفظ : من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة كان له من الأجر عبادة خمسمائة سنة .

والثابت من كل ذلك ماقررناه أن من قرأها مرة غفر له ذنوب سنة فلله الحمد والمنة .
وسورة قل هو الله أحد هي السورة التي كان النبي ﷺ يقرأ بها في ركعة الوتر وربما أضاف إليها المعوذتين فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقرأ في الركعتين التي يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الأعلى وقل يأيها الكافرون ويقرأ في الوتر بقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس .
وقد سبق الحديث عن ذلك في المحاضرة السابقة .
وفي الباب مراسيل وموقوفات كلها تؤكد استحباب قراءة تلك السورة العظيمة في ركعة الوتر .
ومن أعظم فضائل سورة الإخلاص أنها تعدل ثلث القرآن وقد بلغ الحديث بذلك حد التواتر عند المحققين من أهل العلم
فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا سمع رجلا يقرأ من السحر قل هو الله أحد كلها يرددها لا يزيد عليها فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها فقال رسول الله ﷺ : والذى نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن .
وهذا الحديث الصحيح قد رواه الإمام مالك في موطئه ومن طريقه أخرجه جماعة منهم الإمام البخاري في صحيحه وغيره .
وقد بينت الطرق أن السامع هو أبو سعيد الخدري والقارئ هو قتادة بن النعمان أخوه لأمه ولكن أبا سعيد أبهم نفسه وأخاه .
وجاء أيضا رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري وفيها أن النبي ﷺ قال : أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ قال : فشق ذلك على أصحابه فقالوا : من يطيق ذلك ؟ قال : يقرأ قل هو الله أحد فهي ثلث القرآن .
وهذا أيضا أخرجه البخاري في صحيحه وغيره .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن . فحشد من حشد ثم خرج فقرأ : قل هو الله أحد الله الصمد ، حتى ختمها ثم دخل. فقال بعضنا لبعض:هذا خبر جاءه من السماء فذلك الذى أدخله . ثم خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال : إني قد قلت لكم : إني سأقرأ عليكم ثلث القرآن وإنها تعدل ثلث القرآن .

وهذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه وله ألفاظ وطرق عند غيره ، كلها تفيد أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن .

ومن فضائل المعوذتين مجموعتين أنهما لما نزلتا على رسول الله ﷺ قال : أنزلت علي آيات لم ير مثلهن قط : فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ألم تر آيات أنزلت علي الليلة لم ير مثلهن قط يعني المعوذتين ثم قرأهما قل أعوذ برب الفلق إلى آخر السورة وقل أعوذ برب الناس إلى آخر السورة . أخرجه مسلم في صحيحه .

كما أنهما يتعوذ بهما في الريح والظلمة الشديدة وهما من خير سورتين قرأ بهما الناس لم يقرأ بمثلهما ولاسأل سائل ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما وليقرأهما المسلم كلما نام وقام . عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : بينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بأعوذ برب الفلق وأعوذ برب الناس وبينا أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب إذ قال : ألا تركب ياعقبة؟ فأجللت رسول الله ﷺ أن أركب مركب رسول الله ثم قال : ألا تركب ياعقبة ؟ فأشفقت أن يكون معصية فنزل وركبت هنيهة ونزلت وركب رسول الله ﷺ ثم قال : ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس قلت : بلى ، بأبي أنت وأمي . فقال: ياعقبة قل . فقلت : ماذا أقول يارسول الله ؟ فسكت عني ثم قال : ياعقبة قل . قلت : ماذا أقول يارسول الله ؟ فسكت عني فقلت : اللهم اردده علي فقال : ياعقبة قل . قلت : ماذا أقول يارسول الله ؟ فقال : قل أعوذ برب الفلق فقرأتها حتى أتيت على آخرها ثم قال : قل : قلت : ماذا أقول يارسول الله؟ قال: قل أعوذ برب الناس فقرأتها حتى أتيت على آخرها فأقرأني قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم قال عند ذلك : ماسأل سائل ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما فلم يرني سررت بهما جدا فلما نزل لصلاة الصبح فأقيمت الصلاة فتقدم فقرأ بهما في الصبح للناس ثم مر بي فقال : كيف رأيت ياعقبة بن عامر ؟ اقرأ بهما كلما نمت وقمت .

أخرجه أحمد والنسائي وأبو داود وغيرهم من طرق كثيرة وهو حديث صحيح .

ولما سحر رسول الله ﷺ أتاه جبريل بالمعوذتين وأمره أن يحل العقد ويقرأ آية فجعل يقرأ ويحل حتى قام كأنما أنشط من عقال : فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : سحر النبي ﷺ رجل من اليهود قال : فاشتكى لذلك أياما فأتاه جبريل عليه السلام بالمعوذتين وقال : إن رجلا

من اليهود سحرك ؛ عقد لك عقدا والسحر في بئر فلان قال : فأرسل رسول الله ﷺ عليا فاستخرجوها فجاء بها قال : فأمره أن يحل العقد ويقرأ آية فجعل يقرأ ويحل حتى قام النبي ﷺ كأنما أنشط من عقال . قال : فما ذكر رسول الله ﷺ لذلك اليهودي شيئا مما صنع به قال: ولا أراه وجهه .

وهذا الحديث الصحيح أخرجه أحمد والنسائي وعبد بن حميد وصححه الحاكم وأصله في صحيح البخاري من حديث عائشة بدون ذكر المعوذتين ورواه سفيان بن عيينة في تفسيره بإسناد صحيح فذكر فيه نزول قل أعوذ برب الفلق .

وللحديث رواية مطولة عن عائشة عند البيهقي في الدلائل وعن ابن عباس عند ابن سعد وغيره ، وعن أنس عند ابن مردويه .

وأما سورة الفلق فقد ثبت أنه لن يقرأ أحد سورة أحب إلى الله عز وجل ولا أبلغ عنده منها ومن استطاع ألا تفوته في صلاة فليفعل : عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : تبعت رسول الله ﷺ وهو راكب على بغلته البيضاء فجعلت يدي على ظهر قدمه ، فقلت : يارسول الله أقرئني آيا من سورة هود وآيا من سورة يوسف فقال النبي ﷺ : ياعقبة بن عامر إنك لن تقرأ سورة أحب إلى الله ولا أبلغ عنده من أن تقرأ قل أعوذ برب الفلق فإن استطعت أن لا تفوتك في صلاة فافعل .

وهذا الحديث الصحيح أخرجه أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم وغيرهم وقد صححه ابن حبان والحاكم وسكت الذهبي وللحديث طرق .

أسئلة :

المجموعة الأولى: ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة

١- يقصد بالمعوذات قل هوالله أحد، قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس (صح)

٢- من خصائص المعوذات أنهن يقرأن في أدبار الصلوات المكتوبات (صح)

٣- ليست المعوذات من أذكار الصباح والمساء (خطأ)

٤- المعوذات رقية شرعية من لدغة العقرب (صح)

٥- من السنة التقريرية أن يقرأ الإمام سورة الإخلاص قبل أو بعد قراءته بعد الفاتحة (صح)

٦- سورة الإخلاص لا يكتفي بقراءتها في الصلاة بعد الفاتحة (خطأ)

٧- من سأل الله بالأسماء الحسنى الواردة في سورة الإخلاص فقد سأله باسمه الأعظم (صح)

٨- حب سورة الإخلاص مما يدخل الجنة (صح)

٩- كانت المعوذتان سببا في فك سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم (صح)

١٠- ما أنزل الله مثل المعوذات في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل (صح)

المجموعة الثانية : ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة

١- القواقل هي (كل سورة فيها قل، كل سورة تبدأ بقل ، المعوذات والكافرون)

٢- كان رسول الله ﷺ يقرأ سورة ..... في ركعة الوتر(الزلزلة ، الإخلاص ، الكافرون)

٣- كان رسول الله ﷺ يرقي نفسه قبل نومه بـ (آية الكرسي، المعوذات، الفاتحة)

٤- السورة التي تعتبر نسبة الله هي (الكافرون، الإخلاص، الأنعام)

٥- قيل : الراجح في اسم الله الأعظم أنه لفظ الجلالة لأنه (أخف على اللسان، أحب الأسماء إلى الله ، الاسم الوحيد الذي لا يشاركه فيه أحد)

٦- من قرأ المعوذات حين يمسي وحين يصبح (تكفيه كل شيء ، دخل الجنة ، كأنما قرأ ثلث القرآن)

٧- خير سورتين قرأهما الناس (الفاتحة والبقرة، الكافرون والإخلاص، المعوذتان)

٨- عدد المرات التي يقرأ فيها المعوذات صباحا ومساء (سبع ، ثلاث ، مرة واحدة)

٩- أحب سورة إلى الله وأبلغ عنده هي (الفلق، الإخلاص، الفاتحة)

١٠- عندما لدغت النبي ﷺ العقرب قرأ على نفسه (المعوذات ، المعوذتين ، آية الكرسي)

المجموعة الثالثة:ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملأ الفراغ

١- من أذكار الصباح والمساء......(المعوذات، الواقعة ، فاتحة سورة البقرة)

٢- يستعاذ بـ..........في المطر والظلمة(الفاتحة ، المعوذات، آخر البقرة)

٣- ممن أفرد بالتصنيف فضائل سورة الإخلاص (أبو بكر الآجري، ابن أبي عاصم، محمد بن الحسن الخلال)

٤- من قرأ سورة الإخلاص ......مرات بنى الله له قصرا في الجنة(سبع ، ثلاث ، عشر)

٥- الراجح أن اسم الله الأعظم هو ..... (الله، الحي القيوم، الحنان المنان)

٦- من قرأ المعوذات مع .... سبعا سبعا بعد صلاة الجمعة حفظ للجمعة الأخرى (الفاتحة ، آية الكرسي ، قل يا أيها الكافرون)

٧- بلغ الحديث حد التواتر عند المحققين من أهل الحديث في أن قل هو الله تعدل...... القرآن(ربع، ثلث، نصف)

٨- لما نزلت....قال صلى الله عليه وسلم: أنزلت علي آيات لم ير مثلهن قط(المعوذتان، المعوذات، الإخلاص)

٩- من السنة قراءة .....في الركعة الثانية من ركعتي الطواف (آية : واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، سورة الكافرون ، سورة الإخلاص)

١٠- كان رسول الله ﷺ يرقي نفسه وأهله .... حال المرض (بالفاتحة ، بالمعوذات ، بآية الكرسي)

المحاضرة السادسة عشرة

ضعيف الفضائل وخصائص القرآن ومفرداته

***

الحمد لله والصلاة السلام على رسول الله

أما بعد فقد انتهينا من الحديث عما صح من أحاديث مرفوعة في فضائل سور وآيات القرآن وبقي معنا أن نشير إلى بعض الأحاديث الضعيفة التي ذكرها الإمام السيوطي في الإتقان في الأبواب المعنية بهذا المبحث

ومن ذلك ما أخرجه عبد الله في مسنده من حديث ابن عباس   فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن

وأخرج البيهقي في الشعب من طريق الصلصال   من قرأ سورة البقرة توج بتاج في الجنة

وأخرج أبو عبيد عن عمر بن الخطاب موقوفا   من قرأ البقرة وآل عمران في ليلة كتب من القانتين

وأخرج البيهقي من مرسل مكحول   من قرأ سورة البقرة وسورة آل عمران يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث علي   لا يحفظ منافق سورا براءة وهود ويس والدخان وعم يتساءلون

وأخرج أبو عبيد من مرسل المسيب بن رافع   تجيء ألم السجدة يوم القيامة لها جناحان تظل صاحبها فتقول لا سبيل عليك لا سبيل عليك

وأخرج عن ابن عمر موقوفا قال   في تنزيل السجدة وتبارك الملك فضل ستين درجة على غيرهما من سورة القرآن

وأخرج الطبراني من حديث أنس   من دام على قراءة يس كل ليلة ثم مات مات شهيدا

وأخرج الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة   من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك

أخرج البيهقي من حديث علي مرفوعا   لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن

أخرج أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن عرباض بن سارية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات كل ليلة قبل أن يرقد ويقول فيهن آية خير من ألف أية

قال ابن كثير في تفسير الآية المشار إليها قوله هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم

وقد أخرج ابن السني عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى رجلا إذ أتى مضجعه أن يقرأ سورة الحشر وقال إن مت مت شهيدا

وأخرج الترمذي من حديث معقل بن يسار من قرأ حين يصبح ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة

وأخرج البيهقي من حديث أبي أمامة من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار فمات في يومه أو ليلته فقد أوجب الله له الجنة

أخرج أبو عبيد عن أبي تميم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني نسيت أفضل المسبحات فقال أبي بن كعب لعلها سبح اسم ربك الأعلى قال نعم

أخرج أبو نعيم في الصحابة من حديث إسماعيل بن أبي حكيم المزني الصحابي مرفوعا إن الله ليسمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول أبشر عبدي فوعزتي لأمكنن لك في الجنة حتى ترضى

أخرج الحاكم من حديث ابن عمر مرفوعا ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر الكافرون

أخرج الترمذي من حديث أنس إذا جاء نصر الله والفتح ربع القرآن

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن الشخير ومن قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه الصراط إلى الجنة .

وقد ذكر السيوطي جملة من أحاديث الفضائل الضعيفة أيضا تحت النوع الخامس والسبعين الذي جعله في **خواص القرآن**

وقال : أفرده بالتصنيف جماعة منهم التميمي و الغزالي واليافعي وقال : غالب ما يذكر في ذلك كان مستنده تجارب الصالحين ومما ذكره من الأحاديث الضعيفة :

ما أخرجه البزار من حديث أنس إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت

وفي الفردوس من حديث أبي قتادة من قرأ آية الكرسي عند الكرب أغاثه الله

وأخرج الديلمي من حديث أبي هريرة مرفوعا آيتان هما قرآن وهما يشفيان وهما مما يحبهما الله الآيتان من آخر سورة البقرة

وأخرج الطبراني عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك من الدين مثل صبر أداه الله عنك قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء إلى قوله بغير حساب رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطي من تشاء منهما وتمنع من تشاء ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك

وأخرج البيهقي في الدعوات عن ابن عباس إذ استصعبت دابة أحدكم أو كانت شموسا فليقرأ هذه الآية في أذنيها أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون

وأخرج ابن السني عن فاطمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دنا ولادها أمر أم سلمة وزينب بنت جحش أن يأتيا فيقرآ عندها آية الكرسي و إن ربكم الله ألاية ويعوذاها بالمعوذتين

وأخرج ابن السني أيضا من حديث الحسين بن علي أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا أن يقولوا بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره الآية

وأخرج ابن أبي حاتم عن ليث قال بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر يقرأن في إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور الآية التي في سورة يونس فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إلى قوله المجرمون وقوله فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون إلى آخر أربع آيات وقوله إنما صنعوا كيد ساحر الآية

وأخرج الحاكم وغيره من حديث أبو هريرة ما كربني أمر إلا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت و وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا

وأخرج الصابوني في المائتين من حديث ابن عباس مرفوعا هذه الآية أمان من السرق قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن إلى آخر السورة

وأخرج البيهقي في الدعوات من حديث أنس ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل ولا مال ولا ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت

وأخرج الترمذي والحاكم عن سعد بن أبي وقاص دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء إلا استجاب الله له

وعن ابن السني إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج عنه كلمة أخي يونس فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

وأخرج البيهقي وابن السني وأبو عبيد عن ابن مسعود أنه قرأ في أذن مبتلى فأفاق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قرأت في أذنه قال أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا إلى آخر السورة فقال لو أن رجلا مؤمنا قرأ بها على جبل لزال

وأخرج المحاملي في أماليه من حديث عبد الله بن الزبير من جعل يس أمام حاجة قضيت له

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة من قرأ الدخان كلها وأول غافر إلى إليه المصير وآية الكرسي حين يمسى حفظ بها حتى يصبح ومن قرأها حين يصبح حفظ بها حتى يمسى رواه الدارمي بلفظ لم ير شيئا يكرهه

وأخرج البيهقي في الدعوات عن ابن عباس موقوفا في المرأة يعسر عليها ولادها قال يكتب في قرطاس ثم تسقى باسم الله الذي لا إله إلا هو الحليم الكريم سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون

وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال إذا وجدت في نفسك شيئا يعني الوسوسة فقل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم

وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي سعيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فأخذها وترك ما سواها

وهذه كلها أحاديث لا تصح بل بعضها قد يصل إلى الوضع .

وقد وردت موقوفات عن الصحابة في فضائل بعض السور وخواصها ومما ذكره السيوطي في ذلك

ما أخرجه أبو عبيد عن ابن عباس موقوفا إن لكل شيء لبابا ولباب القرآن الحواميم

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود موقوفا الحواميم ديباج القرآن

أخرج الدارمي عن ابن مسعود موقوفا إن لكل شيء لبابل ولباب القرآن المفصل

وأخرج البيهقي في الشعب عن علي موقوفا سورة الأنعام ما قرئت على عليل إلا شفاه الله

وأخرج الدارمي وغيره من طريق عبدة بن أبي لبابة عن زر بن حبيش قال من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقومها من الليل قامها

قال عبده فجربناه فوجدناه كذلك

وفي المستدرك عن أبي جعفر محمد بن علي قال من وجد في قلبه قسوة فليكتب يس في جام بماء ورد وزعفران ثم يشربه

وأخرج ابن الضريس عن أبي سعيد بن جبير أنه قرأ على رجل مجنون سورة يس فبرئ

وأخرج ايضا عن يحيى بن أبي كثير قال من قرأ يس إذا أصبح لم يزل في فرح حتى يمسى ومن قرأها إذا أمسى لم يزل في فرح حتى يصبح أخبرنا من جرب ذلك

قال السيوطي : وأما مالم يرد به أثر فقد ذكر الناس من ذلك كثيرا جدا الله أعلم بصحته

قال ابن التين الرقي بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجثماني.

قال السيوطي : ويشير إلى هذا قوله صلى الله عليه وسلم لو أن رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال .

قلت : هذا حديث لا يصح ولا تزال البركة في الرقية في كتاب الله وإن كان الأفضل أن تكون من موقن بها لكن لا يتعلق الشفاء على ذلك .

وقال القرطبي تجوز الرقية بكلام الله وأسمائه فإن كان مأثورا استحب

وقال الربيع سألت الشافعي عن الرقية فقال لا بأس أن يرقى بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله .

وقد نقل السيوطي كلما لأهل العلم في السر في الرقية بالمعوذات والفاتحة على وجه الخصوص لاشتمالها على ما لم يشتمل عليه غيرها من جوامع الدعاء والمعاني الجامعة .

وقد اختلف الناس هل في القرآن شيء أفضل من شيء فذهب جماعة إلى المنع لأن الجميع كلام الله ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه

وكره مالك أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها

وقال ابن حبان : قوله أعظم سورة أراد به الأجر لا أن بعض القرآن أفضل من بعض

وذهب آخرون إلى التفضيل لظواهر الأحاديث وقال القرطبي إنه الحق وهو كما قال

وقال الغزالي : لعلك أن تقول قد أشرت إلى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض والكلام كلام الله فكيف يفارق بعضها بعضا وكيف يكون بعضها أشرف من بعض فاعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات وبين سورة الإخلاص وسورة تبت وترتاع على اعتقاد الفرق نفسك الخوارة المستغرقة بالتقليد فقلد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم فهو الذي أنزل عليه القرآن وقال يس قلب القرآن وفاتحة الكتاب أفضل سور القرآن وآية الكرسي سيده آي القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن والأخبار الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى انتهى

وقال ابن الحصار : العجب ممن يذكر الاختلاف في ذلك مع النصوص الواردة بالتفضيل

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام كلام الله في الله أفضل من كلامه في غيره فقل هو الله أحد أفضل من تبت يدا أبي لهب .

وقال بعضهم : ينبغي أن تعلم أن معنى قول القائل هذا الكلام أبلغ من هذا أن هذا في موضعه له حسن ولطف وذاك في موضعه له حسن ولطف وهذا الحسن في موضعه أكمل من ذاك في موضعه فإن من قال إن قل هو الله أحد أبلغ من تبت يدا أبي لهب يجعل المقابلة

بين ذكر الله وذكر أبي لهب وبين التوحيد والدعاء على الكافر وذلك غير صحيح بل ينبغي أن يقال تبت يدا أبي لهب دعاء عليه بالخسران فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه وكذلك في قل هو الله أحد لا توجد عبارة تدل على الوحدانية أبلغ منها

وقد اختلف القائلون بالتفضيل فقال بعضهم الفضل راجع إلى عظم الأجر ومضاعفة الثواب.

وقيل بل يرجع لذات اللفظ فالتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها

وقال الحليمي : معنى التفضيل يرجع إلى أشياء

أحدها أن يكون العمل بآية أولى من العمل بأخرى وأعود على الناس

الثاني أن يقال الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته والدلالة على عظمته أفضل

الثالث أن يقال سورة خير من سورة أو آية خير من آية بمعنى أن القارئ يتعجل له بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل ويتأدى منه بتلاوتها عبادة

وقد يقال إن سورة أفضل من سورة لأن الله جعل قراءتها كقراءة أضعافها مما سواها وأوجب بها من الثواب ما لم يوجب بغيرها وإن كان المعنى الذي لأجله بلغ بها هذا المقدار لا يظهر لنا .

ويقال أيضا في الجملة إن القرآن خير من التوراة والإنجيل والزبور بمعنى أن التعبد بالتلاوة والعمل واقع به دونها والثواب بحسب قراءته لا بقراءتها أو أنه من حيث الإعجاز حجة النبي المبعوث وتلك الكتب لم تكن معجزة ولا كانت حجج أولئك الأنبياء بل كانت دعوتهم والحجج غيرها.

قال ابن عبد البر السكوت في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها وأسلم ثم أسند إلى إسحاق بن منصور قلت لأحمد بن حنبل قوله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ما وجهه فلم يقل لي فيها على أمر وقال لي إسحاق بن راهويه معناه أن الله لما فضل كلامه على سائر الكلام جعل لبعضه أيضا فضلا في الثواب لمن قرأه تحريضا على تعليمه لا أن من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات كان كمن قرأ القرآن جميعه هذا لا يستقيم ولو قرأها مائتي مرة

قال ابن عبد البر فهذان إمامان بالسنة ما قاما ولا قعدا في هذه المسألة

ومن أوجه التفضيل التي سبق ذكرها وهو ما يتعلق بالمعاني ذكر السيوطي نقولا عن أهل العلم في تبيين ذلك فمما قيل في الفاتحة ما قاله الحسن البصري إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ثم أودع علوم القرآن الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة

وقال الإمام فخر الدين الرازي : المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة الإلهيات والمعاد والنبوات وإثبات القضاء والقدر لله تعالى فقوله الحمد لله رب العالمين يدل على الإلهيات وقوله مالك يوم الدين يدل على المعاد وقوله إياك نعبد وإياك نستعين يدل على نفي الجبر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره وقوله اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة يدل على إثبات قضاء الله وعلى النبوات فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الآربعة وهذه السورة مشتملة عليها سميت أم القرآن .

وقال الغزالي مقاصد القرآن سنة ثلاثة مهمة وثلاثة متمة الأولى تعريف المدعو إليه كما أشير إليه بصدرها وتعريف الصراط المستقيم وقد صرح به فيها وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى وهو الآخرة كما أشير إليه مالك يوم الدين والأخرى تعريف أحوال المطيعين كما أشير إليه بقوله الذين أنعمت عليهم وحكاية أقوال الجاحدين وقد أشير إليها ب المغضوب عليهم ولا الضالين وتعريف منازل الطريق كما أشير إليه بقوله إياك نعبد وإياك نستعين انتهى

مما قيل في تفضيل آية الكرسي :

قال ابن العربي : إنما صارت آية الكرسي أعظم الآيات لعظم مقتضاها فإن الشيء إنما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه وتعلقاته وهي في آي القرآن كسورة الإخلاص في سورة إلا أن سورة الإخلاص تفضلها بوجهين

أحدهما أنها سورة وهذه آية والسورة أعظم لأنه وقع التحدي بها فهي أفضل من الآية التي لم يتحد بها

والثاني أن سورة الإخلاص اقتضت التوحيد في خمسة عشر حرفا وآية الكرسي اقتضت التوحيد في خمسين حرفا فظهرت القدرة في الإعجاز بوضع معنى معبر عنه بخمسين حرفا ثم يعبر عنه بخمسة عشر وذلك بيان لعظيم القدرة والانفراد بالوحدانية

وقال ابن المنير اشتملت آية الكرسي على ما لم تشمل عليه آية من أسماء الله تعالى وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ظاهرا في بعضها ومستكنا في بعض وهي الله هو الحي القيوم ضمير لا تأخذه و له وعنده و بإذنه و يعلم و علمه و شاء و كرسيه و يؤوده ضمير حفظهما المستتر الذي هو فاعل المصدر وهو العلي العظيم وإن عددت الضمائر المتحملة في الحي القيوم العلي العظيم والضمير المقدر قبل الحي على أحد الأعاريب صارت اثنين وعشرين

وفي جعل الإخلاص تعدل ثلث القرآن :

قال الغزالي : معارف القرآن المهمة ثلاثة معرفة التوحيد والصراط المستقيم والآخرة

وهي مشتملة على الأول فكانت ثلثا

وقال أيضا : القرآن مشتمل على البراهين القاطعة على وجود الله تعالى ووحدانيته وصفاته إما صفات الحقيقة وإما صفات الفعل وإما صفات الحكم فهذه ثلاثة أمور وهذه السورة تشتمل على صفات الحقيقة فهي ثلث .

وقال غيره : القرآن قسمان خبر وإنشاء والخبر قسمان خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق فهذه ثلاثة أثلاث وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق فهي بهذا الاعتبار ثلث .

وفي حديث إن الزلزلة نصف القرآن :

قيل : لأن أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة كلها إجمالا .

وقال الغزالي في سر كون سورة الكافرين ربعا وسورة الإخلاص ثلثا مع أن كلا منهما يسمى الإخلاص أن سورة الإخلاص اشتملت من صفات الله على ما لم تشتمل عليه الكافرون وأيضا فالتوحيد إثبات إلهية المعبود وتقديسه ونفي إلهية ما سواه وقد صرحت الإخلاص

بالإثبات والتقديس ولوحت إلى نفي عبادة غيره والكافرون صرحت بالنفي ولوحت بالإثبات والتقديس فكان بين الرتبتين من التصريحين والتلويحين ما بين الثلث والربع .

وقد ذكر السيوطي في النوع الرابع والسبعين وهو باب جعله تحت مسمى في **مفردات القرآن** وقد يتبادر للذهن أنه متعلق بغريب القرآن ولكنه يتعلق بآثار وردت في ميزات لبعض الآيات ومن ذلك مثلا أعظم القرآن وأحكم القرآن وأحزن القرآن وأرجى القرآن وأعدل القرآن وأخوف القرآن ونحو ذلك ومما ذكره فيه ما أخرجه السلفي في الطيوريات عن الشعبي قال : لقي عمر بن الخطاب ركبا في سفر فيهم ابن مسعود فأمر رجلا يناديهم من أين القوم قالوا أقبلنا من الفج العميق نريد البيت العتيق فقال عمر إن فيهم لعالما وأمر رجلا أن يناديهم أي القرآن أعظم فأجابه عبد الله الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال نادهم أي القرآن أحكم فقال ابن مسعود إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى قال نادهم أي القرآن أجمع فقال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال نادهم أي القرآن أحزن فقال من يعمل سوءا يجز به فقال نادهم أي القرآن أرجى فقال قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فقال أفيكم ابن مسعود قالوا نعم . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره بنحوه .
وأخرج أبو ذر الهروي في فضائل القرآن عن ابن مسعود نحوه مرفوعا مع بعض اختلاف ولا يثبت .
وأخرج عبد الرزاق أيضا عن ابن مسعود قال أعدل آية في القرآن إن الله يأمر بالعدل والإحسان وأحكم آية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره إلى آخرها
وأخرج الحاكم عنه قال إن أجمع آية في القرآن للخير والشر إن الله يأمر بالعدل والإحسان
وأخرج الطبراني عنه قال ما في القرآن آية أعظم فرجا من آية في سورة الغرف قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية وما في القرآن آية أكثر تفويضا من آية في سورة النساء القصرى ومن يتوكل على الله فهو حسبه الآية
وقد اختلف في أرجى آية في القرآن على بضعة عشر قولا
أحدها آية الزمر كما تقدم .

والثاني أو لم تؤمن قال بلى أخرجه الحاكم في المستدرك وأبو عبيد عن صفوان بن سليم قالا التقى ابن عباس وابن عمر فقال ابن عباس أي آية في كتاب الله أرجى فقال عبد الله بن عمر قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ألاية فقال ابن عباس لكن قول الله وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فرضى منه قوله بلى قال فهذا لما يعترض في الصدر مما يوسوس به الشيطان

الثالث ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن علي بن أبي طالب أنه قال إنكم يا معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية لكنا أهل البيت نقول أن أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهي الشفاعة

الرابع ما أخرجه الواحدي عن علي بن الحسين قال أشد آية على أهل النار فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا وأرجى آية في القرآن لأهل التوحيد إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية

وأخرج الترمذي وحسنه عن علي قال أحب آية إلي في القرآن إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية

الخامس ما أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن المبارك أن أرجى آية في القرآن قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة إلى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم

السادس ما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة عن أبي عثمان النهدي قال ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الأمة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا

السابع والثامن قال أبو جعفر النحاس في قوله فهل يهلك إلا القوم الفاسقون إن هذه الآية عندي أرجى آية في القرآن إلا أن ابن عباس قال أرجى آية في القرآن وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم .

التاسع وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير فعن علي كما في مسند أحمد قال ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لك يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثني العقوبة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه .

العاشر : ما أخرجه ابن حاتم عن عكرمة قال سئل ابن عباس أي آية أرجى في كتاب الله قال قوله إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله

الحادي عشر : قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قال الشبلي إذا كان الله أذن للكافر بدخول الباب إذا أتى بالتوحيد والشهادة أفتراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها .

وقيل غير ذلك وهو بعيد .

وفي معنى ذلك : ما أخرجه ابن المنذر عن ابن مسعود أنه ذكر عنده بنو إسرائيل وما فضلهم الله به فقال كان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنبا أصبح وقد كتبت كفارته على أسكفة بابه وجعلت كفارة ذنوبكم قولا تقولونه تستغفرون الله فيغفر لكم والذي نفسي بيده لقد أعطانا الله آية لهي أحب إلي من الدنيا وما فيها والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله الآية

وما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة عن ابن عباس قال ثماني آيات نزلت في سورة النساء هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت أولهن يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والثانية والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات والثالثة يريد الله أن يخفف عنكم الآية والرابعة إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية والخامسة إن الله لا يظلم مثقال ذرة الآية والسادسة ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله الآية والسابعة إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية والثامنة والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم الآية

وأما أشد آية ففيه ما أخرجه ابن راهويه في مسنده عن محمد بن المنتشر قال قال رجل لعمر بن الخطاب إني لأعرف أشد آية في كتاب الله تعالى فأهوى عمر فضربه بالدرة وقال مالك نقبت عنها حتى علمتها ما هي قال من يعمل سوءا يجز به فما منا أحد يعمل سوءا إلا جزي به فقال عمر لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب حتى أنزل الله بعد ذلك ورخص ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله تعالى على أهل النار فقال فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا

وفي صحيح البخاري عن سفيان قال ما في القرآن آية أشد علي من لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال ما في القرآن أشد توبيخا من هذه الآية لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت الآية

وأخرج ابن المبارك في كتاب الزهد عن الضحاك بن مزاحم قرأ في قول الله لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت قال والله ما في القرآن آية أخوف عندي منها

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال ما أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية كانت أشد عليه من قوله وتخفي في نفسك ما الله مبديه الآية

وقال مالك أشد آية على أهل الأهواء قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية فتأولها على أهل الأهواء .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال آيتان في كتاب الله ما أشدهما على من يجادل فيه ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد

وأما أخوف آية :

فقد أخرج ابن المنذر عن ابن سيرين لم يكن شيء عندهم أخوف من هذه الآية ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين

وعن أبي حنيفة أخوف آية في القرآن واتقوا النار التي أعدت للكافرين

وقال غيره سنفرغ لكم أيها الثقلان ولهذا قال بعضهم لو سمعت هذه الكلمة من خفير الحارة لم أنم .

هذا ونكتفي بهذا القدر في هذه المحاضرة وبذلك ينتهي حديثنا عن فضائل القرآن وخصائصه وموعدنا في المحاضرة القادمة إن شاء الله مع آداب تالي القرآن والله الموفق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أسئلة :

المجموعة الأولى: ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة

١- من الأحاديث الضعيفة في الفضائل"فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن" (صح)

٢- حديث" لا يحفظ منافق سورة براءة" حديث صحيح (خطأ)

٣- صح مرفوعا "إن لكل شيء لبابا ولباب القرآن الحواميم" (خطأ)

٤- لا تجوز الرقية بالقرآن (خطأ)

٥- من قرأ سورة الحشر إذا أخذ مضجعه ثم مات مات شهيدا (خطأ)

٦- قوله تعالى:{فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره} من أجمع آيات القرآن (صح)

٧- قوله تعالى:{ لستم على شيء حتى تقيموا التوراة...} من أرجى آيات القرآن (خطأ)

٨- ليس في القرآن آية أشد توبيخا من قوله:{لولا ينهاهم الربانيون..}(صح)

٩- يوجد آيات معينة تقرأ عند المرأة التي دنا ولادها (خطأ)

١٠- من أخوف آيات القرآن{ سنفرغ لكم أيها الثقلان} (صح)

المجموعة الثانية: ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة

١- ورد في الضعيف أن عروس القرآن (البقرة، الفاتحة، الرحمن)

٢- التميمي والغزالي واليافعي ممن صنفوا في (الفضائل الصحيحة ، خواص القرآن ، تجارب الصالحين)

٣- "الحواميم ديباج القرآن"(حديث صحيح، حديث ضعيف، أثر موقوف على بعض الصحابة)

٤- أشد آية على أهل الأهواء (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ، سنفرغ لكم أيه الثقلان)

٥- أعظم آية في القرآن هي (آية الكرسي، قل هو الله أحد، آمن الرسول..)

٦- قوله تعالى:{قل ياعبادي الذين أسرفوا..}(أرجى آية، أخوف آية، أول ما نزل من الآيات)

٧- قوله تعالى:{ ألا تحبون أن يغفر الله لكم}قيل إنها(أعظم آية، أرجى آية، أفرح آية)

٨- أشد آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي (عبس وتولى، عفا الله عنك لم أذنت لهم...، وتخفي في نفسك ما الله مبديه)

٩- آيات جربت للاستيقاظ في أي ساعة يريدها القارئ من الليل هي (أواخر الكهف ، أواخر البقرة ، أواخر الحشر)

١٠- المفاضلة بين السور والآيات (حق دلت عليه الأدلة ، الأولى التوقف فيه ، لا ينبغي الخوض فيه)

المجموعة الثالثة: ضع خطا تحت الإجابة المناسبة لملأ الفراغ

١- في الضعيف أن آية......خير من ألف آية(الكرسي، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ،إنا أنزلناه في ليلة القدر)

٢- ذهب قوم إلى أن وجه التفاضل في القرآن سببه ....(الثواب المترتب على التلاوة ، الاختلاف في الإعجاز ، أن بعضه في البلاغة أعلى من بعض)

٣- قيل في المفاضلة بين آية الكرسي وسورة الإخلاص .... (إنهما سواء في الفضل ، إن آية الكرسي أفضل ، إن سورة الإخلاص أفضل)

٤- الزلزلة نصف القرآن لأن أحكام القرآن .... (أخروية ودنيوية، منصوص عليها ومستنبطة ، في العلاقة بالله وبغير الله)

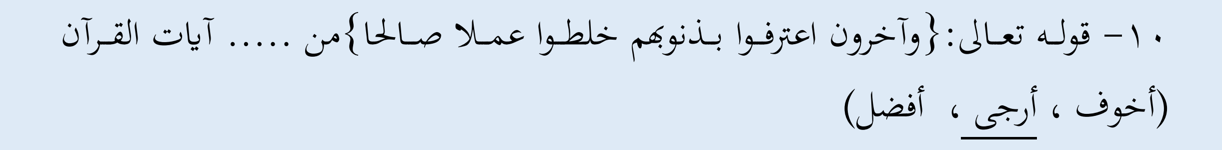
٥- مفردات القرآن مصطلح يعني عند السيوطي.....(تفسير غريب القرآن، فضائل بعض الآيات، ميزات لبعض الآيات)

٦- قوله تعالى:{ إن الله يأمر بالعدل والإحسان}..... (أحكم آية، أعظم آية، أفضل آية)

٧- قوله تعالى:{......} أحزن القرآن (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا، من يعمل سوء يجز به ، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا)

٨- قيل إن أخوف آية في القرآن هي.....(واتقوا النار التي أعدت للكافرين،إن الذين يستكبرون عن عبادي سيدخلون جهنم داخرين، لايصلاها إلا الأشقى)

٩- ثمان آيات من سورة.....خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس (الفرقان، البقرة، النساء)



١٠- قوله تعالى: {وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا} من ..... آيات القرآن (أخوف ، أرجى ، أفضل)

المحاضرة السابعة عشرة

آداب تالي القرآن (١)

***

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد

فموعدنا اليوم مع آداب التالي للقرآن الكريم وقد ذكر السيوطي هذا العلم تحت النوع الخامس والثلاثين من علوم القرآن وأفرده بالتصنيف الإمام النووي رحمه الله في كتاب سماه التبيان في آداب حملة القرآن وهو كتاب لطيف مطبوع ومتداول ولكون النووي رحمه الله شافعي المذهب فقد درج في كتابه على تقرير ما في مذهبه غالبا فليراعى ذلك .

واستفتح النووي كتابه بذكر جملة من فضائل تلاوة القرآن وفضل حملته كما بدأ السيوطي كلامه بالحث على الإكثار من قراءة القرآن وفضل ذلك ونحن بحمد الله قد ذكرنا طرفا من ذلك فيما سبق فلا حاجة لإعادته ونزيد هنا :

ما رواه أبو داود عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط . قال النووي : هو حديث حسن .

وعن الحميدي قال سألت سفيان الثوري عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرأ القرآن فقال يقرأ القرآن لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه

قال النووي : واعلم أن المذهب الصحيح المختار الذي عليه من يعتمد من العلماء أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار وقد تظاهرت الأدلة على ذلك .

ومن الآداب التي ينبغي أن يلتزمها تالي القرآن معلما ومتعلما جملة يشترك فيها كل معلم ومتعلم لأي من العلوم الشرعية وقد اهتم بها جماعة من العلماء وصنفوا فيها الكتب ومن ذلك كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي وكتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر وكتاب تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة وغيرها وأهم هذه الآداب إخلاص النية لله لأنها أساس قبول العمل قال تعالى : وما أمروا إلا ليعبدوا الله

مخلصين له الدين . وقال : قل الله أعبد مخلصا له ديني . وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .

فيجب على تالي القرآن أن يخلص نيته لله تعالى وأن لا يقصد توصلا إلى غرض من أغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجاهة أو ارتفاع على أقرانه أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس إليه أو نحو ذلك ولا يشوب المقرئ إقراءه بطمع في رفق يحصل له من بعض من يقرأ عليه سواء كان الرفق مالا أو خدمة وإن قل ولو كان على صورة الهدية التي لولا قراءته عليه لما أهداها إليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة . قال النووي : رواه أبو داود بإسناد صحيح .

وعن أنس وحذيفة وكعب بن مالك رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من طلب العلم ليماري به السفهاء أو يكاثر به العلماء أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار . رواه الترمذي من رواية كعب بن مالك وقال أدخله النار .

ومن أهم الآداب أيضا أن يعمل بما يعلم فقد قال بعضهم :

هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال يا حملة القرآن أو قال يا حملة العلم اعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف عملهم علمهم وتخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون حلقا يباهي بعضهم بعضا حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه ، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى . رواه الدارمي .

ولا نطيل بهذه الآداب المشتركة ومكانها الكتب التي ذكرناها آنفا .

ومن الآداب المتأكدة لتالي القرآن أنه يستحب له الإكثار من تلاوته قال تعالى مثنيا على من كان ذلك دأبه : يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار

والأحاديث في فضل قراءة القرآن كثيرة ذكرنا بعضها فيما سبق .

وأخرج البيهقي من حديث عائشة البيت الذي يقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض

وأخرج من حديث أنس نوروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن

وأخرج من حديث النعمان بن بشير أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن

وأخرج من حديث سمرة بن جندب كل مؤدب يحب أن تؤتى مأدبته ومأدبة الله القرآن فلا تهجروه

وأخرج من حديث عبيدة المكي مرفوعا وموقوفا يا أهل القرآن لا تتوسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار وأفشوه وتدبروا ما فيه لعلكم تفلحون

وهذه الأحاديث للاستئناس فإن فيها ضعفا .

وأما ما ورد في قدر ما يقرأ القارئ من القرآن يوميا فقد كان للسلف في قدر القراءة عادات :

فأكثر ما ورد في كثرة القراءة من كان يختم في اليوم والليلة ثماني ختمات أربعا في الليل وأربعا في النهار ويليه من كان يختم في اليوم والليلة أربعا ويليه ثلاثا ويليه ختمتين ويليه ختمة

قال أبو عثمان المغربي : كان ابن الكاتب رضي الله عنه يختم بالنهار أربع ختمات وبالليل أربع ختمات . قال السيوطي : وهذا أكثر ما بلغنا من اليوم والليلة .

ومن الذين كانوا يختمون ثلاث ختمات سليم بن عمر رضي الله عنه قاضي مصر في خلافة معاوية رضي الله عنه وروى أبو بكر بن أبي داود أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات وكذا أبو عمر الكندي في كتابه في قضاة مصر

ومن الذين كانوا يختمون ختمة في الليل واليوم عثمان بن عفان رضي الله عنه وتميم الداري وسعيد بن جبير ومجاهد والشافعي وآخرون .

وعن منصور بن زادان وهو من عباد التابعين أنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر ويختمه أيضا فيما بين المغرب والعشاء في رمضان ختمتين وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل

وروى أبو داود بإسناد صحيح أن مجاهدا كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء

وعن منصور قال كان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان وعن إبراهيم بن سعد قال كان أبي يحتبي فما يحل حبوته حتى يختم القرآن .

قال النووي : وأما الذي يختم في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمن المتقدمين عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير رضي الله عنهم ختمة في كل ركعة في الكعبة .

قلت : روى ابن نصر المروزي في كتاب قيام الليل آثارا مشابهة أيضا .

وقد ذمت عائشة ذلك فأخرج ابن أبي داود عن مسلم بن مخراق قال قلت لعائشة إن رجالا يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثا فقالت قرؤوا ولم يقرؤوا كنت أقوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا ورغب ولا بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ .

قلت : قد ثبت مثل ذلك في حديث قيام حذيفة مع رسول الله ﷺ .

قال السيوطي : ويلي ذلك من كان يختم في ليلتين ويليه من كان يختم في كل ثلاث وهو حسن

وكره جماعات الختم في أقل من ذلك لما روى أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وأخرج ابن أبي داود وسعيد بن منصور عن ابن مسعود موقوفا قال لا تقرؤوا القرآن في أقل من ثلاث

وأخرج أبو عبيد عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث

ويليه من ختم في أربع ثم في خمس ثم في ست ثم في سبع وهذا أوسط الأمور وأحسنها وهو فعل الأكثرين من الصحابة وغيرهم

أخرج الشيخان عن عبد الله بن عمرو قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ القرآن في شهر قلت إني أجد قوة قال أقرأه في عشر قلت إني أجد قوة قال اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك

وأخرج أبو عبيد وغيره عن قيس بن أبي صعصعة أنه قال يا رسول الله في كم أقرأ القرآن قال في خمسة عشر قلت إني أجدني أقوى من ذلك قال أقرأه في جمعة .

ويلي ذلك من ختم في ثمان ثم في عشر ثم في شهر ثم في شهرين

أخرج ابن أبي داود عن مكحول قال كان أقوياء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤون القرآن في سبع وبعضهم في شهر وبعضهم في شهرين وبعضهم في أكثر من ذلك

وقال أبو الليث في البستان ينبغي للقارئ أن يختم في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة

وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى حقه لأن النبي صلى الله عليه وسلم عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين

وقال غيره : يكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوما بلا عذر نص عليه أحمد لأن عبد الله بن عمر سأل النبي صلى الله عليه وسلم في كم نختم القرآن قال في أربعين يوما رواه أبو داود

قال النووي : المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ وكذلك من كان مشغولا بنشر العلم أو فصل الحكومات أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ولا فوات كماله وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل أو الهذرمة في القراءة

وينبغي لقارئ القرآن أن يكون اعتناؤه بقراءة الليل أكثر قال الله تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين

وثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل وفي الحديث الآخر من الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال يا عبدالله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم تركه وروى الطبراني وغيره عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرف المؤمن قيام الليل والأحاديث والآثار في هذا كثيرة وقد جاء عن أبي الأحوص الجشمي قال : إن كان الرجل ليطرق الفسطاط طروقا أي يأتيه ليلا فيسمع لأهله دويا كدوي النحل قال فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون .

وعن إبراهيم النخعي كان يقول اقرؤوا من الليل ولو حلب شاة وعن يزيد الرقاشي قال إذا أنا نمت ثم استيقظت ثم نمت فلا نامت عيناي

قال النووي : وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب وأبعد عن الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل فإن الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلا وحديث ينزل ربكم كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يمضي شطر الليل فيقول هل من داع فأستجيب له الحديث وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الليل ساعة يستجيب الله فيها الدعاء كل ليلة

قال : واعلم أن فضيلة القيام بالليل والقراءة فيه تحصل بالقليل والكثير وكلما كثر كان أفضل إلا أن يستوعب الليل كله فإنه يكره الدوام عليه .

وحكى الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال من صلى بالليل ركعتين فقد بات لله ساجدا وقائما .

قلت : تقدم حديث أبي مسعود البدري في الصحيح : من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه . فمما قيل فيه وروي في بعض الروايات : كفتاه من قيام الليل .

وينبغي لقارئ القرآن أن يتعاهده لئلا ينساه

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها رواه البخاري ومسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت رواه مسلم والبخاري

وثبت في صحيح مسلم في بعض الطرق أنه ﷺ قال : وإن صاحب القرآن إذا قام به فقرأه بالليل وقرأه بالنهار لم ينسه وإن لم يقم به نسيه .

وأما نسيان القرآن فقد قال السيوطي : نسيانه كبيرة صرح به النووي في الروضة وغيرها

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا

أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها . رواه أبو داود والترمذي قال النووي : وتكلم فيه .

وعن سعد بن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله عز وجل يوم القيامة وهو أجذم رواه أبو داود والترمذي

قلت : أعوذ بالله من هذا الحكم ، بل لا يصل إلى الصغيرة وغاية أمره أنه يكره تنزيها فهذه الأحاديث فيها مقال ولا تثبت وقد ثبت أن النبي ﷺ نسي شيئا من القرآن وقال الله تعالى : سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله .

وأمر النسيان ليس بيد الإنسان غالبا إلا إذا كان عن إهمال متعمد .

ويدل على ذلك ما ورد في النهي عن قول القائل : نسيت آية كذا وكذا بل يقول نسيت أو أنسيت . وسيأتي .

نعم لا ينبغي لحامل القرآن أن يهمل وأن يحرص على تعاهد القرآن كما تقدم لئلا يخسر الأجر العظيم المترتب على حفظ القرآن وقد سبق حديثنا عنه مفصلا .

ولو افترض ثبوت شيء من الوعيد على نسيان شيء من القرآن فالأرجح أن المراد بالنسيان فيه الترك أي إهمال العمل وعدم القيام بما جاء فيه على غرار قوله تعالى : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وقوله : نسوا الله فنسيهم . وقوله : فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا .

ويستحب لمن نام عن ورد له كان يقرؤه من الليل أن يقضيه

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنه قرأه من الليل رواه مسلم .

وعن سليمان بن يسار قال قال أبو أسيد رضي الله عنه نمت البارحة عن وردي حتى أصبحت فلما أصبحت استرجعت وكان وردي سورة البقرة فرأيت في المنام كأن بقرة تنطحني رواه ابن أبي داود

ويستحب الوضوء لقراءة القرآن لأنه أفضل الأذكار وقد كان صلى الله عليه وسلم يكره أن يذكر الله إلا على طهر كما ثبت في الحديث

وقال النووي : إن قرأ محدثا جاز بإجماع المسلمين والأحاديث فيه كثيرة معروفة .

وقال إمام الحرمين ولا يقال ارتكب مكروها بل هو تارك للأفضل فإن لم يجد الماء تيمم والمستحاضة في الزمن المحكوم بأنه طهر حكمها حكم المحدث .

وقال أيضا : ولا تكره القراءة للمحدث لأنه صح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ مع الحدث .

قلت : روى مالك في الموطأ أن سلمان خرج من الخلاء فقرأ القرآن فقال له رجل : ألا تتوضأ . فقال له سلمان مستنكرا : من أمرك بهذا ؟؟ أمسيلمة ؟؟

وفي شرح المهذب : إذا كان يقرأ فعرضت له ريح أمسك عن القراءة حتى يستقيم خروجها .

قال النووي : وأما الجنب والحائض فإنه يحرم عليهما قراءة القرآن سواء كان آية أو أقل منها ويجوز لهما إجراء القرآن على قلبهما من غير تلفظ به ويجوز لهما النظر في المصحف وإمراره على القلب وأجمع المسلمون على جواز التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الأذكار للجنب والحائض قال أصحابنا وكذا إن قالا لإنسان خذ الكتاب بقوة وقصدا به غير القرآن فهو جائز وكذا ما أشبهه ويجوز لهما أن يقولا عند المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون إذا لم يقصدا القرآن ... ويجوز لهما قراءة ما نسخت تلاوته كالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة

وإذا لم يجد الجنب أو الحائض ماء تيمم ويباح له القراءة والصلاة وغيرهما فإن أحدث حرمت عليه الصلاة ولم تحرم القراءة والجلوس في المسجد وغيرهما مما لا يحرم على المحدث ... وذكر بعض أصحاب الشافعي أنه إذا تيمم في الحضر استباح الصلاة ولا يقرأ بعدها ولا يجلس في المسجد والصحيح جواز ذلك ... قال : أما إذا لم يجد الجنب ماء ولا ترابا فإنه لا يصلي لحرمة الوقت على حسب حاله ويحرم عليه القراءة خارج الصلاة ويحرم عليه أن يقرأ في الصلاة ما زاد على فاتحة الكتاب وهل يحرم عليه قراءة الفاتحة فيه وجهان الصحيح المختار أنه لا يحرم بل يجب ... إلخ كلامه رحمه الله

وهذا التشديد العجيب عند جماعة من أهل العلم في قراءة الحائض والجنب للقرآن أمره عجيب وبعض العلماء فرق بين الحائض وبين الجنب وهما أهل للتفرقة لأن الحائض حدثها مستمر ولم يحصل لها باختيارها ولا تستطيع أن تنفك عنه بإرادتها قال النبي ﷺ لعائشة عندما حاضت وبكت : ذاك أمر كتبه الله على بنات حواء . أخرجه البخاري .

فليت شعري كيف تمكث الحائض سبعة أيام أو النفساء أربعين يوما لا تقرأ شيئا من كتاب ربها ولا تتعوذ بالمعوذات صباحا ومساء وقبل النوم ولا ترقي نفسها ولا أبناءها عند المرض بكتاب الله ولا تقرأ آية الكرسي قبل منامها وهي أحوج ما يكون في حالتها ألا يقربها الشيطان وكيف تترك قراءة خواتيم البقرة لتكفيها في ليلتها إلى غير ذلك .

ولذا أجاز لها مالك وغيره القراءة .

أما الجنب فيمكنه إزالة الجنابة متى شاء وهو المتسبب فيها إلا من احتلام ومدة الجنابة قصيرة فيلزمه رفعها عند حلول أول صلاة . فالفرق واضح جدا .

وعلى كل فليس هناك دليل يعتمد لمنع الحائض والجنب عن قراءة القرآن ولذا ذهب جماعة من أهل العلم لجوازه مطلقا وإن كان الأولى أن يمتنع الجنب اقتداء برسول الله ﷺ فقد روي عنه أنه لم يكن يمنعه من القرآن شيء إلا الجنابة . وهو مع ما قيل في تضعيفه لا يدل على المنع . وثبت عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه وهذا يشمل القرآن وغيره . وقد ذكر ابن حجر أن مراد البخاري بتوبيبه لحديث اصنعي كل ما يصنعه الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت ولا تصلي . بقوله : تقضي الحائط المناسك كلها إلا الطواف بالبيت الاستدلال على جواز قراءة الحائض والجنب واستحسن ذلك الحافظ .

وقد صح عن ابن عباس أنه كان لايرى بالقراءة للجنب بأسا وكان يقرأ ورده وهو جنب .

وقال حماد سألت سعيد بن المسيب عن الجنب هل يقرأ القرآن؟ فقال : فكيف لا يقرؤه وهو في جوفه ؟

وكذا جاء عن سعيد بن جبير وعكرمة وقال به الطبري وابن المنذر وداود وغيرهم .

أما ما روي في الحديث : لا يقرأ الحائض ولا الجنب شيئا من القرآن فهو حديث ضعيف لا يثبت .

وكذلك القصة التي فيها أن أحد الصحابة وقع على جاريته فشكت امرأته فيه فسألته فأنكر فطلبت منه أن يقرأ شيئا من القرآن ليثبت أنه ليس بجنب فقال لها : شهدت بأن الله رب العالمينا وأن النار مثوى الكافرينا وأن العرش فوق الماء طافي وفوق العرش رب العالمينا فلجهلها ظنت ذلك قرآنا فصدقته . فهي قصة باطلة سندا ومتنا .

والبعض يجيز للحائض القراءة للحاجة من تعلم أو تعليم أو للتعوذ ونحو ذلك وإطلاق الجواز هو الصواب والله تعالى أعلم .

قال السيوطي : وأما متنجس الفم فتكره له القراءة وقيل تحرم كمس المصحف باليد النجسة .

ولا يوجد دليل على ذلك والأولى لا شك إزالة النجاسة المتلبس بها لاستحباب الطهارة مطلقا .

وأما مس المصحف للقارئ المحدث سواء أكان حدثا أصغر أم أكبر

فقال النووي : يحرم على المحدث مس المصحف وحمله سواء حمله بعلاقته أو بغيرها سواء مس نفس الكتابة أو الحواشي أو الجلد ويحرم مس الخريطة والغلاف والصندوق إذا كان فيهن المصحف هذا هو المذهب المختار وقيل لا تحرم هذه الثلاثة وهو ضعيف ولو كتب القرآن في لوح فحكمه حكم المصحف سواء قل المكتوب أو كثر حتى لو كان بعض آية كتب للدراسة حرم مس اللوح .

قال : إذا تصفح المحدث أو الجنب أو الحائض أوراق المصحف بعود أو شبهه ففي جوازه وجهان لأصحابنا أظهرهما جوازه وبه قطع العراقيون من أصحابنا لأنه غير ماس ولا حامل والثاني تحريمه لأنه يعد حاملا للورقة والورقة كالجميع وأما إذا لف كمه على يده وقلب الورقة فحرام بلا خلاف وغلط بعض أصحابنا فحكى فيه وجهين والصواب القطع بالتحريم لأن القلب يقع باليد لا بالكم .

قال : إذا كتب الجنب أو المحدث مصحفا إن كان يحمل الورقة أو جسها حال الكتابة فحرام وإن لم يحملها ولم يمسها ففيه ثلاثة أوجه الصحيح جوازه والثاني تحريمه والثالث يجوز للمحدث ويحرم على الجنب

قال : إذا مس المحدث أو الجنب أو الحائض أو حمل كتابا من كتب الفقه أو غيره من العلوم وفيه آيات من القرآن أو ثوبا مطرزا بالقرآن أو دراهم أو دنانير منقوشة به أو حمل متاعا في جملته مصحف أو لمس الجدار أو الحلوى أو الخبز المنقوش به فالمذهب الصحيح جواز هذا كله لأنه ليس بمصحف وفيه وجه أنه حرام .

قال : وأما كتب تفسير القرآن فإن كان القرآن فيها أكثر من غيره حرم مسها وحملها وإن كان غيره أكثر كما هو الغالب ففيها ثلاثة أوجه أصحها لا يحرم والثاني يحرم والثالث إن كان القرآن بخط متميز بغلظ أو حمرة أو غيرها حرم وإن لم يتميز لم يحرم

قال : من لم يجد ماء فتيمم حيث يجوز التيمم له مس المصحف سواء كان تيممه للصلاة أو لغيرها مما يجوز التيمم له وأما من لم يجد ماء ولا ترابا فإنه يصلي على حسب حاله ولا يجوز له مس المصحف لأنه محدث جوزنا له الصلاة للضرورة ولو كان معه مصحف ولم يجد من يودعه عنده وعجز عن الوضوء جاز له حمله للضرورة قال القاضي أبو الطيب ولا يلزمه التيمم وفيما قاله نظر وينبغي أن يلزمه التيمم أما إذا خاف على المصحف من حرق أو غرق أو وقوع في نجاسة أو حصوله في يد كافر فإنه يأخذه ولو كان محدثا للضرورة .

قال : هل يجب على الولي والمعلم تكليف الصبي المميز الطهارة لحمل المصحف واللوح اللذين يقرأ فيهما ؟ فيه وجهان مشهوران أصحهما عند الأصحاب لا يجب للمشقة .

قلت : ذكرت هذه النقول للنظر والتعجب من هذه التدقيقات والخلافات العجيبة التي تتفاوت بين أصحاب المذهب الواحد وما ذلك إلا لأنها بمعزل عن الدليل الصحيح فإن القول بما تقدم فيه نظر واسع وأول ذلك مس القرآن المختلط بغيره فقد ثبت في الصحيح حديث هرقل أن النبي ﷺ كتب له آية من القرآن في كتابه وقد مسها هو وغيره من المشركين النجسين فلأن يمسها المسلم المحدث من باب أولى ولم ينقل أن النبي ﷺ أمر أحدا ممن حمل الرسالة أن يتوضأ لحملها ولا يوجد رائحة نص تمنع من مس ما كان كذلك . وهذه واحدة .

أما الثانية فإن كان جمهور أهل العلم على منع المحدث من مس المصحف ومع التسليم بأنه لا شك أن الأولى عدم المس خروجا من الخلاف إلا أن المسألة لا دليل عليها ينتهض

للاحتجاج مع التخبط في مسه بحائل وحمله بواسطة وتقليبه بأداة في تدقيقات ما أنزل الله بها من سلطان وليس لها حد ثابت يضبطها حتى مع التسليم بها .

وغاية ما يحتج به في المنع عند بعض أهل العلم قوله تعالى : في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون .

وهذه الآية لا علاقة لها بمس المصحف لأمور عدة منها :

أولا : اتفاق السلف على تفسيرها بلا أدنى خلاف بأن المراد بذلك اللوح المحفوظ الذي عند الله وأن المطهرون هم الملائكة . وقد قال الإمام مالك : هي مثل أختها : في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة .

ثانيا : أن الآية خبرية وإخراجها عن حقيقتها إلى المجاز وأن المراد بالخبر فيها الإنشاء وهو النهي خلاف الأصل وبغير دليل .

ثالثا : أن لفظ مطهرون لا يصح حمله على المتطهرين لأن المراد من طهره الله وهم الملائكة لا من طهر نفسه بنفسه .

رابعا : أن الآية مكية بالاتفاق ولم يكن ثم تشريعات دقيقة كهذه بل إن البعض ينازع في فرض الوضوء وقتئذ .

خامسا : أنه لم يكن وقتئذ مصحف حتى ينهى عن مس المحدث له فليت شعري كيف ينهى عما لا يوجد .

سادسا : أن القرآن لو سلمنا أنه كان قد كتب بعضه في مكة وأنه يمكن أن يطلق عليه مصحف تجاوزا فهو آيات كتبت في عظام الحيوانات وفي الحجارة وورق الشجر فكيف يقال عن ذلك : في كتاب مكنون ؟؟

سابعا : أين هذا المعنى المزعوم من سياق الآيات ؟ لا رابط البتة بين الآيات وبين هذا المعنى وإنما نزلت هذه الآيات ردا على المشركين كسائر أخواتها في ادعائهم تنزل الشياطين به على النبي ﷺ فقال لهم الله إن هذا القرآن عنده محفوظ مصون لا يصل إليه إلا الملائكة المقربون ولا ينزل به غيرهم .

وقال بعضهم : إن في الآية إرشادا لعدم مس المصحف للمحدث اقتداء بعدم مس اللوح المحفوظ إلا من المطهرين وهم الملائكة . وهذا القول مع التسليم لا حجة فيه على المنع وإنما يكون من باب الأفضلية فقط وقد قررنا ذلك .

وثمت دليل آخر وهو ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال : لا يمس القرآن إلا طاهر . وهذا جزء من كتاب عمرو بن حزم وقد طعن في إسناده جماعة من أهل العلم وضعفوه وعلى التسليم بثبوته فالمراد بقوله : طاهر هنا أي مسلم لأن الكتاب هذا أرسل إلى بلد بها أهل كتاب فهو مثل ما ثبت في الصحيح من نهي النبي ﷺ عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله . والمسلم طاهر دائما كما قال النبي ﷺ لأبي هريرة عندما تحرج من السلام عليه وهو جنب : سبحان الله إن المؤمن لا ينجس .

كما كان النبي ﷺ يدعو الكاتب ليكتب له القرآن فلا يستفصل منه هل هو على طهارة من الحدثين أم لا ؟ بل كان يكتب له كما في الصحيحين من كان منافقا وارتد وتنصر ومات ولم تقبله الأرض .

وكان علقمة بن قيس رحمه الله إذا أراد أن يتخذ مصحفا أمر نصرانيا فنسخه له .

والبعض يقول : هذا من تعظيم شعائر الله ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب . والجواب أن الاستدلال بالآية في غير محله ولو سلم لقيل : وجه التعظيم لابد فيه من دليل يدل عليه ولو كان ذلك بالاجتهاد لكانت كتابة القرآن في الرقاع والعسب واللخاف مخالفة للتعظيم وكان على النبي ﷺ أن يكتب القرآن في أرقى أنواع الورق في زمانه وبماء الذهب .

وليس لمس الصحيفة التي كتب بها القرآن بأعظم من وجود القرآن في الصدر وقد وصف الله القرآن بقوله : بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . فالجنب مماس للقرآن مخالط له بحفظه في صدره .

والخلاصة أنه لا دليل على المنع وإن كان الخروج من الخلاف أولى والله أعلم .

قال النووي : إذا كان في موضع من بدن المتطهر نجاسة غير معفو عنها حرم عليه مس المصحف بموضع النجاسة بلا خلاف ولا يحرم بغيره على المذهب الصحيح المشهور الذي قاله جماهير أصحابنا وغيرهم من العلماء .

ويستحب أن تكون القراءة في مكان نظيف مختار ولهذا استحب جماعة من العلماء القراءة في المسجد لكونه جامعا للنظافة وشرف البقعة

وأما القراءة في الحمام فقد اختلف السلف في كراهيتها فقال جماعة لا يكره ونقله ابن المنذر عن إبراهيم النخعي ومالك وهو قول عطاء وذهب إلى كراهته جماعة وقال الشعبي تكره القراءة في ثلاثة مواضع في الحمامات والحشوش وبيوت الرحى وهي تدور . وعن أبي ميسرة قال : لا يذكر الله إلا في مكان طيب .

وأما القراءة في الطريق فالمختار أنها جائزة غير مكروهة إذا لم يلته صاحبها فإن التهى عنها كرهت وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يقرأ في الطريق وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه أذن فيها وعن ابن وهب قال سألت مالكا عن الرجل يصلي من آخر الليل فيخرج إلى المسجد وقد بقي من السورة التي كان يقرأ فيها شيء قال ما أعلم القراءة تكون في الطريق وكره ذلك وهذا إسناد صحيح عن مالك رحمه الله

قلت : لا يوجد دليل على المنع من شيء من ذلك ولاشك أن الأفضل القراءة الخاشعة في المكان الطيب وقد ثبتت قراءة النبي ﷺ في الطريق عام الفتح وهو على ناقته كما في الصحيح .

ويستحب للقارئ في غير الصلاة أن يستقبل القبلة فقد جاء في الحديث خير المجالس ما استقبل به القبلة ويجلس متخشعا بسكينة ووقار مطرقا رأسه وهذا هو الأكمل ولو قرأ قائما أو مضطجعا أو في فراشه أو على غير ذلك من الأحوال جاز وله أجر ولكن دون الأول قال الله عز وجل إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض وثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكئ في حجري وأنا حائض ويقرأ القرآن رواه البخاري ومسلم وفي رواية يقرأ القرآن ورأسه في حجري وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال إني أقرأ القرآن في صلاتي وأقرأ على فراشي وعن عائشة رضي الله عنها قالت إني لا أقرأ حزبي وأنا مضطجعة على السرير .

نكتفي بهذا القدر ونستكمل سائر الآداب في المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أسئلة :

المجموعة الأولى: ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة

١- من إجلال الله تعالى إكرام حامل القرآن (صح)

٢- كتاب تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة في آداب طالب العلم ومنها آداب تالي القرآن (صح)

٣- قراءة القرآن أفضل من التسبيح وغيره من الأذكار (صح)

٤- لم يرد أن عثمان بن عفان والشافعي وغيرهما كانوا يختمون في اليوم ختمة (خطأ)

٥- ينبغي لحامل القرآن أن يتعاهده لئلا ينساه (صح)

٦- نسيان القرآن بعد حفظه كبيرة من كبائر الذنوب (خطأ)

٧- من تعلم علما يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة (صح)

٨- فرق بعض أهل العلم بين الحائض والجنب في قراءة القرآن (صح)

٩- جمهور أهل العلم على جواز مس المحدث للمصحف (خطأ)

١٠- يستحب أن تكون قراءة القرآن في مكان نظيف طاهر (صح)

المجموعة الثانية: ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة

١- آداب تالي القرآن أفردها بالتصنيف (النووي، السيوطي، العسقلاني)

٢- قوله تعالى:{يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون} تدل على (استحباب التدبر، استحباب اختيار الوقت، استحباب الإكثار من قراءة القرآن)

٣- أكثر ما ورد عن أهل العلم في كثرة القراءة للقرآن في اليوم الواحد (ثمان ختمات، أربعة، ستة)

٤- يستحب الوضوء لقراءة القرآن لأنه (أفضل الذكر، لا تجوز القراءة بدونه ، ورد النص بذلك)

٥- الأحاديث الواردة في نسيان القرآن لو صحت هي بمعنى (عدم الحفظ ، عدم قراءته ، ترك العمل بما جاء فيه)

٦- وجه التفرقة بين الجنب والحائض في قراءة القرآن (أن الجنب ليس بنجس، أن الحائض ليست نجسة ، أن الجنب يمكنه إزالة الجنابة متى شاء)

٧- الصحيح في قراءة القرآن للحائض (الجواز، المنع ، الجواز لضرورة)

٨- الصحيح في قراءة القرآن للجنب (الجواز، الاستحباب، الكراهية)

٩- قصة الصحابي الذي أجنب وأوهم امرأته أنه قرأ القرآن (صحيحة ، حسنة ، باطلة سندا ومتنا)

١٠- الأدلة المستدل بها على منع مس المصحف للمحدث (كلها صحيحة ، كلها ضعيفة ، لا تنتهض للاستدلال بها)

المجموعة الثالثة: ضع خطا تحت الإجابة المناسبة لملأ الفراغ

١- القول بكراهة قراءة المضطجع والماشي للقرآن (لا دليل عليه ، قول وجيه ، أدلته ثابتة)

٢- أولى آداب تالي القرآن....لأنها أساس قبول العمل(الجدية، اختيار الوقت المناسب، إخلاص النية)

٣- قيل " هتف العلم بـ .... فإن أجابه وإلا ارتحل (القول ، العمل، الفهم)

٤- كثير من التدقيقات التي ذكرها الإمام النووي في مس القرآن (لها أدلتها ، بمعزل عن الدليل ، وجيهة ومعتبرة)

٥- حديث لا يقرأ الحائض ولا الجنب شيئا من القرآن (ضعيف ، صحيح ، ثابت ولكن لا حجة فيه)

٦- يستحب لمن نام عن ورده من الليل أن ...(يتركه ، أن يستغفر الله ولا يعود ، أن يقضيه)

٧- حديث هرقل في الصحيحين دليل على.... لمس المحدث للقرآن المختلط بغيره (جواز ، تحريم ، كراهة)

٨- الصحيح أن الضمير في قوله تعالى:{لا يمسه إلا المطهرون} راجع إلى .... (اللوح المحفوظ، المصحف ، جميع الكتب المنزلة)

٩- كتاب النبي ﷺ لـ .... طعن في إسناده جماعة من أهل العلم (عمرو بن حزم ، أبي شاة ، علي بن أبي طالب)

١٠- المراد بالطاهر في قوله ﷺ : لا يمس القرآن إلا طاهر إن صح ...... (المسلم ، المتطهر من الحدث الأصغر ، المتطهر من الحدث الأكبر)

المحاضرة الثامنة عشرة

آداب تالي القرآن (٢)

***

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد

فاليوم نستكمل بعضا من آداب التالي للقرآن الكريم :

ومن هذه الآداب أنه يسن له أن يستاك تعظيما وتطهيرا فقد روى ابن ماجة عن علي موقوفا والبزار قال السيوطي : بسند جيد عنه مرفوعا : إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك .

قلت : الحديث فيه ضعف ولكن وردت أحاديث كثيرة في استحباب السواك مطلقا وفي إكثار النبي ﷺ منه فتشمل ذلك .

قال السيوطي : ولو قطع القراءة وعاد عن قرب فمقتضى استحباب التعوذ إعادة السواك أيضا .

وبعد السواك يسن له التعوذ وظاهر الأمر فيه الوجوب قال تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم أي إذا أردت قراءته وفي أمر الاستعاذة مسائل تكلمنا عنها في التفسير بشيء من التفصيل وحرر القول فيها الإمام ابن الجزري والنووي وغيرهما وخلاصتها أنه قد قيل بالاستعاذة بعد القراءة وهو قول واه والصحيح قبل القراءة واختلف في لفظها وأكمل ذلك أن يقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . ولو اقتصر على أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فهو حسن . واختلف هل يجهر بها خارج الصلاة أم يسر والمختار أن يجهر بها .

ومن مسائل الاستعاذة أيضا أنه إذا قطع القراءة بأمر أجنبي يعيد الاستعاذة مرة أخرى . وإذا كان يقرأ في جمع فلا يجزئه استعاذة غيره قال ابن الجزري : لأن المقصود اعتصام القارئ والتجاؤه بالله من شر الشيطان فلا يكون تعوذ واحد كافيا عن آخر انتهى

ثم بعد الاستعاذة يبسمل وفي ذلك مسائل أيضا ذكرنا طرفا منها في التفسير وحاصلها أنه لا يجهر بالبسملة في الصلاة وأما خارجها فحسب قراءة من يقرأ له على تفصيل ذلك في محله

فربما بسمل جهرا وربما سرا وربما وصل السورتين بدون بسملة . وفي الاستعاذة مع البسملة مع أول السورة أوجه وكذا عند وصل سورتين فهناك أوجه للقراء تنظر في موضعها .

ويبسمل القارئ في بداية كل سورة سوى سورة براءة . أما في وسط السور ومنها براءة فالبسملة مستحبة مطلقا على الراجح .

ويسن الترتيل في قراءة القرآن قال تعالى ورتل القرآن ترتيلا وروى أبو داود وغيره عن أم سلمة أنها نعتت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قراءة مفسرة حرفا حرفا

وفي البخاري عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم

وفي الصحيحين عن ابن مسعود أن رجلا قال له إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة فقال هذا كهذ الشعر إن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع

وأخرج الآجري عن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكون هم أحدكم آخر السورة .

والقراءة من حيث السرعة على ثلاثة أحوال : التحقيق والتوسط والحدر وتفصيل ذلك في علم التجويد .

ويجب على القارئ أن يراعي فيها جميعا أحكام التجويد :

قال ابن الجزري : والأخذ بالتجويد حتم لازم   من لم يجود القرآن آثم

لأنه به الإله أنزلا   وهكذا منه إلينا وصلا

وتحرير ذلك في محله .

واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع وقالوا : قراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزئين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله

وعن مجاهد أنه سئل عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما واحد سواء فقال الذي قرأ البقرة وحدها أفضل

وقال بعضهم : إن ثواب قراءة الترتيل أجل قدرا وثواب الكثرة أكثر عددا لأن بكل حرف عشر حسنات

واستحباب الترتيل للتدبر ولأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير وأشد تأثيرا في القلب ولهذا يستحب للأعجمي الذي لا يفهم معناه .

وتسن القراءة بالتدبر والتفهم فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب قال تعالى كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته

وقال أفلا يتدبرون القرآن وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل أو عذاب أشفق وتعوذ أو تنزية نزه وعظم أو دعاء تضرع وطلب

أخرج مسلم عن حذيفة قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها ثم النساء فقرأها ثم آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ

وروى أبو داود والنسائي وغيرهما عن عوف بن مالك قال قمت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ

وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى قال سبحان ربي الأعلى

وأخرج الترمذي والحاكم عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد .

قال النووي : قال أصحابنا رحمهم الله تعالى ويستحب هذا السؤال والاستعاذة والتسبيح لكل قارئ سواء كان في الصلاة أو خارجا منها قالوا ويستحب ذلك في صلاة الإمام والمنفرد

والمأموم لأنه دعاء فاستووا فيه كالتأمين عقب الفاتحة وهذا الذي ذكرناه من استحباب السؤال والاستعاذة هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وجماهير العلماء رحمهم الله .انتهى .

وقد روي عن بعض السلف أنه صعق عند القراءة ومات البعض فعن بهز بن حكيم أن زرارة بن أوفى التابعي الجليل أمهم في صلاة الفجر فقرأ حتى بلغ فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير خر ميتا قال بهز وكنت فيمن حمله .

وكان أحمد بن أبي الحواري إذا قرئ عنده القرآن يصيح ويصعق قال ابن أبي داود وكان القاسم بن عثمان الجوني رحمه الله ينكر على ابن الحواري وكان الجوني فاضلا من محدثي أهل دمشق تقدم في الفضل على ابن أبي الحواري . قال : وكذلك أنكره أبو الجوزاء وقيس بن جبير وغيرهم .

قال النووي : والصواب عدم الإنكار إلا على من اعترف أنه يفعله تصنعا والله أعلم .

قلت : الذي لا يقدر على دفع ذلك معذور ولكن هذا خلاف هدي النبي ﷺ وخيار الأمة من الصحابة وسائر التابعين والأئمة المهديين وهم اتقى وأورع وقد صنف شيخنا أبو عبد الرحمن الظاهري رسالة في إنكار ذلك فليراجعها من شاء .

قال النووي : ومن الآداب إذا قرأ نحو وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة أن يخفض بها صوته كذا كان النخعي يفعل

ولا بأس بتكرير الآية وترديدها روى النسائي وغيره عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بآية يرددها حتى أصبح إن تعذبهم فإنهم عبادك الآية

وعن تميم الداري رضي الله تعالى عنه أنه كرر هذه الآية حتى أصبح أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية .

وعن عبادة بن حمزة قال دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم فوقفت عندها فجعلت تعيدها وتدعو فطال علي ذلك فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو

وردد ابن مسعود رضي الله عنه رب زدني علما وردد سعيد بن جبير واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله وردد أيضا فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم الآية

وورد أيضا   ما غرك بربك الكريم   وكان الضحاك إذا تلا قوله تعالى   لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل   رددها إلى السحر

ويستحب البكاء عند قراءة القرآن والتباكي لمن لا يقدر عليه والحزن والخشوع قال تعالى ويخرون للأذقان يبكون

وفي الصحيحين حديث قراءة ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فإذا عيناه تذرفان .

وفي الشعب للبيهقي عن سعد بن مالك مرفوعا إن هذا القرآن نزل بحزن وكآبة فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا

وفيه من مرسل عبد الملك بن عمير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني قارئ عليكم سورة فمن بكى فله الجنة فإن لم تبكوا فتباكوا

وفي مسند أبي يعلى حديث اقرؤوا القرآن بالحزن فإنه نزل بالحزن

وعند الطبراني أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن يتحزن به

وهي روايات ضعيفة يستأنس بها .

وفي الصحيح بكاء أبي بكر الصديق عند قراءة القرآن وهو في مكة وفيه أيضا ذكر عائشة لذلك عندما استخلفه النبي ﷺ ليصلي بالناس في مرضه .

وعن أبي صالح قال قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فجعلوا يقرؤون القرآن ويبكون فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه هكذا كنا .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صلى بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته وفي رواية أنه كان في صلاة العشاء وفي رواية أنه بكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف .

وعن أبي رجاء قال رأيت ابن عباس وتحت عينيه مثل الشراك البالي من الدموع .

وقد روى ابن أبي داود بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ   إذا الشمس كورت يحزنها شبه الرثاء .

وعن هشام قال ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في الليل وهو في الصلاة .

قال النووي : والآثار في هذا كثيرة لا يمكن حصرها .

قال أبو حامد الغزالي : البكاء مستحب مع القراءة وعندها وطريقه في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في ذلك فإن لم يحضره حزن وبكاء ... فليبك على فقد ذلك فإنه من أعظم المصائب .

قال النووي : أجمع العلماء رضي الله عنهم من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن وأقوالهم وأفعالهم مشهورة نهاية الشهرة فنحن مستغنون عن نقل شيء من أفرادها ودلائل هذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مستفيضة عند الخاصة والعامة .

وقال السيوطي : يسن تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها لحديث ابن حبان وغيره زينوا القرآن بأصواتكم

وفي لفظ عند الدارمي حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا

وأخرج البزار وغيره حديث حسن الصوت زينة القرآن .

قلت : بل يجب لقوله ﷺ : ليس منا من لم يتغن بالقرآن . وقد تقدم في محاضرة فائتة ذكر طرف مما ورد في ذلك .

قال النووي : قال جمهور العلماء معنى لم يتغن لم يحسن صوته .

قال العلماء رحمهم الله فيستحب تحسين الصوت بالقراءة وترتيبها مالم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن أفرط حتى زاد حرفا أو أخفاه فهو حرام .

وأما القراءة بالألحان فنص الشافعي في المختصر أنه لا بأس بها وعن رواية الربيع الجيزي أنها مكروهة

قال الرافعي قال الجمهور: ليست على قولين بل المكروه أن يفرط في المد وفي إشباع الحركات حتى يتولد من الفتحة ألف ومن الضمة واو ومن الكسرة ياء أو يدغم في غير موضع الإدغام فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة

وقال الماوردي : القراءة بالألحان الموضوعة إن أخرجت لفظ القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه أو إخراج حركات منه أو قصر ممدود أو مد مقصور أو تمطيط يخفي به بعض اللفظ ويتلبس المعنى فهو حرام يفسق به القارئ ويأثم به المستمع لأنه عدل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج والله تعالى يقول قرآنا عربيا غير ذي عوج قال وإن لم يخرجه اللحن عن لفظه وقراءته على ترتيله كان مباحا لأنه زاد على ألحانه في تحسينه .

قال الشافعي في مختصر المزني ويحسن صوته بأي وجه كان قال وأحب ما يقرأ حدرا وتحزينا .

قال السيوطي : وفيه حديث اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق فإنه سيجيء أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم أخرجه الطبراني والبيهقي .

قلت : لا يصح الحديث .

فإن لم يكن حسن الصوت حسنه ما استطاع بحيث لا يخرج إلى حد التمطيط

وفي سنن أبي داود قيل لابن أبي مليكة أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت فقال يحسنه ما استطاع .

قال النووي : واعلم أن جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا وهم يستمعون وهذا متفق على استحبابه وهو عادة الأخيار والمتعبدين وعباد الله الصالحين وهو سنة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ علي القرآن فقلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل قال إني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان رواه البخاري ومسلم وروى الدارمي وغيره بأسانيدهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول لأبي موسى الأشعري ذكرنا ربنا فيقرأ عنده القرآن والآثار في هذا كثيرة معروفة .

وقد استحب العلماء أن يستفتح مجلس حديث النبي صلى الله عليه وسلم ويختم بقراءة قارئ حسن الصوت ما تيسر من القرآن .

ويستحب قراءة القرآن بالتفخيم لحديث الحاكم نزل القرآن بالتفخيم قال الحليمي : ومعناه أنه يقرؤه على قراءة الرجال ولا يخضع الصوت فيه ككلام النساء قال ولا يدخل في هذا كراهة الإمالة التي هي اختيار بعض القراء وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم فرخص مع ذلك في إمالة ما يحسن إمالته .

قلت : الحديث لا يصح وقد تعقب الذهبي الحاكم فيه ، والإمالة قراءة متواترة عن رسول الله ﷺ ولا علاقة لها بالحديث لو صح .

وقد جاءت أحاديث كثيرة في الصحيح وغيره دالة على استحباب رفع الصوت بالقراءة وجاءت آثار دالة على استحباب الإخفاء وخفض الصوت

ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به رواه البخاري ومسلم ومعنى أذن استمع

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة .

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد أذنا إلى الرجل حسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته رواه ابن ماجه .

وعن أبي موسى أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالليل حين يدخلون وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار رواه البخاري ومسلم .

وروى ابن أبي داود عن علي رضي الله عنه أنه سمع ضجة ناس في المسجد يقرؤون القرآن فقال طوبى لهؤلاء كانوا أحب الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال النووي : وفي إثبات الجهر أحاديث كثيرة وأما الآثار عن الصحابة والتابعين من أقوالهم وأفعالهم فأكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وهذا كله فيمن لا يخاف رياء ولا إعجابا

ولا نحوهما من القبائح ولا يؤذي جماعة يلبس عليهم صلاتهم ويخلطها عليهم وقد نقل عن جماعة السلف اختيار الإخفاء لخوفهم مما ذكرناه فعن الأعمش قال دخلت على إبراهيم وهو يقرأ بالمصحف فاستأذن عليه رجل فغطاه وقال لا يرى هذا أني أقرأ كل ساعة .

وعن أبي العالية قال كنت جالسا مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم فقال رجل منهم قرأت الليلة كذا فقالوا هذا حظك منه .

ويستدل لهؤلاء بحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة رواه أبو داود والترمذي والنسائي قال الترمذي حديث حسن .

قال ومعناه أن الذي يسر بقراءة القرآن أفضل من الذي يجهر بها لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية قال وإنما معنى هذا الحديث عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العجب لأن الذي يسر بالعمل لا يخاف عليه من العجب كما يخاف عليه من علانيته .

قال أبو حامد الغزالي وغيره من العلماء وطريق الجمع بين الأحاديث والآثار المختلفة في هذا أن الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل في حق من يخاف ذلك فإن لم يخف الرياء فالجهر ورفع الصوت أفضل لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى إلى غيره والمتعدي أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط ويوقظ غيره من نائم وغافل وينشطه قالوا فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل فإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر .

قال السيوطي : ويدل لهذا الجمع حديث أبي داود بسند صحيح عن أبي سعيد اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال ألا إن كلكم مناج لربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعضكم في القراءة .

قلت : وليس شرطا أن تكون صدقة السر أفضل من العلانية مطلقا وذلك على التفصيل في قوله تعالى : إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ... الآية .

وما ذكر من الآثار واضح أنه متعلق بالرياء حتى وإن كان بالقراءة سرا .

وقال بعضهم يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها لأن المسر قد يمل فيأنس بالجهر والجاهر قد يكل فيستريح بالإسرار

قال النووي : القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه لأن النظر فيه عبادة مطلوبة ونقل الغزالي في الإحياء أن كثيرين من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقرؤون من المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف وروى ابن أبي داود القراءة في المصحف عن كثيرين من السلف ولم أر فيه خلافا ولو قيل إنه يختلف باختلاف الأشخاص فيختار القراءة في المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة في المصحف وعن ظهر القلب ويختار القراءة عن ظهر القلب لمن لم يكمل بذلك خشوعه ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف لكان هذا قولا حسنا والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل

قال السيوطي : ومن أدلة القراءة في المصحف ما أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أوس الثقفي مرفوعا قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة وقراءته في المصحف تضاعف ألفي درجة

وأخرج أبو عبيد بسند ضعيف فضل قراءة القرآن نظرا على من يقرؤه ظاهرا كفضل الفريضة على النافلة

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود مرفوعا من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف وقال إنه منكر .

قلت : هذه كلها روايات لا تصح ويوجد أيضا غيرها مثلها والعبادة لا تثبت إلا بنص شرعي صحيح ولا يوجد . والعبرة بالتدبر والخشوع ولم يكن ثم مصحف يقرأ فيه على عهد رسول الله ﷺ وكان من الندرة بمكان في الصدر الأول .

وما أخرجه البيهقي عن ابن مسعود وقال السيوطي بسند حسن عنه موقوفا : أديموا النظر في المصحف . ليس صريحا في تفضيل القراءة من المصحف بل يمكن أن يريد به الإكثار من القراءة فليس كل الناس يحفظ عن ظهر قلب .

وحكى الزركشي في البرهان قولا ثالثا إن القراءة من الحفظ أفضل مطلقا وإن ابن عبد السلام اختاره لأن فيه من التدبر ما لا يحصل بالقراءة في المصحف .

قال النووي : اعلم أن قراءة الجماعة مجتمعين مستحبة بالدلائل الظاهرة وأفعال السلف والخلف المتظاهرة فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنه قال ما من قوم يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده قال الترمذي حديث حسن صحيح

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده رواه مسلم

والأحاديث في هذا كثيرة .

وروى ابن أبي داود أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان يدرس القرآن معه نفر يقرؤون جميعا

وروى ابن أبي داود فعل الدراسة مجتمعين عن جماعات من أفاضل السلف والخلف وقضاة المتقدمين .

وعن حسان بن عطية والأوزاعي أنهما قالا أول من أحدث الدراسة في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل في قدمته على عبد الملك .

وأما ما روى ابن أبي داود عن الضحاك بن عبد الرحمن أنه أنكر هذه الدراسة وقال ما رأيت ولا سمعت وقد أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ما رأيت أحدا فعلها.

وعن وهب قال قلت لمالك أرأيت القوم يجتمعون فيقرؤون جميعا سورة واحدة حتى يختموها فأنكر ذلك وعابه وقال ليس هكذا تصنع الناس إنما كان يقرأ الرجل على الآخر يعرضه .

قال النووي : فهذا الإنكار منهما مخالف لما عليه السلف والخلف ولما يقتضيه الدليل فهو متروك والاعتماد على ما تقدم من استحبابها .

قال : وأما فضيلة من يجمعهم على القراءة ففيها نصوص كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم الدال على الخير كفاعله وقوله صلى الله عليه وسلم لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير

لك من حمر النعم والأحاديث فيه كثيرة مشهورة وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا شك في عظم أجر الساعي في ذلك

وأما الإدارة بالقرآن وهو أن يجتمع جماعة يقرأ بعضهم عشرا أو جزءا أو غير ذلك ثم يسكت ويقرأ الآخر من حيث انتهى الأول ثم يقرأ الآخر فهذا جائز حسن وقد سئل مالك رحمه الله تعالى عنه فقال لا بأس به .

قلت : هو داخل فيما قبله .

قال ابن مجاهد : إذا شك القارئ في حرف هل بالتاء أو بالياء فليقرأه بالياء فإن القرآن مذكر وإن شك في حرف هل هو مهموز أو غير مهموز فليترك الهمز وإن شك في حرف هل يكون موصولا أو مقطوعا فليقرأ بالوصل وإن شك في حرف هل هو ممدود أو مقصور فليقرأ بالقصر وإن شك في حرف هل هو مفتوح أو مكسور فليقرأ بالفتح .

قلت أما مسألة التذكير فقد روي فيها أثر أخرجه عبد الرزاق عن ابن مسعود قال إذا اختلفتم في ياء وتاء فاجعلوها ياء ذكروا القرآن .

وقد اختلف القراء في بعض ذلك نحو ولا يقبل منها شفاعة ، يوم يشهد عليهم ألسنتهم.

وهذا ليس على إطلاقه ولا يوجد دليل على سائر ما ذكره ابن مجاهد وتفصيل ذلك في موضعه .

ومما يعتنى به احترام القرآن من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين القارئين مجتمعين فمن ذلك اجتناب الضحك واللغط والحديث في خلال القراءة إلا كلاما يضطر إليه وليمتثل قول الله تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون وليقتد بما رواه ابن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا قرأ القرآن لا يتكلم حتى يفرغ منه .

ومن ذلك العبث باليد وغيرها فإنه يناجي ربه سبحانه وتعالى فلا يعبث بين يديه ومن ذلك النظر إلى ما يلهي ويبدد الذهن وأقبح من هذا كله النظر إلى ما لا يجوز النظر إليه

وعلى الحاضرين مجلس القراءة إذا رأوا شيئا من المنكرات أن ينهوا عنه حسب الإمكان

ولا تجوز قراءة القرآن بالعجمية سواء أحسن العربية أو لم يحسنها سواء كان في الصلاة أم في غيرها فإن قرأ بها في الصلاة لم تصح صلاته وقال أبو حنيفة يجوز ذلك وتصح به الصلاة وقال أبو يوسف ومحمد يجوز ذلك لمن لم يحسن العربية ولا يجوز لمن يحسنها
وقد نقل بعضهم أن أبا حنيفة رجع عن ذلك ووجه المنع أنه يذهب إعجازه المقصود منه
وقال القفال : إن القراءة بالفارسية لا تتصور قيل له فإذن لا يقدر أحد أن يفسر القرآن قال ليس كذلك لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله ويعجز عن البعض أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله تعالى لأن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها وذلك غير ممكن بخلاف التفسير

وتجوز قراءة القرآن بالقراءات العشر ولا يجوز بغيرها ولا بالروايات الشاذة المنقولة عن القراء العشرة ولو قرأ بالشواذ في الصلاة بطلت صلاته إن كان عالما وإن كان جاهلا لم تبطل ولم تحسب له تلك القراءة وقد نقل الإمام أبو عمر بن عبد البر الحافظ إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ وأنه لا يصلى خلف من يقرأ بها قال العلماء من قرأ الشاذ إن كان جاهلا به أو بتحريمه عرف بذلك فإن عاد إليه أو كان عالما به عزر تعزيرا بليغا إلى أن ينتهي عن ذلك ويجب على كل متمكن من الإنكار عليه ومنعه الإنكار والمنع

وإذا ابتدأ بقراءة أحد القراء فينبغي أن يستمر على القراءة بها ما دام الكلام مرتبطا فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة أحد من السبعة والأولى دوامه على الأولى في هذا المجلس وتحرير هذا الكلام من جمع وإفراد وخلط في فن القراءات .

قال العلماء الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف فيقرأ الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران ثم ما بعدها على الترتيب وسواء قرأ في الصلاة أو في غيرها .
ودليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة فينبغي أن يحافظ عليها

ولو خالف الموالاة فقرأ سورة لا تلي الأولى أو خالف الترتيب فقرأ سورة ثم قرأ سورة قبلها جاز فقد جاء بذلك آثار كثيرة وقد قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الركعة الأولى من الصبح بالكهف وفي الثانية بيوسف .
وقد كره جماعة مخالفة ترتيب المصحف وروى ابن أبي داود عن الحسن أنه كان يكره أن يقرأ القرآن إلا على تأليفه في المصحف وبإسناده الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قيل له إن فلانا يقرأ القرآن منكوسا فقال ذلك منكوس القلب .
قلت : أثر ابن مسعود محمول على المعنى الآتي ذكره وهو تنكيس السورة لا على ما تقدم فقد ثبت في الصحيح قراءة النبي ﷺ لسورة النساء قبل آل عمران وإقرار النبي ﷺ الذي كان يستفتح قراءته بقل هو الله أحد قبل غيرها .
قال النووي : وأما قراءة السور من آخرها إلى أولها فممنوع منعا متأكدا فإنه يذهب بعض ضروب الإعجاز ويزيل حكمة ترتيب الآيات وقد روى ابن أبي داود عن إبراهيم النخعي الإمام التابعي الجليل والإمام مالك بن أنس أنهما كرها ذلك وأن مالكا كان يعيبه ويقول هذا عظيم .
قال : وأما تعليم الصبيان من آخر المصحف إلى أوله فحسن ليس هذا من هذا الباب فإن ذلك قراءة متفاصلة في أيام متعددة مع ما فيه من تسهيل الحفظ عليهم والله أعلم

وأما خلط سورة بسورة فعد الحليمي تركه من الآداب لما أخرجه أبو عبيد عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر ببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة فقال يا بلال مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة قال خلطت الطيب بالطيب فقال اقرأ السورة على وجهها أو قال على نحوها وهو مرسل صحيح وهو عند أبي داود موصول عن أبي هريرة بدون آخره
وأخرجه أبو عبيد من وجه آخر عن عمر مولى غفرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال إذا قرأت السورة فأنفذها .
و عن ابن عون قال سألت ابن سيرين عن الرجل يقرأ من السورة آيتين ثم يدعها ويأخذ في غيرها وقال ليتق أحدكم أن يأثم إثما كبيرا وهو لا يشعر

وأخرج عن ابن مسعود قال إذا ابتدأت في سورة فأردت أن تتحول منها إلى غيرها فتحول إلى قل هو الله أحد فإذا ابتدأت فيها فلا تتحول منها حتى تختمها

وأخرج عن ابن أبي الهذيل قال كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض الآية ويدعوا بعضها

قال أبو عبيد الأمر عندنا على كراهة قراءة الآيات المختلفة كما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال وكما كرهه ابن سيرين

وأما حديث عبد الله فوجهه عندي أن يبتدئ الرجل في السورة يريد إتمامها ثم يبدو له في أخرى فأما من ابتدأ القراءة وهو يريد التنقل من آية إلى آية وترك التأليف لآي القرآن فإنما يفعله من لا علم له لأن الله لو شاء لأنزله على ذلك انتهى

وقد نقل القاضي أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة

قال البيهقي : وأحسن ما يحتج به أن يقال إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النبي صلى الله عليه وسلم وأخذه عن جبريل فالأولى للقارئ أن يقرأه على التأليف المنقول وقد قال ابن سيرين تأليف الله خير من تأليفكم .

كما ينبغي للقارئ مراعاة الوقف والابتداء ولا يتقيد بالأعشار والأجزاء فإنها قد تكون في وسط الكلام المرتبط وهو علم مستقل من علوم القرآن أشرنا إليه في سابق محاضراتنا وموضع تفصيله في محله قال النووي : ولا تغترن بكثرة الغافلين له من القراء الذين لا يراعون هذه الآداب ولا يفكرون في هذه المعاني وامتثل ما روى الحاكم عن الفضيل بن عياض قال : لا تستوحش طرق الهدى لقلة أهلها ولا تغترن بكثرة الهالكين ولا يضرك قلة السالكين .

وصلى الله على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم .

أسئلة :

المجموعة الأولى: ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة

١- يستحب أن يستاك التالي للقرآن تعظيما له وتطهيرا لفمه (صح)

٢- اتفقوا على كراهية الإفراط في الإسراع بقراءة القرآن (صح)

٣- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أكمل ألفاظ الاستعاذة (خطأ)

٤- إذا قطع القارئ القراءة لأمر أجنبي أعاد الاستعاذة (صح)

٥- لا يستحب تحسين الصوت بالقرآن ولا التغني به لأنه حسن بدونه (خطأ)
٦- إن لم يكن القارئ حسن الصوت حسنه ما استطاع بحيث لا يخرج إلى حد التمطيط (صح)
٧- الإسرار بالقراءة في القرآن أفضل لمن خاف الرياء والجهر لغيره أفضل (صح)
٨- يجب على القارئ التقيد بالأعشار والأجزاء (خطأ)
٩- لا تجوز قراءة القرآن بالأعجمية (صح)
١٠- تجوز القراءة بالقراءات العشر المتواترة فقط ولا تجوز بغيرها (صح)

المجموعة الثانية: ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة

١- قراءة الجماعة للقرآن مجتمعين في المساجد وغيرها (دلت عليها السنن والآثار ، من المحدثات المكروهة ، لا يثبت فيها شيء)
٢- التحقيق والحدر من أحوال (القراءة، السماع، الكتابة)
٣- ظاهر الأمر بالاستعاذة في بداية القراءة المراد منه (الوجوب ، التأكيد ، الاستحباب)
٤- الذي ينكر على بعض قراء القرآن (البكاء عند القراءة ، التباكي عند القراءة ، التصنع المبالغ فيه والصياح)
٥- طلب القراءة من القارئ حسن الصوت (استحبه البعض ، متفق على استحبابه ، لا دليل عليه)
٦- الراجح في تفضيل القراءة من المصحف على الحفظ (أنه الصواب ، عدم ثبوت دليل فيه ، أنه ثبتت به الآثار)
٧- الأحاديث الخاصة بالسواك عند قراءة القرآن (ضعيفة والمراد منها صحيح ، ضعيفة ، صحيحة)
٨- مذهب أبي حنيفة في القرآن بالأعجمية (أنها تجوز وتصح بها الصلاة، لا تجوز ولا تصح بها الصلاة ، تجوز ولا تصح بها الصلاة)
٩- ينبغي لمن قرأ بقراءة أحد القراء (الاستمرار عليها في مجلسه ذلك ، الجمع بينها وبين غيرها ، القراءة بها دائما كلما قرأ)

١٠- مراعاة الترتيب في سور القرآن (تجب، تستحب، لا تجوز)

المجموعة الثالثة: ضع خطا تحت الإجابة المناسبة لملأ الفراغ

١- إذا كان القارئ يقرأ في جمع ..... استعاذة غيره (فيجزئه ، فلا يجزئه ، فليطلب)

٢- دلت الآثار المستفيضة على استحباب ..... عند قراءة القرآن (النحيب ، البكاء ، الاهتزاز)

٣- حديث اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق (ثابت ، لايثبت ، دليل معتبر)

٤- ترديد الآية الواحدة عدة مرات في الصلاة...... (ثبت عن النبي ﷺ وجماعة من السلف ، ثبت عن السلف فقط ، لم يثبت فيه شيء)

٥- البسملة في وسط براءة ..... مطلقا على الراجح (مكروهة ، واجبة ، مستحبة)

٦- الذي ذهب إليه ابن الجزري وغيره أن من لم يجود القرآن ..... (لاشيء عليه ، آثم ، كمن يجوده)

٧- إدارة القراءة بالقرآن من قارئ لآخر ...... (بدعة محدثة ، مكروهة ، حسنة لا بأس بها)

٨- الراجح أن التنكيس المحرم المراد منه ...... (قراءة السور بعكس ترتيبها ، قراءة الآيات بعكس ترتيبها ، قراءة المصحف من آخر سوره إلى أول سوره)

٩- إذا شك القارئ في حرف هل هو بالتاء أو بالياء فإنه يقرؤه.. (بالياء ، بالتاء ، بهما جميعا)

١٠- نقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه ..... القراءة بالشاذ(تجوز ، تكره ، لا تجوز)

المحاضرة التاسعة عشرة

آداب تالي القرآن (٣)

***

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد

فهذه المحاضرة هي آخر المحاضرات المتعلقة بآداب تالي القرآن نعرج فيها على مسائل هامة وجملة صالحة مما يتعلق بالأدب مع كتاب الله تعالى بصفة عامة ومن ذلك :

أنه يسن الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغط والحديث بحضور القراءة قال تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون .

وهذه الآية وإن كانت نازلة في وجوب الإنصات للقراءة في الصلاة وتحريم الكلام فيها فهي تؤكد على إنصات من جلس لاستماع قراءة القرآن بصفة عامة وأما من سمع قرآنا عرضا فلا يلزمه الإنصات وإن كان أفضل .

وأفضلية أوقات القراءة حسب ما ورد في الأوقات الفاضلة بصفة عامة والقراءة في الصلاة أفضل من خارجها .

وأما وهب ثواب القراءة للميت فهو فرع عن مسألة وصول ثواب الأعمال بصفة عامة والصحيح في ذلك عدم وصولها بل عدم مشروعية هذا العمل من أساسه وليس من هدي النبي ﷺ ولا سلف الأمة وقد دعت الدواعي لفعله فلم يفعلوه فقد ماتت للنبي ﷺ خديجة وأبناؤه الذكور وابنتاه رقية وأم كلثوم وعمه حمزة وابن عمه جعفر فلم يفعل شيئا من ذلك لأحد منهم مع محبته الشديدة لهم والله أعلم .

وأما الاقتباس من القرآن وهو تضمين الشعر أو النثر بعضه لا على أنه منه بألا يقال فيه قال الله تعالى ونحوه فقد اشتهر عن المالكية تحريمه وتشديد النكير على فاعله وسئل عنه الشيخ عز الدين ابن عبد السلام فأجازه واستدل له بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من قوله في الصلاة وغيرها وجهت وجهي إلى آخره وقوله اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين واغنني من الفقر

وفي سياق كلام لأبي بكر : وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وفي آخر حديث لابن عمر قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة انتهى

وهذا كله إنما يدل على جوازه في مقام الموعظ والثناء والدعاء وفي النثر لا دلالة فيه على جوازه في الشعر وبينهما فرق فإن القاضي أبا بكر من المالكية صرح بأن تضمينه في الشعر مكروه وفي النثر جائز

وقال بعضهم الاقتباس ثلاثة أقسام مقبول ومباح ومردود

فالأول ما كان في الخطب والمواعظ والعهود

والثاني ما كان في القول والرسائل والقصص

والثالث على ضربين :

أحدهما : ما نسبه الله إلى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكاية عماله : إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم

والآخر تضمين آية في معنى هزل ونعوذ بالله من ذلك كقوله

أوحى إلى عشاقه طرفه هيهات هيهات لما توعدون

وردفه ينطق من خلفه لمثل ذا فليعمل العاملون

قال السيوطي : وهذا التقسيم حسن جدا وبه أقول . قلت : وهو كما قال رحمه الله .

وأقول أيضا : إن ما جاز في النثر جاز في الشعر ولا أرى مجالا للتفرقة بينهما في مسألة التضمين .

ويقرب من الاقتباس شيئان

أحدهما قراءة القرآن يراد بها الكلام قال النووي :

ذكر ابن أبي داود في هذا اختلافا فروى النخعي أنه كان يكره أن يتأول القرآن لشيء يعرض من أمر الدنيا

وأخرج عن عمر بن الخطاب أنه قرأ في صلاة المغرب بمكة والتين والزيتون وطور سينين ثم رفع صوته فقال وهذا البلد الأمين

وأخرج عن حكيم بن سعيد أن رجلا من المحكمة أتى عليا وهو في صلاة الصبح فقال لئن أشركت ليحبطن عملك فأجابه في الصلاة فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون انتهى

قال النووي : قال أصحابنا إذا استأذن إنسان على المصلي فقال المصلي : ادخلوها بسلام آمنين فإن أراد التلاوة وأراد الإعلام لم تبطل صلاته وإن أراد الإعلام ولم يحضره نية بطلت صلاته . انتهى .

وقال بعضهم : يكره ضرب الأمثال في القرآن .

قلت : ومن ذلك القصة الطويلة في المرأة التي ظلت أربعين سنة لا تتكلم بشيء سوى القرآن وهي قصة لوائح الوضع والكذب عليها ظاهرة وهي أقرب إلى العبث والنبي ﷺ وصحابته وسلف الأمة وعلماؤها أولى بمثل ذلك لو كان مشروعا وما روي آنفا كان عرضا ولغرض مشروع والله تعالى أعلم .

الثاني : التوجيه بالألفاظ القرآنية في الشعر وغيره وهو جائز بلا شك .

وقال الزركشي في البرهان : لا يجوز تعدي أمثلة القرآن ولذلك أنكر على بعضهم قوله : أوهى من بيت العنكبوت .

والصواب أنه لا ينكر عليه إلا إذا قال : بيتا أوهى من بيت العنكبوت . أما إذا وصف شيئا كالحجة مثلا أو الدليل بأنه أوهى من بيت العنكبوت فلا سبيل لهذا الإنكار .

إذا أراد أن يستدل بآية فله أن يقول : قال الله تعالى كذا وله أن يقول : يقول الله تعالى كذا ولا فرق بين الاثنين وبهما وردت النصوص والآثار .

وقراءة القرآن مستحبة على الإطلاق إلا في أحوال مخصوصة جاء الشرع بالنهي عن القراءة فيها ومن ذلك تحريم القراءة في حالة الركوع والسجود في الصلاة لثبوت النص في ذلك وكره بعضهم القراءة فيما سوى القيام سوى القيام .

ولا تجوز القراءة بما زاد على الفاتحة للمأموم في الصلاة الجهرية لنهي النبي ﷺ عن ذلك .

قال بعض أهل العلم : وتكره حالة القعود على الخلاء وفي حالة النعاس وكذا إذا استعجم عليه القرآن وكذا في حالة الخطبة لمن يسمعها .
ولا تكره القراءة في الطواف وبه قال أكثر العلماء وكرهها بعضهم والصواب الأول .

وتوجد بدع مختلفة للقراءة في الصلاة لا نطيل بذكرها .
ومن الآداب أنه إذا تثاءب أمسك عن القراءة حتى ينقضي التثاؤب ثم يقرأ قال مجاهد وهو حسن ويدل عليه ما ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان يدخل رواه مسلم

وإذا ورد على القارئ من فيه فضيلة من علم أو شرف أو سن مع صيانة أو له حرمة بولاية أو ولادة أو غيرها فلا بأس بالقيام له .

إذا كان يقرأ ماشيا فمر على قوم يستحب أن يقطع القراءة ويسلم عليهم ثم يرجع إلى القراءة ولو أعاد التعوذ كان حسنا ولو كان يقرأ جالسا فمر عليه غيره فسلم عليه كفاه الرد بالإشارة فإن أراد الرد باللفظ رده ثم استأنف الاستعاذة على الأفضل وعاود التلاوة .
وأما إذا عطس في حال القراءة فإنه يستحب أن يقول الحمد لله وكذا لو كان في الصلاة ولو عطس غيره وهو يقرأ في غير الصلاة وقال الحمد لله يستحب للقارئ أن يشمته فيقول يرحمك الله ولو سمع المؤذن قطع القراءة وأجابه بمتابعته في ألفاظ الأذان والإقامة ثم يعود إلى قراءته .
وأما إذا طلبت منه حاجة في حال القراءة وأمكنه جواب السائل بالإشارة المفهمة وعلم أنه لا ينكسر قلبه ولا يحصل عليه شيء من الأذى للأنس الذي بينهما فالأولى أن يجيبه بالإشارة ولا يقطع القراءة فإن قطعها جاز والله أعلم

وهناك أحكام تتعلق بالقراءة في الصلاة مثل وجوب قراءة الفاتحة والجهر والإسرار والجمع بين السور في الركعة الواحدة والتأمين وكم يسكت الإمام ونحو ذلك لا نطيل بها هنا وقد تعرضنا لبعض ذلك في دروس التفسير .

وهناك آداب عامة مع القرآن على كل مسلم أن يلتزم بها
فقد ثبت في صحيح مسلم رضي الله عنه عن تميم الداري رضي الله عنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم قال العلماء رحمهم الله النصيحة لكتاب الله تعالى هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه في التلاوة والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاغين والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله والاعتناء بمواعظه والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحته .

وقد أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الإطلاق وتنزيهه وصيانته وأجمعوا على أن من جحد منه حرفا مما أجمع عليه أو زاد حرفا لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك فهو كافر
وأفتى محمد بن أبي زيد فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك قال أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن قال يؤدب القائل قال وأما من لعن المصحف فإنه يقتل .

ويحرم تفسيره بغير علم والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها والأحاديث في ذلك كثيرة والإجماع منعقد عليه وأما تفسيره للعلماء فجائز حسن والإجماع منعقد عليه .

ويحرم المراء في القرآن والجدال فيه بغير حق فمن ذلك أن يظهر فيه دلالة الآية على شيء يخالف مذهبه ويحتمل احتمالا ضعيفا موافقة مذهبه فيحملها على مذهبه ويناظر على ذلك

مع ظهورها في خلاف ما يقول وأما من لا يظهر له ذلك فهو معذور وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال المراء في القرآن كفر قال الخطابي المراد بالمراء الشك وقيل الجدال المشكك فيه وقيل وهو الجدال الذي يفعله أهل الأهواء في آيات القدر ونحوها

وينبغي لمن أراد السؤال عن تقديم آية على آية في المصحف أو مناسبة هذه الآية في هذا الموضع ونحو ذلك أن يقول ما الحكمة في كذا

ويكره أن يقول نسيت آية كذا بل يقول أنسيتها أو أسقطتها فقد ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو شيء نسي وفي رواية في الصحيحين أيضا بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي وثبت في الصحيحين أيضا عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرأ فقال رحمه الله لقد ذكرني آية كنت أسقطتها وفي رواية في الصحيح كنت أنسيتها وأما ما رواه ابن أبي داود عن أبي عبدالرحمن السلمي التابعي الجليل أنه قال لا تقل أسقطت آية كذا قل أغفلت فهو خلاف ما ثبت في الحديث الصحيح فالاعتماد على الحديث وهو جواز أسقطت وعدم الكراهة فيه .

ويجوز أن يقال سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء وهكذا وقد تكلمنا عن ذلك في غير هذا الموضع ولا يصح شيء في المنع منه بل الأدلة متضافرة على جوازه .

وكذلك لا يكره أن يقال هذه قراءة أبي عمرو أو قراءة نافع أو حمزة ونحو ذلك .

قال النووي : لا يمنع الكافر من سماع القرآن لقول الله تعالى وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ويمنع من مس المصحف وهل يجوز تعليمه القرآن قال أصحابنا إن كان لا يرجى إسلامه لم يجز تعليمه وإن رجي إسلامه فوجهان أصحهما يجوز رجاء إسلامه .

مسألة ختم القرآن وآداب ذلك :

قد ألف في هذه المسألة من المعاصرين الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رسالة سماها مرويات دعاء ختم القرآن والشيخ إبراهيم الأخضر رسالة سماها تكبير الختم بين القراء والمحدثين

والرسالتان مطبوعتان متداولتان وقد تشدد الشيخان حفظهما الله في بعض ما ذكراه فلينتبه لذلك .

قال السيوطي : والأفضل الختم أول النهار أو أول الليل لما رواه الدارمي بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص قال إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وإن وافق ختمه أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي .

وروى ابن أبي داود عن عمرو بن مرة التابعي قال كانوا يحبون أن يختم القرآن من أول الليل أو من أول النهار وعن طلحة بن مصرف التابعي الجليل قال من ختم القرآن أية ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي وأية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وعن مجاهد مثله

واستحب بعضهم صيام يوم الختم إلا أن يصادف يوما نهى الشرع عن صيامه روى ابن أبي داود _ قال النووي : بإسناده صحيح _ أن طلحة بن مصرف وحبيب بن أبي ثابت والمسيب بن رافع التابعيين الكوفيين كانوا يصبحون في اليوم الذي يختمون فيه القرآن صياما .

ويستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن وهي قراءة المكيين أخرج البيهقي في الشعب وابن خزيمة من طريق ابن أبي بزة سمعت عكرمة بن سليمان قال قرأت على إسماعيل بن عبد الله المكي فلما بلغت الضحى قال كبر حتى تختم فإني قرأت على عبد الله بن كثير فأمرني بذلك وقال قرأت على مجاهد فأمرني بذلك وأخبرني مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك كذا أخرجناه موقوفا ثم أخرجه البيهقي من وجه آخر عن ابن بزة مرفوعا

وأخرجه من هذا الوجه أعني المرفوع الحاكم في مستدركه وصححه وله طرق كثيرة عن البزي

وعن موسى بن هارون قال قال لي البزي قال لي محمد بن إدريس الشافعي إن تركت التكبير فقدت سنة من سنن نبيك .

قال الحافظ عماد الدين بن كثير : وهذا يقتضي تصحيحه للحديث .

قلت : التكبير ثابت في رواية القراءة وبإسناد الإقراء فحكمه حكم نفس القراءة ولا يضر ما هو معروف من ضعف البزي في الحديث فلا عبرة بالقول بضعف التكبير حيث لم يفرق من ذهب إليه بين رواية الحديث ورواية الإقراء .

وفي كيفية التكبير تفصيل تراجع في كتب القراءات .

ويسن الدعاء عقب الختم ويستحب أن يجمع أهله وجيرانه وأن يشرع في ختمة أخرى كما نص عليه السيوطي وغيره .

قلت : كنت قد كتبت في تلك المسألة جوابا مطولا لبعض أهل العلم ويجمل بنا أن نذكره هنا لحاجة قارئ القرآن إليه فأقول :

إن دعاء المقرئ عند ختم القرآن بعد أن ينتهي من المعوذتين وقراءة الفاتحة وخمس آيات من أول البقرة قد أشكل على البعض من غير المتخصصين في علم القراءات ولتوضيح هذا الإشكال نسوق ما يلي :

أولا : يجب التنبه إلى أن أمور القراءات يبحث عنها في الكتب المتخصصة بها لا في كتب الحديث ونحوها ، وقد ورد ما تقدم نصا في قراءة إمام قراء مكة ابن كثير رحمه الله من روايتي البزي وقنبل وغيرهما ، وهي قراءة من القراءات السبع المتواترة التي اتفقت الأمة على ثبوتها ومن طعن فيما جاء بها فتح بابا للطعن في القرآن الكريم جملة ، لأنه لا فرق بين نقل أصول وحروف تلك القراءة وبين نقل هذا الدعاء بهذه الكيفية فالطرق واحدة والأسانيد هي عينها .

ثانيا : قد ذكر الحافظ أبو عمرو الداني أن لابن كثير في فعله هذا دلائل من آثار مروية ورد التوقيف فيها عن النبي ﷺ وأخبار مشهورة مستفيضة جاءت عن الصحابة والتابعين والخالفين .

وهذا الذي ذكره نفصله بإيجاز فيما يلي :

أما مجيؤه مرفوعا فقد روي عن :

أبي بن كعب عنه ﷺ أنه كان إذا قرأ قل أعوذ برب الناس افتتح من الحمد ثم قرأ من البقرة إلى وأولئك هم المفلحون ثم دعا بدعاء الختمة ثم قام .

أخرجه الدارمي وأبو عمرو الداني والحافظ أبو العلاء الهمداني وغيرهم وفيه اختلاف في إسناده وقد حسنه أبو عمرو ، والسيوطي .

جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : من قرأ القرآن كانت له عند الله دعوة مستجابة إن شاء الله عجلها له في الدنيا وإن شاء ادخرها له في الآخرة .

أخرجه الطبراني وغيره

عن العرباض بن سارية مرفوعا : من ختم القرآن فله دعوة مستجابة .

أخرجه الطبراني وغيره

أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : مع كل ختمة دعوة مستجابة .

أخرجه البيهقي وغيره

وعنه أن النبي ﷺ كان إذا ختم القرآن جمع أهله . قال البيهقي : رفعه وهم والصحيح عن أنس موقوفا .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : من استمع حرفا ... ومن قرأه فختمه كتبت له عند الله دعوة مستجابة معجلة أو مؤخرة .

أخرجه ابن عدي والبيهقي وغيرهما

عن داود بن قيس رحمه الله قال : كان رسول الله ﷺ يقول عند ختم القرآن : اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي إماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لي حجة يارب العالمين .

رواه الأرجاني في فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك في الشمائل

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : من قرأ القرآن وحمد الرب وصلى على النبي ﷺ واستغفر ربه فقد طلب الخير من مكانه . رواه البيهقي في الشعب .

وعنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا ختم القرآن دعا قائما . أخرجه ابن الجوزي في الوفا .

وعن علي بن الحسين زين العابدين عن النبي ﷺ أنه كان إذا ختم القرآن حمد الله بمحامد وهو قائم ثم يقول : الحمد لله رب العالمين ...فذكر دعاء طويلا . أخرجه البيهقي في الشعب .

وهذه وإن كانت كلها لا تخلو من مقال فهي تدل بمجموعها على أصل ذلك .

وأما الآثار :

فعن أنس بن مالك أنه كان يجمع أهله وجيرانه عند الختم ويدعو بهم . أخرجه ابن الضريس والطبراني وغيرهما وروي مرفوعا وقال البيهقي : الصحيح عن أنس موقوفا.

عن قتادة قال : كان بالمدينة رجل يقرأ القرآن من أوله إلى آخره على أصحاب له فكان ابن عباس يضع عليه الرقباء فإذا كان عند الختم جاء ابن عباس فشهده .

عن ابن مسعود : من ختم القرآن فله دعوة مستجابة . رواه ابن أبي داود في فضائله.

عن مجاهد قال : كانوا يجتمعون عند ختم القرآن يقولون تنزل الرحمة . وعنه : إن الدعاء مستجاب عند ختم القرآن .

وعن الحكم قال : أرسل إلي مجاهد وعنده ابن أبي لبابة قال : إنما أرسلنا إليك أنا نريد أن نختم القرآن وكان يقال : إن الدعاء مستجاب عند ختم القرآن . فلما فرغوا من ختم القرآن دعا بدعوات .

عن إبراهيم النخعي قال : كانوا يستحبون إذا ختموا القرآن أن يقرءوا من أوله آيات .

وروى الدارمي عن حميد الأعرج قال : من قرأ القرآن ثم دعا أمن على دعائه أربعة آلاف ملك

وروى الحاكم النيسابوري أن عبدالله بن المبارك كان إذا ختم القرآن كان أكثر دعائه للمسلمين والمؤمنين والمؤمنات .

وعن ابن المبارك أنه كان يعجبه إذا ختم القرآن أن يكون دعاؤه في السجود .

وكان البخاري رحمه الله يختم عند الإفطار كل ليلة في رمضان ويقول : عند كل ختم دعوة مستجابة .

وقال حنبل : سمعت أحمد يقول في ختم القرآن : إذا فرغت من قراءتك قل أعوذ برب الناس فارفع يديك في الدعاء قبل الركوع . قلت : إلى أي شيء تذهب في هذا ؟ قال : رأيت أهل مكة يفعلونه وكان سفيان بن عيينة يفعله معهم بمكة .

قال عباس بن عبد العظيم : وكذلك أدركت الناس بالبصرة وبمكة وروى أهل المدينة في هذا أشياء وذكر عن عثمان بن عفان .

وفي كتاب الفروع لابن مفلح قال : ولا يقرأ الفاتحة وخمسا من البقرة نص عليه . قال الآمدي : يعني قبل الدعاء . وقيل : يستحب .

وقال ابن الجزري : وصار العمل على هذا في أمصار المسلمين في قراءة ابن كثير وغيرها وقراءة العرض وغيرها حتى لا يكاد أحد يختم ختمة إلا ويشرع في الأخرى ... بل جعل ذلك عندهم من سنة الختم ويسمون من يفعل هذا الحال المرتحل أي الذي حل في قراءته آخر الختمة وارتحل إلى ختمة أخرى ... وهو الذي يدل عليه تفسير الحديث عن النبي ﷺ : أفضل الأعمال الحال المرتحل .

وهذا الحديث رواه الترمذي والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان وابن الجزري في النشر وغيرهم وزاد في بعض طرقه : وما الحال المرتحل ؟ قال : فتح القرآن وختمه صاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره ومن آخره إلى أوله كلما حل ارتحل .

وقد صوب الترمذي إرساله وقطع مكي بن أبي طالب بصحته وأيده ابن الجزري بذكر طرقه ومتابعاته .

وقال ابن الجزري : ومن الأمور المتعلقة بالختم الدعاء عقيب الختم وهو أهمها وهو سنة تلقاها الخلف عن السلف .

وليس ذلك بلازم لكل قارئ بل الأمر كما قال فارس بن أحمد وغيره : من فعله فحسن ومن لم يفعله فلا حرج عليه .

وانظر للاستفاضة : النشر لابن الجزري ٢/٤٤٠-٤٦٩ ، الإتقان ١/١٤٥-١٤٧، سنن القراء ومناهج المجودين للقاري ص٢٢٦-٢٢٩

ومن تتمات ما يتعلق بالختم ما جاء عن الإمام أحمد أنه منع من تكرير سورة الإخلاص عند الختم لكن عمل الناس على خلافه قال بعضهم والحكمة فيه ما ورد أنها تعدل ثلث القرآن فيحصل بذلك ختمة فإن قيل فكان ينبغي أن تقرأ أربعا واحدة للختمة الأصلية وثلاثا للختمة التقديرية ليحصل له ختمتان قلنا المقصود أن يكون على يقين من حصول ختمة إما التي قرأها وإما التي حصل ثوابها بتكرير السورة .

سجود القرآن :

وهذه المسألة صنف فيها من المعاصرين الشيخ عطية محمد سالم رسالة سماها سجود التلاوة مواضعه وموضوعاته وهي مطبوعة متداولة .

وفي سجود القرآن مسائل :

أولا : اختلف في حكمه هل هو واجب أم مندوب ؟

والصواب أنه مندوب وهو قول الجمهور ويكره لمن يقرأ سجدتي الحج ألا يسجد لقوله ﷺ فمن لم يسجد فلا يقرأهما .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا : إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي ويقول : ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار .

واحتج الجمهور بما صح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأ على المنبر يوم الجمعة سورة النمل حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال يا أيها الناس إنما نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه ولم يسجد عمر رواه البخاري وهذا الفعل والقول من عمر رضي الله عنه في هذا المجمع دليل ظاهر وثبت في الصحيحين عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم والنجم فلم يسجد .

ثانيا : اختلف في مواضعه

يسن السجود عند قراءة آية السجدة وعددها المختار الذي قاله الجماهير أنها أربع عشرة سجدة في الأعراف والرعد والنخل وسبحان ومريم وفي الحج سجدتان وفي الفرقان والنمل وألم السجدة وحم السجدة والنجم وإذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك وأما سجدة ص فمثلهم بل آكد من بعض ما ذكر كما سبق .

ومما يجدر الإشارة إليه هنا أنه مما اختلف فيه من السجدات : سجدة سورة ص وهي في الثبوت أصح من كثير مما اتفق عليه وكذلك سجدتا الحج فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : إنها فضلت بسجدتين .

ومحلها كما هو ملحق في المصاحف المطبوعة المتداولة ولا خلاف يعتد به في شيء من مواضعها إلا التي في حم فإن العلماء اختلفوا فيها فذهب جماعة إلى إنها عقيب يسأمون

وذهب آخرون إلى أنها عقيب قوله تعالى إن كنتم إياه تعبدون . والعمل على الأول والفارق غير مؤثر .

ثالثا : اختلف في الأحكام المتعلقة به وهي مترتبة على كونه يلحق بالصلاة أو لا ؟
والصواب أنه ليس بصلاة وهو كسجود الشكر ويلحق بالأذكار فلا يشترط له ما يشترط للصلاة وقد بوب البخاري لذلك بقوله : سجود المسلمين مع المشركين والمشرك نجس ليس له وضوء وكان ابن عمر ﷺ يسجد على غير وضوء .
قلت : وصح ذلك أيضا عن الشعبي أخرجه ابن أبي شيبة وكان أبو عبد الرحمن السلمي يسجد على غير وضوء إلى غير القبلة وهو يمشي يومئ إيماء .
وإذا قرأ السجدة وهو راكب على دابة سجد بالإيماء .
ويسجد في جميع السجدات سواء أكان في صلاة أم خارجها وقد ثبت سجود النبي ﷺ في الصلاة .
وإذا سجد في الصلاة فإذا رفع إن شاء قرأ وإن شاء ركع دون قراءة بعد السجدة فقد جاءت بذلك الآثار .
رابعا : كيفيته وما يقال فيه :
أما كيفيته فهو سجدة واحدة يسن أن يقول فيها الدعاء الوحيد الثابت في ذلك وهو ما ذكرناه في فضل سورة ص وهو أن يقول اللهم اكتب لي بها عندك أجرا واجعلها لي عندك ذخرا وضع عني وزرا واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود .
واختلف في التكبير له والأولى أن يفعله إذا كان إماما في الصلاة لعموم نصوص التكبير عند كل خفض ورفع بخلاف خارجها .
وأما رفع اليدين والتشهد والتسليم فظاهر السنة لا يؤيد من قال بذلك والله أعلم .
ويسجد القارئ والمستمع والسامع مطلقا ولا دليل على اشتراط سجود القارئ ليسجد المستمع والسامع .
ولا فرق بين أن يكون القارئ مسلما بالغا متطهرا رجلا وبين أن يكون كافرا أو صبيا أو محدثا أو امرأة هذا هو الصحيح .

قال العلماء ينبغي أن يقع عقيب آية السجدة التي قرأها أو سمعها فإن أخر ولم يطل الفصل سجد وإن طال فقد فات السجود فلا يقضي على المذهب الصحيح المشهور .

وإذا قرأ السجدات كلها أو سجدات منها في مجلس واحد سجد لكل سجدة بلا خلاف فإن كرر الآية الواحدة في مجالس سجد لكل مرة بلا خلاف فإن كررها في المجلس الواحد نظر فإن لم يسجد للمرة الأولى كفاه سجدة واحدة عن الجميع وإن سجد للأولى ففيه ثلاثة أوجه أصحها يسجد لكل مرة سجدة لتجدد السبب وليحصل له الأجر .

ولا يقوم الركوع مقام سجدة التلاوة في حال الاختيار وهذا مذهب جماهير العلماء السلف والخلف .

وهناك تفصيلات فيما ذكرناه وغيره تراجع في مظانها والله الموفق .

أخذ الأجرة على القرآن :

قال السيوطي : يكره اتخاذ القرآن معيشة يتكسب بها وأخرج الآجري من حديث عمران بن الحصين مرفوعا من قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيأتي قوم يقرؤون القرآن يسألون الناس به.

قال : وروى البخاري في تاريخه الكبير بسند صالح حديث من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه لعن بكل حرف عشر لعنات .

وقال النووي :

ومن أهم ما يؤمر به أن يحذر كل الحذر من اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها فقد جاء عن عبدالرحمن بن شبيل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه .

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القرآن من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه .

ومعناه يتعجلون أجره إما بمال وإما سمعة ونحوها .

وعن فضيل بن عمرو رضي الله عنه قال دخل رجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجدا فلما سلم الإمام قام رجل فتلا آيات من القرآن ثم سأل فقال أحدهما إنا لله وإنا إليه راجعون سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيجيء قوم يسألون بالقرآن

فمن سأل بالقرآن فلا تعطوه وهذا الإسناد منقطع فإن الفضيل بن عمرو لم يسمع الصحابة .

وأما أخذ الأجرة على تعليم القرآن فقد اختلف العلماء فيه فحكى الإمام أبو سليمان الخطابي منع أخذ الأجرة عليه من جماعة من العلماء منهم الزهري وأبو حنيفة .

وعن جماعة أنه يجوز إن لم يشترطه وهو قول الحسن البصري والشعبي وابن سيرين وذهب عطاء ومالك والشافعي وآخرون إلى جوازها إن شارطه واستأجره إجارة صحيحة وقد جاء بالجواز الأحاديث الصحيحة .

واحتج من منعها بحديث عبادة بن الصامت أنه علم رجلا من أهل الصفة القرآن فأهدى له قوسا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن سرك أن تطوق بها طوقا من نار فاقبلها وهو حديث مشهور رواه أبو داود وغيره وبآثار كثيرة عن السلف .

وأجاب المجوزون عن حديث عبادة بجوابين أحدهما أن في إسناده مقالا والثاني أنه كان تبرع بتعليمه فلم يستحق شيئا ثم أهدي إليه على سبيل العوض فلم يجز له الأخذ بخلاف من يعقد معه إجارة قبل التعليم والله أعلم

قلت : الذي يظهر التفرقة بين أخذ الأجرة على القراءة للسؤال بها وبين أخذها على التعليم والرقية ونحو ذلك . ولاشك في ثبوت النصوص على أخذ الأجر على التعليم والرقية وإن كان الأولى في ذلك كما هو الحال في كل ما يتخذ قربة لله أن يكون بالاحتساب والله أعلم .

مسائل تتعلق بالمصحف وكتابته :

اختلف العلماء في كتابة القرآن في إناء ثم يغسل ويسقى المريض فقال الحسن ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي لا بأس به وكرهه النخعي وقال القاضي حسين والبغوي وغيرهما ولو كتب القرآن على الحلوى وغيرها من الأطعمة فلا بأس بأكلها .

وكره بعض أهل العلم نقش الحيطان والثياب بالقرآن وبأسماء الله تعالى قال عطاء لا بأس بكتب القرآن في قبلة المسجد وأما كتابة الحروز من القرآن فقال مالك لا بأس به إذا كان في قصبة أو جلد وخرز عليه .

اتفق العلماء على استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها وتبيينها وإيضاحها وتحقق الخط دون مشقه وتعليقه قال العلماء ويستحب نقط المصحف وشكله فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيفه .

ولا تجوز كتابة القرآن بشيء نجس .

وأجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه .

قال أهل العلم : ولو ألقاه مسلم في القاذورة والعياذ بالله تعالى صار الملقي كافرا

وقال بعضهم : يحرم توسده بل توسد آحاد كتب العلم حرام وهذا فيه نظر ولا يسلم إلا إذا كان على سبيل الاستخفاف أو الإهانة فليس بمحرم فقط بل يصل إلى الكفر .

وما روي في توسد القرآن فلأهل العلم فيه مذاهب في معناه .

ولا شك أنه يستحب أن يوضع المصحف على نحو وسادة وما شابهها لما ثبت في سنن أبي داود أن النبي ﷺ دخل بيت المدراس عند اليهود فلما أتي بالتوراة دعا بوسادة ووضع التوراة عليها ولا شك أن القرآن أولى وأفضل .

وأما القول باستحباب القيام له فلا دليل عليه بل هو أقرب إلى البدعة والاستدلالات العقلية لا تسلم لأصحابها ويمكن ردها بسهولة .

وأما وضع المصحف على الوجه وتقبيله فقد وردت فيه آثار ومن ذلك ما رواه الدارمي قال النووي بإسناد صحيح عن ابن أبي مليكة أن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه كان يضع المصحف على وجهه ويقول كتاب ربي كتاب ربي .

وتحرم المسافرة بالمصحف إلى أرض العدو إذا خيف وقوعه في أيديهم للحديث المشهور في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله . أما إذا أمن تمكن الكافر منه فالذي يظهر جوازه والله أعلم .

وأما إرسال ما فيه شيء من القرآن فقد ثبت في الصحيح ما يجيزه وهو ما أرسله النبي ﷺ إلى هرقل .

ويمنع المجنون والصبي الذي لا يميز من مس المصحف مخافة من انتهاك حرمته وهذا المنع واجب على الولي وغيره ممن رآه يتعرض لحمله

ويصح بيع المصحف وشراؤه والصحيح أنه لا كراهة في شرائه أو بيعه ومن قال بذلك الحسن البصري وعكرمة والحكم بن عيينة وهو مروي عن ابن عباس والتفرقة بين البيع والشراء عند بعض أهل العلم ليست وجيهة لأن الشراء مستلزم للبيع ولا دليل على المنع من شيء منهما ولا دخل لذلك في آيات الاشتراء بآيات الله ثمنا قليلا لأن المراد منها بداهة لا علاقة له ببيع المصحف وإنما هي متعلقة بترك أو تحريف أوامر الله عز وجل في مقابل عرض الدنيا الزائل من جاه ونحوه .

ونختم محاضرة اليوم بكلام جامع لبعض آداب التالي لكتاب الله فينبغي له أن يكون على أكمل الأحوال وأكرم الشمائل وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه إجلالا للقرآن وأن يكون مصونا عن دنيء الاكتساب شريف النفس مرتفعا على الجبابرة والجفاة من أهل الدنيا متواضعا للصالحين وأهل الخير والمساكين وأن يكون متخشعا ذا سكينة . وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفطرون وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يختالون وعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار وعن الفضيل بن عياض قال ينبغي لحامل القرآن أن لا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم وعنه أيضا قال حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن .

هذا والله تعالى أعلم جعلني الله وإياكم من أهل القرآن ورزقنا الأدب مع القرآن وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أسئلة :

المجموعة الأولى: ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة

١- الأوقات الفاضلة أفضل من غيرها لقراءة القرآن (صح)

٢- الاقتباس من القرآن ثلاثة أنواع: مقبول ومباح ومردود (صح)

٣- الصحيح أنه يجب التفريق بين الشعر والنثر في مسألة التضمين (خطأ)

٤- قراءة القرآن في الركوع والسجود أفضل من غيرها (خطأ)

٥- إذا سمع القارئ المؤذن قطع القراءة وتابع المؤذن (صح)

٦- لا يمنع الكافر من سماع القرآن (صح)

٧- إذا كان يقرأ ماشيا فمر على قوم يستحب أن يقطع القراءة ويسلم عليهم(صح)

٨- وهب النبي ﷺ ثواب بعض قراءته لخديجة وابنتيه بعد موتهن لحبه الخير لهن (خطأ)

٩- يكره أن يقول نسيت آية كذا بل يقول أنسيتها أو أسقطتها (صح)

١٠- استحب بعضهم صيام يوم الختم (صح)

المجموعة الثانية: ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة

١- وهب ثواب القراءة للميت (لا يجوز، يجوز، يستحب)

٢- نزل قوله تعالى:{وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا}في (الإنصات في الصلاة، السكوت للمستمع، السكوت للسامع)

٣- قصة المرأة التي ظلت أربعين سنة لا تتكلم إلا بالقرآن (ثابتة ، دليل على أفضلية ذلك ، لوائح الوضع والكذب عليها واضحة)

٤- "أوهى من بيت العنكبوت" إذا ضرب مثلا للحجة الواهية فهو (جائز ، لا يجوز، مكروه)

٥- "ما الحكمة في كذا" الأسلوب المناسب للسؤال عن (سبب النزول، مناسبة الآيات، تفسير غريب القرآن)

٦- في قراءة المكيين يستحب التكبير من .... (والضحى، عم يتساءلون، ألم نشرح لك صدرك)

٧- دعاء ختم القرآن .... (مستحب، واجب، من فعله فحسن ومن لم يفعله يأثم)

٨- الراجح في سجود التلاوة أنه ...... (واجب ، مستحب ، جائز)

٩- المختار عند الجمهور في عدد سجود التلاوة .... (١٤ سجدة، ٢٠ سجدة، ١١ سجدة)

١٠- الصحيح في سجدة التلاوة أنها ..... (ليست بصلاة، صلاة، ليست عبادة أصلا)

المجموعة الثالثة ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملأ الفراغ

١- .....هو تضمين الشعر والنثر بعضا من القرآن (الإمالة، الاقتباس، الإحاطة)

٢- ..... بيع المصحف وشراؤه والصحيح على الصحيح من أقوال أهل العلم (يجوز ، يكره ، يحرم)

٣- ..... المسافرة بالمصحف إلى أرض العدو إذا خيف وقوعه في أيديهم (تجوز ، تحرم ، تكره)

٤- ...... في الحديث ما يدل على إرسال ما فيه شيء من القرآن إلى الكفار (لم يرد ، ثبت ، لم يثبت)

٥-الأولى في تسمية سور القرآن أن يقال .... (سورة كذا ، السورة التي ذكر فيها كذا، السورة رقم كذا)

٦- الشيخ بكر أبو زيد والشيخ إبراهيم الأخضر ألفا في مسألة ..... وتشددا في بعض ما ذهبا إليه (ختم القرآن ، آداب التلاوة ، الاقتباس)

٧- الراجح أن في سورة الحج ...... (سجدتين وثبت الحديث بذلك ، سجدة واحدة ، سجدتين ولم يثبت الحديث بذلك)

٨- قال الشافعي في معرض كلامه عن ختم القرآن : "إن تركت.....فقدت سنة من سنة نبيك" (التكبير، التحميد، التسبيح)

٩- القول باستحباب القيام للمصحف .... (أقرب إلى البدعة ، رويت فيه آثار ، من مظاهر تعظيم شعائر الله)

١٠- الصواب ..... بين أخذ الأجرة على القراءة للسؤال بها وبين أخذها على التعليم والرقية ونحو ذلك (التسوية ، التفرقة ، الجمع)

المحاضرة العشرون

الوحي وأقسامه وأنواعه ومايتعلق به

***

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد فموعدنا اليوم مع محاضرة في الوحي وأقسامه وحديثنا يدور حول أمور :

الأول : معنى الوحي

الوحي هو إعلام على وجه الخفاء وقد يكون بالكلام الصريح أو المعرض به أو بالإشارة أو عن أي طريق من طرق الإعلام .

قال الزرقاني : معناه في لسان الشرع أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر .

وقال محمد عبده : هو عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين أنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة . والأول : بصوت يسمعه أو بغير صوت .

قال : والفرق بينه وبين الإلهام : أن الإلهام : وجدان تستيقنه النفس فتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى .

وقد جاء الوحي في القرآن بمعان ستة :

١- الإلهام للإنسان كما قال تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ... الآية) وهذا مثل ما صح عن النبي ﷺ في قوله : إنه يكون في كل أمة محدثون فإن يكن في أمتي فعمر . أو كما قال ﷺ .

٢- الإلهام الغريزي للحيوان كما قال تعالى : (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا)

٣- الوسوسة كما قال تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم)

٤- الإشارة كما قال تعالى عن زكريا عليه السلام (فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا)

٥- ما يلقيه الله من أمر لملائكته كما في قوله تعالى (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم)

٦- ما ينزله الله على أنبيائه ورسله من شرائع وأحكام وهو موضوعنا الأساس في هذه المحاضرة كما في قوله تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) .

والقرآن والسنة كلاهما وحي من الله قال تعالى عن رسوله ص : (وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) .

قال ابن حزم رحمه الله: فصح بذلك أن الوحي ينقسم من الله عز وجل إلى رسوله ص إلى قسمين: أحدهما وحي متلو مؤلف تأليفا معجز النظام وهو القرآن ، والثاني وحي مروي منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو لكنه مقروء

وجاء فى عدة أحاديث ما يدل على أن السنة كانت توحى إلى النبي ص ، لدرجة أنه كان يعتريه أحيانا مايعتريه عند تنزل القرآن

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها ، وكانت امرأة جسيمة لاتخفى على من يعرفها ، فرآها عمر بن الخطاب فقال: ياسودة ، أما والله لاتخفين علينا ، فانظري كيف تخرجين قالت: فانكفأت راجعه ، ورسول الله ص في بيتي ، وإنه ليتعشى وفي يدة عرق ، فدخلت فقالت: يارسول الله ، إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا ، قالت: فأوحى الله إليه ، ثم رفع عنه وإن العرق في يده ماوضعه ، فقال: إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن

وقال تعالى ضامنا للأمه حفظ دينه: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) والسنة من الذكر المنزل بنص القرآن ؛ قال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون)

وقال أبو محمد: وقال تعالى: (قل إنما أنذركم بالوحي) فأخبر تعالى كما قدمنا أن كلام نبيه ﷺ كله وحي ، والوحي بلاخلاف ذكر ، والذكر محفوظ بنص القرآن .

قال الأصفهاني في أوائل تفسيره اتفق أهل السنة والجماعة على أن كلام الله منزل واختلفوا في معنى الإنزال فمنهم من قال إظهار القراءة ومنهم من قال إن الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان وفي التنزيل طريقان أحدهما أن النبي انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من

جبريل والثاني أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه والأول أصعب الحالين انتهى

وقال غيره : لعل نزول القرآن على النبي أن يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول ويلقيه عليه .

والخلاف في ذلك مترتب على المذاهب الكلامية في كلام الله عز وجل فنتج عن ذلك أقوال ثلاثة :

الأول : أن جبريل تلقفه سماعا من الله تعالى بلفظه المخصوص .

الثاني : أن جبريل حفظه من اللوح المحفوظ أو قرأه نقلا عن بيت العزة في السماء الدنيا .

الثالث : أن جبريل ألقي إليه المعنى والألفاظ لجبريل أو للنبي ﷺ .

والثالث من أبطل الباطل لأنه معارض لظاهر آيات القرآن بل يوافق في وجه منه كلام المشركين .

والثاني : إنما هو هروب من إثبات صفة الكلام لله تعالى . ولا شك في وجود القرآن في اللوح المحفوظ كسائر ما هو فيه ولا في نزول القرآن إلى بيت العزة في السماء الدنيا كما تقدم عند كلامنا عن نزول القرآن ولكن ذلك لا يعني نفي سماع جبريل له من الله .

قال البيهقي في معنى قوله تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) يريد والله أعلم إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع فيكون الملك منتقلا به من علو إلى أسفل

قال أبو شامة هذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو إلى شيء منه يحتاج إليه أهل السنة المعتقدون قدم القرآن وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى

قال السيوطي : ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعا من الله تعالى ما أخرجه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعا إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجدا فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد فينتهي به على الملائكة فكلما مر بسماء سأله أهلها ماذا قال ربنا قال الحق فينتهي به حيث أمر

وأخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة وأصل هذا الحديث في الصحيح

وقال بعضهم : إن جبريل حفظ القرآن عن الله وغشي على أهل السموات من هيبة كلام الله فمر بهم جبريل وقد أفاقوا فقالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق يعني القرآن وهو معنى قوله (حتى إذا فزع عن قلوبهم) فأتى به جبريل إلى بيت العزة فأملاه على السفرة الكتبة يعني الملائكة وهو معنى قوله تعالى (بأيدي سفرة كرام بررة)

وقال الجويني كلام الله المنزل قسمان قسم قال الله لجبريل قل للنبي الذي أنت مرسل إليه إن الله يقول افعل كذا وكذا وأمر بكذا وكذا ففهم جبريل ما قاله ربه ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قاله ربه ولم تكن العبارة تلك العبارة كما يقول الملك لمن يثق به قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة واجمع جندك للقتال فإن قال الرسول يقول الملك لا تتهاون في خدمتي ولا تترك الجند تتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة وقسم آخر قال الله لجبريل اقرأ على النبي هذا الكتاب فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين ويقول اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفا انتهى

قال السيوطي : القرآن هو القسم الثاني والقسم الأول هو السنة كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لأن جبريل أداه بالمعنى ولم تجز القراءة بالمعنى لأن جبريل أداه باللفظ ولم يبح له إيحاءه بالمعنى والسر في ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه وإن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين قسم يروونه بلفظه الموحى به وقسم يروونه بالمعنى ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشق أو بالمعنى لم يؤمن التبديل والتحريف فتأمل .

وأخرج ابن أبي حاتم عن الزهري أنه سئل عن الوحي فقال الوحي ما يوحي الله إلى نبي من الأنبياء فيثبته في قلبه فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد ولا يأمر بكتابته ولكنه يحدث به الناس حديثا ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه .

ثانيا : طرق الوحي

وطرق الوحي ثلاثة ذكرها الله سبحانه وتعالى في قوله: (وماكان لنبي أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه مايشاء)

فإما أن يكون مناما ورؤيا الأنبياء وحي كما حدث كثيرا للنبي ﷺ ، وكما حدث لإبراهيم عليه السلام في قصة ذبح إسماعيل . وقد جاء ذلك في الصحيح أي رؤيا النبي ﷺ عندما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها (أول ما بدء به النبي ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا كانت كفلق الصبح) أو كما قالت رضي الله تعالى عنها وقد تكلمنا عن ذلك فيما سبق .

أو أن يأتيه الملك في النوم وعد من هذا قوم سورة الكوثر وليس صوابا .

وإما أن يكون كلاما من وراء حجاب كما حصل لموسى عليه السلام ، وبعض أهل العلم يدخل فيه ما حصل ليلة المعراج للنبي ﷺ عند من يقول أن ذلك كان يقظة

وقيل أو أن يكلمه الله في النوم كما في حديث معاذ أتاني ربي فقال فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث وهو غير صريح في ذلك . ويلحق به ليلة المعراج عند من يقول بأن ذلك كان في النوم .

وليس في القرآن من هذا النوع وهو الكلام من وراء الحجاب شيء .

وإما أن يكون بإرسال رسول مثل إرسال جبريل للنبي ﷺ ووحي القرآن كله من هذا القبيل وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي قال الله تعالى (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)

ولذلك طرق ثلاثة:

الأول: أن يأتيه في مثل صلصلة الجرس وهو أشده على النبي ﷺ فيفصم عنه وقد وعى مايقول كما في الصحيح عن عبد الله بن عمر سألت النبي هل تحس بالوحي فقال أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحي إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض .

قال الخطابي والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يبين له أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد وقيل هو صوت خفق أجنحة الملك والحكمة في تقدمه أن يفرغ سمعه للوحي فلا يبقي فيه مكانا لغيره .

ومنها الحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا

وفي هذا الحديث أن هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه وقيل إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد وتهديد

الثاني: أن يتمثل له رجلا فيكلمه فيعي ما يقول

كما في الحديث السابق زاد أبو عوانة في صحيحه وهو أهونه علي .

وكان كثيرا ما يأتيه الملك في صورة دحية بن خليفة الكلبي وكان رجلا جميلا وربما أتاه في صورة أعرابي كما في الحديث المشهور في الإسلام والإيمان والإحسان .

الثالث: أن ينفث في روعه مايريد فيعيه النبي ﷺ

كما قال إن روح القدس نفث في روعي أخرجه الحاكم وهذا قد يرجع إلى الحالة الأولى أو التي بعدها بأن يأتيه في إحدى الكيفيتين وينفث في روعه

وقد نزل للنبي ﷺ غير جبريل ملك الجبال كما في قصة عرض نفسه ﷺ على أشراف الطائف ، ونزل عليه ملك بشره بالفاتحة وخواتيم سورة البقرة وأنهما لم يؤتهما نبي قبله كما في حديث ابن عباس في صحيح مسلم ، وغير ذلك

وأخرج الإمام أحمد في تاريخه عن الشعبي قال أنزل على النبي ﷺ النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة . وهو أثر فيه ضعف لإرساله .

ويظهر أثر التغير والانفعال على صاحب الرسالة في حال الوحي فيغط غطيط النائم ويغيب غيبة كأنها غشية أو إغماء وما هي في شيء من الغشية والإغماء إن هي إلا استغراق في لقاء الملك الروحاني وانخلاع عن حالته البشرية العادية فيؤثر ذلك على الجسم فيغط ويثقل ثقلا شديدا قد يتصبب منه الجبين عرقا في اليوم الشديد البرد . وقد صحت بذلك الأحاديث حتى إن الراحلة لتبرك من ثقل النبي ﷺ .

وبعض الصحابة كاد أن يرد فخذه لأن فخذ النبي ﷺ كانت عليها وقد أنزل عليه .

ثالثا : أنواع الموحى به :

وأما الموحى به فأقسام ثلاثة:

أ ــ القرآن الكريم :

كلنا يعرف أن القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ ، والضابط فيه أن معناه يكون من عند الله ، ولفظه أيضاً من عند الله ﷻ ، وهو كلام الله تعالى تكلم به حقيقة ، ويتميز بأنه معجِز في لفظه ونظمه ومعانيه ، ويضاف إلى ذلك بأنه يُتَعَبَّدُ بتلاوته ، يعني إذا قرأه الإنسان فإنما يتقرب بقراءته إلى الله ﷻ ويؤجر على ذلك ، وله طريقة مخصوصة لقراءته ، ولا يجوز روايته بالمعنى ، فجبريل عليه السلام سمع القرآن من رب العزة سبحانه وتعالى فأداه كما سمعه إلى النبي ﷺ ، فأداه لنا النبي ﷺ كما سمعه من جبريل . هذا هو القرآن . وهو قطعي الثبوت نقل إلينا بالتواتر .

أما السنة النبوية ؛ فهي وحي كذلك كما سبق وهي تنقسم إلى قسمين :

أ ــ الحديث النبوي : وهذا هو القسم الثاني من أقسام الموحى به وهو وحي من الله ﷻ ولكنه يختلف كثيراً عن القرآن ، فإن معناه من الله سبحانه وتعالى ؛ ولفظه من الرسول ﷺ وهو كلام غير معجِز ، فليس هو مثل القرآن معجز في لفظه وإنما هو كلام بليغ في أعلى درجات البلاغة ؛ كما قال ﷺ : " أوتيت جوامع الكلم " ، ولكنه غير معجز بمعنى : أنه لا يعجز البشر عن الإتيان بما يشبهه أو يقاربه ، ثم الحديث أيضاً لا يتعبد بتلاوته ، ويجوز روايته بالمعنى .

إذاً ، هو يفارق القرآن في كل شيء ما عدا أن معناه من الله سبحانه وتعالى .

القسم الثالث ب ــ الحديث القدسي :

وهو والقسم الثاني من الحديث ، وهو مثل الحديث النبوي في جميع الضوابط التي ذكرناها إلا في لفظه فقد اختلف فيه أهل العلم ، ممن هو ؟

فقال البعض : هو من الله ، وهذا مُشْكِلٌ جداً ، لأنه إذا كان من الله ﷻ فيحصل التعارض بين التعريف وبين هذا القول ؛ لأن كلام الله ﷻ لا يشبه كلام البشر ، وهو معجز فلا يكون غير معجز ، ثم ما الفارق بينه وبين تعريف القرآن ؟ فلذا لا يُرْتَضى هذا ممن قاله .

وهناك من قال : لفظه من النبي ﷺ فيقال : إذا ما الفائدة في قوله : (قال الله سبحانه وتعالى) ؟ وأيضاً إذا قيل : إن لفظه من النبي ﷺ اشتبه بتعريف الحديث النبوي فلم يكن هناك أي ضابط .

القول الثالث . وهذا القول تطمئن إليه النفس . وهو أنه من قول جبريل عليه السلام ، يعني لفظه من جبريل ، وقد يؤيد هذا القول وصف الحديث بأنه قدسي ، وجبريل عليه السلام وصفه الله ﷻ بأنه روح القدس كما هو معروف ، فهذا القول لعله أقرب ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

رابعا : شبهات حول الوحي :

وهذا المبحث نلخصه من كلام الشيخ الزرقاني رحمه الله في كتابه مناهل العرفان لأهميته فنقول:

إن ما قدمناه لا يسلمه ولا يقبله إلا من آمن بالوحي وأساليبه والاتصالات الروحية بالملأ الأعلى واستمداد الإنسان لمعارفه عن الله تعالى بوساطة الملك على غير الطريقة المعتادة بين البشر ولكن العقلية العصرية أصابها مس من المادية والإلحاد والإباحية فأصبح كثير لا يهضمون هذه الحقائق العليا لهذا نرى لزاما علينا أن نقف هنا وقفة نزيل فيها ما قد يعتري هؤلاء من شكوك حول هذه المسألة :

وهنا بعض الأدلة المحسوسة التي تقرب أمر الوحي :

ما يسمى بالتنويم المغناطيسي وقد اعترفت به أمم كثيرة بعد أن اختبروا به الآلاف المؤلفة من الخلق واطمأنوا إلى تجاربه وأخيرا أثبتوا بوساطته ما يأتي ١ أن للإنسان عقلا باطنا أرقى من عقله المعتاد كثيرا ٢ أنه وهو في حال التنويم يرى ويسمع من بعد شاسع ويقرأ من وراء

حجب ويخبر عن أمور غريبة ٣ أن للتنويم درجات بعضها فوق بعض يزداد العقل الباطن سموا بتنقله فيها إلى غير ذلك من أمور يجادل فيها ولا تسلم وقد ذكر الزرقاني رحمه الله هنا تجربة من تجارب التنويم رآها بعينه وسمعها بأذنه

واستدل بها على إمكانية تأثير شخص في آخر فكيف بتأثير الخالق في المخلوق .

الدليل الثاني : أن العلم الحديث استطاع أن يخترع من العجائب ما نعرفه ونشاهده وننتفع به مما يسمونه الهاتف واللاسلكي والميكرفون والراديو والآن الكمبيوتر والإنترنت والبث الفضائي وعن طريق أولئك أمكن الإنسان أن يخاطب من كان في آفاق بعيدة عنه وأن يفهمه ما شاء ويرشده إلى ما أراد فهل يعقل بعد قيام هذه المخترعات المادية أن يعجز الإله القادر عن أن يوحي إلى بعض عباده ما شاء عن طريق الملك أو غير الملك .

الدليل الثالث استطاع العلم أيضا أن يملأ بعض اسطوانات من الجماد الجامد الجاهل بأصوات وكلام وإتقان بل وبصور وأفلام متحركة ، على وجه يجعلها حاكية للأصل بدقة أبعد هذه المخترعات القائمة يستبعد على القادر تعالى بوساطة ملك ومن غير وساطة ملك أن يملأ بعض نفوس بشرية صافية من خواص عباده بكلام مقدس يهدي به خلقه ويظهر به حقه على وجه يجعل ذلك الكلام منتقشا في قلب رسوله حتى يحكمه بدقة وإتقان .

الدليل الرابع أننا نشاهد بعض الحيوانات الدنيا تأتي بعجائب الأنظمة والأعمال مما نحيل معه أن يكون صادرا عن تفكير لها أو غريزة ساذجة فيها ومما يجعلنا نوقن بأنها لم تصدر في ذلك إلا عن إرادة عليا توحي إليها وتلهمها تلك العجائب والغرائب من الصناعات والأعمال والدقة والاحتيال وإذا صح هذا في عالم الحيوان فهو أولى أن يصح في عالم الإنسان حيث استعداده للاتصال بالأفق الأعلى يكون أقوى وأخذه عنه يكون أتم ومن ذلك ما يكون بطريق ومن العبث وضلال الرأي أن يثبت الباحث الطبيعي إلهاما تبعثه القدرة الإلهية إلى أحقر الحشرات ثم ينفيه عن النوع البشري وهو أشد ما يكون حاجة إلى هذا الوحي والإلهام في حياته الفردية والاجتماعية

الدليل الخامس العبقرية فذكر قصصا من عجائب بعض الأشخاص ومن ذلك ماذكره عن شاعر فرنسي قال : أنا لا أعمل شيئا ولكن أسمع ما يلقى إلي فأنقله فكأن إنسانا مجهولا يناجيني في أذني .

قلت : وهذا مصداق لقوله تعالى : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون) ... الآيات

فهذا تنزل عليه وحي شيطاني وهو الذي نفاه القرآن عن النبي ﷺ في قوله : وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون) ... الآيات .

قال الزرقاني : وهذه الأمثلة التي سقناها تثبت وجود اتصالات روحانية باطنة في بعض الأفراد تمد الإنسان بعلم وهداية من طريق غير معتاد وذلك يقرب الوحي أيما تقريب

الدليل السادس : شوهد على بعض الناس أنهم يظهرون بمظاهر روحانية تعتبر من الخوارق التي لم يكن يحلم بحدوثها العلماء على حين أن هؤلاء الذين أتوا بتلك الظواهر الخارقة كانوا في حالة ذهول وقد استحال تعليل ما أتوا تعليلا ماديا يستند إلى الحس وقد اختبروا تلك الظواهر واستحضروا لشهودها أكبر مشعوذي الأرض فشهدوا بأنها ليست من الشعوذة في شيء وإنما هي أحداث روحانية لا أثر فيها للمهارة وخفة اليد

وهناك الدليل العقلي على أن هذا الأمر الممكن قد وقع فعلا وذلك أنه قد أخبر بوقوعه الصادق المعصوم محمد ﷺ وكل ما أخبر بوقوعه الصادق المعصوم فهو حق ثابت وذلك هو المطلوب أما الدليل على أنه قد أخبر بوقوعه الصادق المعصوم فما مر علينا من أنباء الوحي في الكتاب والسنة وأما الدليل على أن كل ما أخبر بوقوعه الصادق المعصوم فهو حق ثابت فإن ذلك هو مقتضى الصدق والعصمة

وأما الدليل على أن محمدا ﷺ صادق معصوم فهي المعجزة القائمة مقام قوله تعالى لعباده في شأن تصديق رسوله ﷺ ومن ذلك أنه يوحى إليه منه وهذه المعجزة هي القرآن الذي ذكرنا إعجازه في مواقف عدة في محاضرات هذه المادة وفي التفسير .

ومن الشبهات التي يطرحها بعض الجهلة حول الوحي :

يقول بعضهم لو كان الوحي ممكنا لأوحى الله إلى أفراد البشر عامة ولم يخص به شرذمة قليلين يجعلهم واسطة بينه وبين خلقه :

والجواب أن عامة البشر ليس لديهم استعداد لتلقي الوحي عن الله لا مباشرة ولا بواسطة الملك حتى لو جاءهم ملك لم يستطيعوا رؤيته إلا إذا ظهر في صورة إنسان وحينئذ يعود

اللبس ويبقى الإشكال فقضت الحكمة أن يجعل الله من بني الإنسان طائفة ممتازة لها استعداد خاص يؤهلها لأن تتلقى عن الله الوحي ثم تؤديه في أمانة إلى العامة من إخوانهم بعد أن وضع الله في أيديهم شواهد الحق الناطقة التي تدل العالم على مراده سبحانه من تصديقهم وبعد أن سلحهم بالآيات التي تطمئن الناس على أنهم رسل لإنقاذهم وإرشادهم من عند ربهم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقال تعالى : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلنه ملكا لجعلنه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) . وقال تعالى : الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس .

الشبهة الثانية : يقولون إن هذا الوحي للذي تدعونه وتدعون تنجيمه جاء بهذا القرآن غير مرتب ولا منظم فلم يفرد كل غرض من أغراضه بفصل أو باب شأن سائر الكتب المنظمة بل مزجت أغراضه مزجا غير مراعى فيه نظام التأليف فيبعد أن يكون وحيا من الله

والجواب أن مخالفة القرآن لأنظمة الكتب المؤلفة لا تعتبر عيبا فيه ولا في وحيه وموحيه بل هي على العكس دليل مادي على أنه ليس بكتاب وضعي بشري يجلس إليه واضعه من الناس فيجعل لكل طائفة من معلوماته المتناسبة فصلا ولكل مجموعة من فصوله المتناسقة بابا بل هو مجموع إشراقات من الوحي الإلهي الأعلى اقتضتها الحكمة ودعت إليها المصلحة ثم إن هذا المزيج الطريف الذي نجده في كل سورة أو طائفة منه له أثر بالغ في التذاذ قارئه وتشويق سامعه واستفادة المستفيد بأنواع متنوعة منه في كل جلسة من جلساته أو درس من درسه وهذا هو الأسلوب الحكيم في التعليم والإرشاد .

الشبهة الثالثة : يقولون إن محمدا ﷺ كان عصبيا حاد المزاج وكان مريضا بما يسمونه الهستريا فالوحي الذي كان يزعمه ما هو إلا أعراض لتلك الحال التي أصيب بها.

والجواب أن هذه فرية تدل على جهلهم الفاضح بمحمد ﷺ فالمعروف عنه بشهادة التاريخ الصحيح والأدلة القاطعة أنه كان وديعا صبورا حليما بل كان عظيم الصبر واسع الحلم فسيح الصدر حتى إنه وسع الناس جميعا ببسطه وخلقه وكان شجاعا مقداما سليم الجسم صحيح البدن حتى إنه صارع ركانة المشهور بشجاعته فصرعه وكان يثبت في الميدان حين يفر الشجعان ويفزع الخلق ويشتد الأمر ويقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ويقول إلي عباد الله ولا يزال كذلك حتى ينقذ الموقف ويكسب المعركة ولو أفضنا في هذا الموضوع

لطال بنا الكلام ولكن موضوعه في كتب السيرة والشمائل المحمدية فارجع إليها إن شئت أما مرض الهستريا الذي يصمونه كذبا به فهو داء عصبي عضال أكثر إصاباته في النساء ومن أعراضه شذوذ في الخلق وضيق في التنفس واضطراب في الهضم وقد يصل بصاحبه إلى شلل موضعي ثم إلى تشنج ثم إلى إغماء ثم إلى هذيان مصحوب بحركة واضطراب في اليدين والرجلين وقفز من مكان إلى مكان وقد يزعم المصاب أنه يرى أشباحا تهدده وأعداء تحاربه أو أنه يسمع أصواتا تخاطبه على حين أنه لا وجود لشيء من ذلك كله في الحس والواقع فهل يتفق ذلك وما هو معروف عن النبي من أنه كان أمة وحده في أخلاقه وثباته وحلمه وعقله ورباطة جأشه وسلامة جسمه وقوة بنائه ثم كيف يتفق ذلك الداء العضال الذي أعيا الأطباء وما انتدب له محمد ﷺ من تكوين أمة شموس أبية وتربيتها على أسمى نواميس الهداية ودساتير الاجتماع وقوانين الأخلاق وقواعد النهضة والرقي أضف إلى ذلك أنه نجح في هذه المحاولة المعجزة إلى درجة جعلت تلك الأمة بعد قرن واحد من الزمان هي أمة الأمم وصاحبة العلم وربة السيف والقلم فهل المريض المتهوس الذي لا يصلح لقيادة نفسه يتسنى له أن يقوم بهذه القيادة العالمية الفائقة ثم ينجح فيها هذا النجاح المعجز المدهش .

الشبهة الرابعة : يقولون إنكم تستدلون على الوحي بإعجاز القرآن وتستدلون على إعجاز القرآن بما فيه من أسرار البلاغة ونحن لا ندرك تلك الأسرار ولا نسلمها فلا نسلم الوحي المبني عليها

والجواب أن للقرآن نواح أخرى في الإعجاز غير ما يحويه من أسرار البلاغة والبيان ومن السهل معرفتها على من لم يتمهر في علوم العربية واللسان منها ما يحويه هذا التنزيل من المعارف السامية والتعاليم العالية في العقائد والعبادات وفي التشريعات المدنية والجنائية والحربية والمالية والحقوق الشخصية والاجتماعية والدولية وقد تكلمنا عن طرف من ذلك فيما سبق ويكفي من ناحية إعجازه من ناحية بلاغته عجز العرب الفصحاء عن معارضته مع حاجتهم الماسة لذلك وهذا ما شهد به التاريخ بلا جدال .

الشبهة الخامسة : يقولون إن إعجاز القرآن للعرب لا يدل على أن القرآن كلام الله بل هو كلام محمد نسبه إلى ربه ليستمد قدسيته من هذه النسبة وإعجازه جاء من ناحية أن محمدا

كان الفرد الكامل في بيانه بين قومه لذلك جاء قرآنه الفرد الكامل أيضا بين ما جاء به قومه ولم يستطيعوا لهذا الاعتبار وحده أن يأتوا بمثله شأن الرجل الفذ بين أقرانه في كل عصر

ويجاب على هذه الشبهة بأجوبة خمسة أولها أن كل من أوتي حظا من حس البيان وذوق البلاغة يفرق بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث النبوي فرقا كبيرا يمثل الفرق الكبير بين مقدور الخالق ومقدور المخلوق

الجواب الثاني أن القرآن لم يأت الناس من الخلف بل جاءهم من أوسع الأبواب ودخل عليهم من طريق العرب الخلصاء ذوي اللسن والبيان وتحداهم من الناحية التي نبغوا فيها وهي صناعة الكلام تلك الصناعة البيانية الفائقة التي وقفوا عليها مواهبهم وأنفقوا فيها حياتهم حتى صارت موضع تنافسهم وسبقهم وموضوع فخرهم وفوقهم شأن معجزات الله تعالى ومن هنا نعلم والتاريخ يشهد أن القرآن لو كان مصدره نفس محمد كما يقول أولئك الملاحدة لأمكن هؤلاء العرب البارزين في البيان أن يعرفوا أنه كلامه بما أوتوا من ملكة النقد وما وهبوا من نباهة الحس والذوق ثم لأمكنهم أن يجاروه ولو شوطا قريبا إن لم يمكنهم مجاراته شوطا بعيدا

الجواب الثالث أن القرآن لو كان مصدره نفس محمد ﷺ لكان من الفخر له أن ينسبه إلى نفسه ولأمكن أن يدعي به الألوهية فضلا عن النبوة ولكان مقدسا في نظر الناس وهو إله أكثر من قداسته في نظرهم وهو نبي ولما كان في حاجة إذا إلى أن يلتمس هذه القدسية الكاذبة بنسبته القرآن إلى غيره

الجواب الرابع أن هؤلاء الملاحدة غاب عنهم أنهم يتحدثون عن أكرم شخصية عرفها التاريخ طهرا ونبلا وذهبوا عن أنهم يمسون أسمى مقام اشتهر أمانة وصدقا فكان إذا مر بقومه يشيرون إليه بالبنان ويقولون هذا هو الصادق الأمين ثم صدروا عن رأيه ورضوا بحكمه والعقل المنصف قال ولا يزال يقول ما كان هذا الأمين البار الصادق ليذر الكذب على الناس ثم يكذب على الله

الجواب الخامس أن هذه الشبهة وليدة الغفلة عن مضامين القرآن العلمية وأنبائه الغيبية وهداياته الخارجة عن أفق العادة في كافة النواحي البشرية فردية كانت أو اجتماعية لا سيما

أن الآتي بهذا القرآن رجل أمي في أمة أمية كانت في أظلم عهود الجاهلية أضف إلى ذلك ما سجل القرآن على النبي من أخطاء في بعض اجتهاداته ومن عتاب

وأخيرا : شبهة أخرى قد تعرض لبعض المأفونين وهي أن هذا البعد الشاسع بين القرآن والحديث لم يجيء من ناحية أن القرآن كلام الله والحديث كلام محمد ﷺ إنما جاء من ناحية أن محمدا ﷺ كان له ضربان من الكلام أحدهما يحتفل به كل احتفال ويعنى مزيد العناية بتهذيبه وتنميقه وتحضيره وذلك هو ما سماه بالقرآن ونسبه إلى الله وثانيهما يرسله إرسالا غير معني بتحبيره وتحريره وهو المسمى بالحديث النبوي ثم يقولون لترويج شبهتهم هذه إن ذلك ليس بدعا فيما نرى من آثار الأدباء والبلغاء بل نحن نلحظ أن الأديب الواحد يعلو كلامه الصادر عن تأمل وعناية وروية علوا كبيرا عن كلامه المرسل على البديهة حتى كأنهما لكاتبين اثنين بينهما بعد ما بين المشرقين

والجواب الأول أن هذه الشبهة الجديدة مبنية على قياس فاسد وهو تشبيه أدباء ذاك العصر الزاهر الذي نزل فيه القرآن وسلمت فيه السليقة العربية بأدباء هذا العصر المولدين الذين فسدت لغتهم وتبلبلت ألسنتهم وشتان ما بين الطبقتين

الجواب الثاني أن هذه الشبهة تخالف في أساسها ما هو واقع معروف ذلك أن القرآن الكريم منه ما نزل مفاجأة على غير انتظار وتفكير وبدون تلبث وتدبير وهو أكثره ومنه ما نزل بعد تشوف واستشراف وطول انتظار وهو أقله ومع هذا فأسلوبه الأعلى هو أسلوبه الأعلى ونظمه المعجز هو نظمه المعجز في الحالين على السواء

وهذا الذي يقال في القرآن يقال أيضا في الحديث النبوي فمنه ما كان وليد التفكير والتدبير والمشاورة والمداولة كحديثه في شؤون الحرب والصلح ومنه ما كان وحي الساعة وإرسال البديهة ولكنها مع اختلافها لم يختلف فيها الأسلوب النبوي بل هو طراز واحد من أرقى الأساليب البشرية إن لم يكن أرقاها وقلما تلحظ فيه تفاوتا كثيرا لا فرق في ذلك بين ما أرسله على البديهة وما أجال فيه الرأي والاستشارة وما نزل به وحي السنة وما احتفل به احتفالا ممتازا بالمواقف المشهودة والمجامع المحشودة إذن هما نمطان متمايزان لا يشتبهان نمط القرآن كله ونمط الحديث كله لكل منهما مسحة وبيان ودرجة في الفوق والسبق بينها وبين الأخرى بعد ما بين شأني الخالق والخلق .

ومن الشبهات القديمة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه قولهم : إنما يعلمه بشر فتارة يقولون غلام ابن الحضرمي وتارة يقولون بحيرا الراهب وما تقدم في أثناء المحاضرة يبطل هذه الدعوى من وجوه كثيرة وقد انبرى كثير من أهل العلم لرد مثل هذه الشبهات

ومن الكتب التي اهتمت بهذا الجانب كتاب النبأ العظيم للشيخ محمد عبد الله دراز فيرجع إليه للفائدة

وقد شاهد الوحي معاصروه ونقل بالتواتر المستوفي لشروطه بما يفيد العلم اليقيني ولم يكن رسولنا ﷺ أول رسول أوحي إليه بل أوحى الله إلى الرسل من قبله كما قال : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) ... الآية .

ونكتفي بهذا القدر في هذه المحاضرة وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

أسئلة :

المجموعة الأولى: ضع علامة صح أمام الجملة الصحيحة

١- الإلهام وجدان تستيقنه النفس فتنساق إلى ما يطلب على شعور منها من أين أتى (خطأ)

٢- الوحي هو إعلام على وجه الخفاء شريطة ألا يكون بالكلام الصريح أو المعرض به أو بالإشارة (خطأ)

٣- حديث معاذ"أتاني ربي فقال فيم يختصم الملأ الأعلى" من الوحي المنامي(صح)

٤- القرآن كله من الوحي الجلي (صح)

٥- لم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم من الملائكة غير جبريل (خطأ)

٦- الهاتف والميكروفون واللاسلكي من الأدلة على إمكانية حدوث الوحي (صح)

٧- الحيوانات وأنظمتها العجيبة من الأدلة على عدم إمكانية حدوث الوحي (خطأ)

٨- السنة من الذكر المحفوظ (صح)

٩- ليس في القرآن من نوع الوحي الذي هو الكلام من وراء الحجاب شيء (صح)

١٠- الإعجاز القرآني مقتصر على النواحي البلاغية فقط (خطأ)

المجموعة الثانية: ضع خطا تحت الإجابة الصحيحة

١- قوله تعالى:{وأوحينا إلى أم موسى} من (الإلهام للإنسان، الإلهام الغريزي ، الإلهام بمعنى الوحي)

٢- قوله تعالى:{وما كان لبشر أن يكلمه إلا وحيا} في بيان (أنواع الوحي عموما، أنواع الوحي الجلي، أنواع وحي القرآن)

٣- كثيرا ما كان جبريل يتمثل للنبي ﷺ في صورة (جرير بن عبد الله البجلي، دحية بن خليفة الكلبي، حاطب بن أبي بلتعة)

٤- حديث : إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن دليل على أن السنة (وحي من الله ، اجتهاد من النبي ﷺ ، متواترة كالقرآن)

٥- القول بأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ أو قرأه نقلا عن بيت العزة في السماء الدنيا (هو القول الراجح في معنى الإنزال ، المراد منه الهروب من إثبات صفة الكلام لله ، ثابت في الأدلة الصحيحة)

٦- التنويم المغناطيسي من الأمور التي (تقرب أمر الوحي، تنكر وجود الوحي، دلت الأدلة على بطلانها)

٧- طرق الوحي إلى النبي ﷺ التي دلت عليها الأدلة (ثلاثة ، خمسة ، سبعة)

٨- قوله تعالى:{فأوحى إليهم} من (الوحي الإلهامي، الوحي بمعنى الوسوسة، الوحي بمعنى الإشارة)

٩- قوله تعالى:{قل إنما أنذركم بالوحي} دليل على أن (السنة من الوحي ، القرآن هو الوحي وحده، النذارة بالقرآن فقط)

١٠- قوله تعالى:{إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} الذكر المحفوظ هو (القرآن فقط ، السنة فقط، القرآن والسنة معا)

المجموعة الثالثة:ضع خطا تحت الكلمة المناسبة لملأ الفراغ

١- مرض ..... الذي يصم به الكفار النبي ﷺ كذبا وزورا هو داء عصبي عضال أكثر إصاباته في النساء ومن أعراضه شذوذ في الخلق وضيق في التنفس واضطراب في الهضم (الهستريا ، اللوكيميا ، الشيزوفرينيا)

٢- عد بعضهم سورة الكوثر من الوحي...وليس بصواب (المنامي، الخطابي، الإلهامي)

٣- أشد أنواع الوحي الجلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو.....(أن يأتيه مثل صلصلة الجرس، أن يتمثل الملك له رجلا، أن يكون مناميا)

٤- أهون أنواع الوحي الجلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم....(أن يتمثل له الملك رجلا، أن يكون من وراء حجاب، أن يكون مناميا)

٥- القول الذي تطمئن إليه النفس في الحديث القدسي أن ألفاظه من...(الرسول ﷺ ، جبريل عليه السلام ، الله عز وجل)

٦- ينقسم الموحى به من الله إلى النبي ﷺ إلى ..... أقسام (خمسة ، أربعة ، ثلاثة)

٧- من معاني الوحي.....ومنه قوله تعالى:{وإن الشياطين ليوحون إلى أولياءهم} (الإشارة، الوسوسة، الإلهام الغريزي)

٨- يوافق تعريف الحديث النبوي تعريف الحديث القدسي في كل شيء ما عدا ..... فهو موضع الخلاف (لفظه ، معناه ، حكمه)

٩- يفارق تعريف الحديث النبوي تعريف القرآن الكريم في كل شيء ما عدا أن ..... من الله تعالى (لفظه ، معناه ، أحكامه)

١٠- مخالفة القرآن لأنظمة الكتب المؤلفة دليل مادي على أنه ليس بكتاب ....(ملائكي ، وضعي بشري ، منزل جملة واحدة)

الفهرس

***

الموضوع	الصفحة